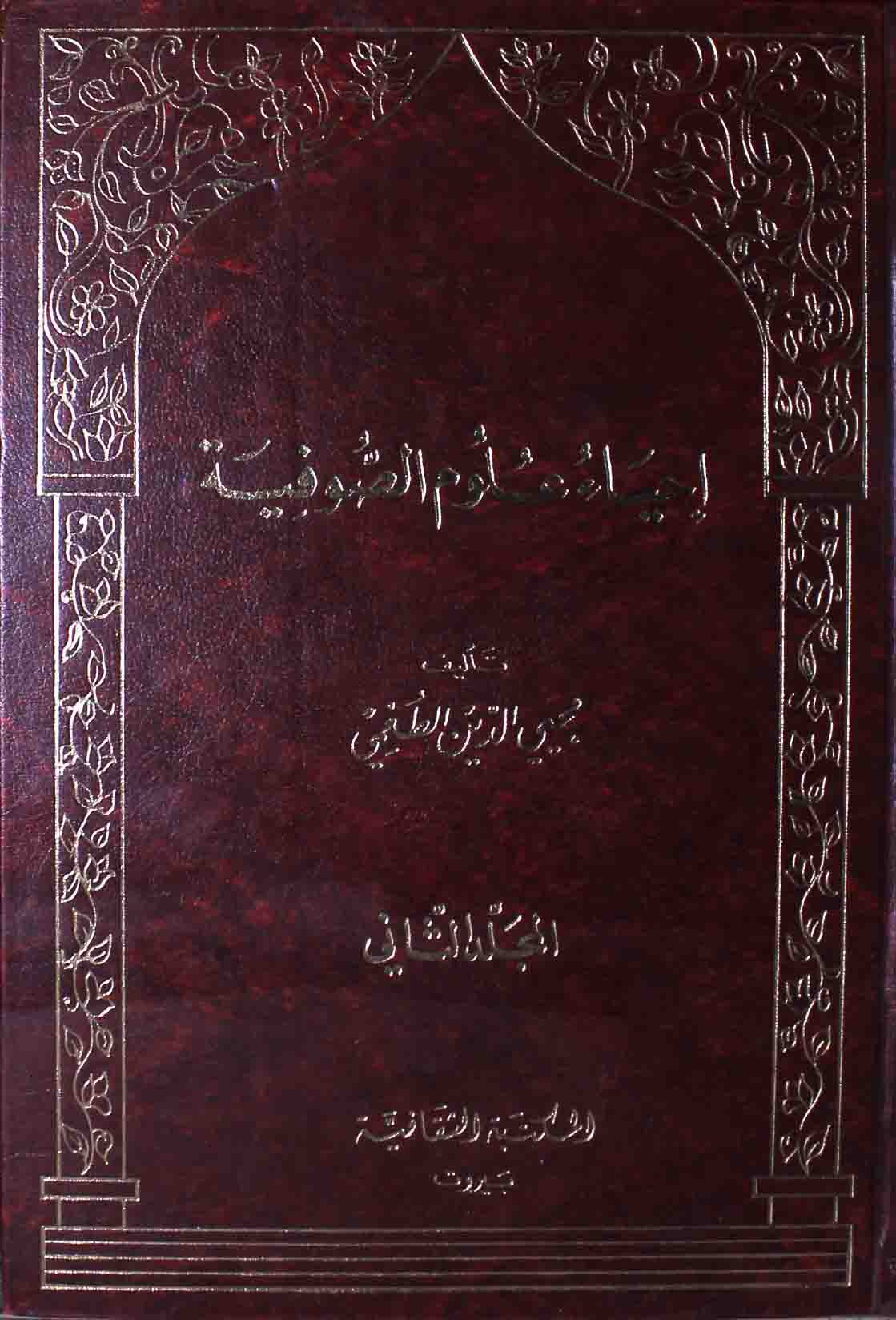

إحياء علوم الصوفية
تأليف
محيي الدين الطعمي
المجلد الثاني
المكتبة الثقافية
بيروت

إحياء علوم الصوفية

(٢)

إحيَاءُ عُلُوم الصُّوفِيَة

تأليف

مُحيي الدّين الطُعْمِيّ

المجلّد الثاني

المكتبة الثقافية
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

كتاب
شرح هياكل النور
للسهروردي

الحمد لله الذي هز قلوب العارفين بأعاصير الشوق ★ ولوع قلوب المحبين بدلال العشق ★ وأذاب مهج المتصوفين بألسنة نيران الحرق ★ هم ولعوا بهذا ★ وتشوقوا لماذا ★ إيه يا كعبة الحسن ★ ويا عجيبة الفتن ★ يا ساحرة القد ★ ويا من أبحتِ الحد ★ أنت أنت وسواك لا ★ فإنا قد جننا بليلي ★ والجري وراء آثارها ★ والغرام برؤياها ★ والتهتك في لحاظها ★ والتروي من سؤر شرابها ★ فافهم أو لا تفهم فإن هذا شيء لا يعنيني ★ وأمر أراه لا يغريني ★

وأصلي وأسلم على فتى الوجود ★ وأستاذ أهل الشهود ★ مولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ★

وبعد .

فهذا شرحي على كتاب « هياكل النور » للإمام العارف الكبير لسان المعرفة وشيخ الخرقة يحي بن حبش بن أميرك أبي الفتوح السهروردي وسميته « مغازلة الحور في شرح هياكل النور ».

وقد شرحت كتبًا كثيرة من أقوال القوم.

« منها »: فناء اللوح والقلم في شرح فصوص الحكم.

« ومنها »: جواهر التوحيد في الحقائق المستفادة من شطحات أبي يزيد وهو

شرح ما أشكل من كلام أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه.

« ومنها »: شرح طواسين الحلاج وهو شرح ما أشكل من كلام الحسين الحلاج رضي الله عنه.

أما صاحب هياكل النور فهو العارف الرباني والهيكل الصمداني الشيخ أبو الفتوح يحي بن حبش بن أميرك السهروردي الحلبي ولد عام ٥٤٥ في بلدة سهرورد في إقليم الجبال بالقرب من زنجان فيما كان يعرف بعراق العجم درس الفقه على يد الشيخ مجد الدين الجيلي في مراغة من أعمال أذربيجان وكان مجد الدين الجيلي أستاذًا للفخر الرازي وقد دارت مساجلات بين الفخر والسهروردي وذهب السهروردي إلى ماردين واتصل بالشيخ المشائي فخر الدين الماريني وتتلمذ عليه واستفاد واتصل بأمير خربوط عماد الدين كلج أرسلان وأهدى له كتاب « الألواح العمادية »

ثم انتهى المطاف بالشيخ في حلب خلال حكم الظاهر بن صلاح الدين وهناك جرت مناظرة بينه وبين الفقهاء فانتصر عليهم وأفحمهم فحقدوا عليه وألبوا عليه السلطان فحكم عليه بالموت فاختار أن يموت جوعًا فمات عام ٥٨٨.

هذا والله الموفق.

« الهيكل الأول »

كل ما يقصد إليه بالإشارة الحسية فهو جسم وله طول وعرض وعمق لا محالة والأجسام تشاركت في الجسمية وكل مشتركين في شيء يلزم افتراقهما بشيء آخر وما تمايزت به الأجسام هو الهيئات ولازم الحقيقة لذاتها لا ينفك عنها ووصف الشيء قد يكون ضروريًا له: كالزوجية للأربعة والجسمية للإنسان وقد يكون ممكنًا: كالقيام والقعود له وقد يكون ممتنعًا: كالفرسية له والذي لا يتجزأ في الوهم لا يجوز أن يكون في جهة وأن يشار إليه لأن ما منه جهة إلى جهة أخرى فينقسم وهما بديهة.

« شرح الهيكل الأول »

اعلم أنه قد تكون الإشارة غير حسية وآية هذا المقام قول الحق عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فهذا مقام الإشارة الغير الحسية فإن قصدت هذه الإشارة الغير حسية فهناك تدخل في مقام اللاجسمانية فهناك يسقط الجسم والطول والعرض والعمق لا محالة.

فإن الذي جعل المقصود إلى عالم الأجسام والكلام فيه هو الإشارة الحسية ووجدنا الأجسام اشتركت في لازم الافتراق الذي يجعلها تفترق به عن بعضها البعض ألا وهو عنصر الهيئات الذي لازم ذواتها ملازمة اقتضائية غير مفترقة عن الذوات فإن العدم عندنا واحد محض كان الله ولا شيء معه وما فرقه عن بعضه البعض سوى الهيئات التي جملت هذا المحض وهذه الجسوم فإن هذا هو الذي مايز الأجسام عن بعضها البعض وبه فرقها عن حقيقة العدم المحضية.

وهذه الهيئات هي عرش الكثرة التي تبدَّت عن عين الوحدة المحضة في الأحدية القديمة الأزلية إلى مقام الخلد ومراتب الأبدية ومن ثم ما لا يتجزأ في الوهم هو الحق تعالى لا غير لكون سلطان الوهم هو عالم الخيال الأكبر في علومنا وهو أكبر وأقوى العوالم على الإطلاق التي لا يمسها عقل ولا روح ولا قلب فهو السلطان الأعظم فإذا كان الوهم لا يقدر على تجزئة هذا الشيء فما هو بجسم ولا غير خاضع لا للعقل ولا للروح ولا للوهم بل هو شيء أقوى من كل هذه المسميات ذاك الشيء يرى « الله » وهو الذي قال عن نفسه بنفسه: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله﴾ والسلام على روح القدس المصون.

« الهيكل الثاني »

أنت لا تغفل عن ذاتك أبدًا وما من جزء من أجزاء بدنك إلا وتنساه أحيانًا فلو كنت أنت هذه الجملة ما كان يستمر شعورك بذاتك مع نسيانها فأنت وراء هذا البدن وأجزائه.

طريق آخر:

بدنك أبدًا في التحلل والسيلان وإذا أتت الغازية بما تأتي عند ورود الجديد الحاصل بين الغذاء لعظم بدنك ولو كنت أنت هذا البدن أو جزءاً منه لتبدلت أنائيتك كل حين ولما دام الجوهر المدرك منه أنت لا بدنك وكيف يكون ويتحلل وليس عندك منه خبر فأنت وراء هذه الأشياء.

طريق آخر:

لا تدرك أنت شيئًا إلا بحصول صورته عندك فإنه يلزم أن يكون ما عندك من الشيء الذي أدركته مطابقًا وإلا لم تكن أدركته كما هو وعقلت معان يشترك فيها مع كثيرين فإنك عقلتها على وجه ليستوي نسبتها إلى الفيل والذبابة فصورتها عندك غير ذات مقدار لأنها تطابق الصغير والكبير فمحلها منك أيضًا غير متقدر وهو نفسك الناطقة لأن ما لا يتقدر لا يحمل في جسم فنفسك غير جسم ولا جسمانية وهي أحدية صمدية ولا تقسمها الأوهام أصلًا ولما علمت أن الحائط لا يقال له أعمى ولا بصير فإن العمى لا يقال إلا على من يصح أن يبصر فالباري تعالى والنفس الناطقة وغيرها ليست جسمًا ولا جسمانية فهي لا داخلة العالم ولا خارجة ولا متصلة ولا منفصلة وكل هذه عوارض الأجسام تنزه عنها ما ليس بجسم فالنفس الناطقة جوهر لا يتصور أن تقع عليه الإشارة الحسية من شأنه أن يدبر الجسم ويعقل ذاته والأشياء وكيف يتوهم الإنسان هذه الماهية القدسية جسمًا وهي إذا طربت طربًا روحيًا تكاد تترك عالم الأجسام وتطلب عالم ما لا يتناهى؟

وهذه النفس الناطقة لها قوى من مدركات ظاهرة وهي الحواس الخمس وهي: اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وقوى من مدد كانت باطنة كالحس المشترك وهو الذي يشاهد صور المنام معاينة لا على سبيل التخيل ومن الحواس الباطنة الخيال وهو خزانة الحس المشترك وتبقى فيها الصور بعد زوالها عن الحواس ومنها القوة الفكرية التي بها التركيب والتفصيل والاستنباط

ومنها الوهم وهو الذي ينازع العقل في قضاياه حتى أن المتفرد يبيت في الليل يؤمنه عقله ويخوفه وهمه وهو يخالف العقل في أمور غير محسوسة حتى أن الذين يتبرعون قضاياه ينكرون ما وراء المحسوسات ولم يتفكروا أن عقولهم بل أوهامهم وتخيلاتهم ونفوسهم لا تحس بل لا يحس من الجسم إلا السطح الظاهر دون سمكه وجماعة من الناس لما تفطنوا إلى أن هذه غير جسمية توهموا أنها الباري تعالى وقد ضلوا ضلالًا بعيدًا فإن الله واحد وإن كانت نفس زيد وعمرو واحدة لأدرك أحدهما جميع ما أدرك الآخر ولا طلع كل الناس على ما اطلع عليه الكل وليس كذلك ثم كيف تستأسر قوى البدن إله الآلهة وتسخره رهين شهوات وعرضة بليات في خبط عثرات.

وجماعة توهموا أنها جزء منه وهو زيغ فإنه لما يرفض على أنه ليس بجسم فكيف يتجزأ أو ينقسم ومن يجزئه؟

وآخرون توهموا قدمها ولم يعلموا أنها لو كانت كما زعموا متجردة فما الذي ألجأها إلى مفارقة عالم القدس والحياة والتعلق بعالم الموت والظلمات؟ ومن الذي قهر القديم وحبسه؟ وكيف جذبتها قوى الرفيع حتى انجذبت من عالم القدس والنور؟ وكيف امتاز بعضها على بعض في الأزل ونوعها متفق ولا محل ولا مكان ولا فعل ولا انفعال قبل البدن ولا هيأة مكتسبة كما يكون بعد البدن؟ ولا يصح أن تكون واحدة فتنقسم وتتوزع على الأبدان فإن ما ليس بجسم لا يتجزأ بل هي حادثة مع البدن إذا تم استعداده لقبولها.

ولما رأيت فتيلة مستعدة لتشتعل من النار من غير أن ينتقص منها شيء فلا تتعجب من حصول النفس الناطقة عند استعداد البدن من غير أن ينتقص من واهبها شيء.

«شرح الهيكل الثاني»

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن النفس الإنسانية ما تبدت عن الكثرة وإنما بدوها لنا عن الأحدية ومن ثم ظهرت في عالم الشهادة بمظهر الكثرة

المطلق فهي الواحد الكثير وأريد منك أن تفرق بين الجسد والنفس فإن الظاهر لنا في لسان المظاهر هو هذا الجسد الفاني والذي خفيت عنا حقيقته وحقائقه هو النفس وسره الأثري لأن أبا القاسم (ﷺ) قال عنه: «قل الروح من أمر ربي» وإن كان يعلم حقيقته علم تحقيق وذوق إلا أنه ادعى عدم معرفته كي يرحمنا من معرفة حقيقة نفوسنا ومن هنا لم تغيب عنا حقيقة هذه النفس وإن غبنا نحن عن النفس وغبنا في نفس الوقت عن حقيقتها وإن أجهدنا في معرفة حقيقتها وهذا اسمه عندنا العلم المحير لكون معرفة النفس أصعب من معرفة الحق تعالى.

ولو كان الفاني هو الذي يقيم هذه النفس لما كان لها بقاء أصلًا لكون الفاني قد قام بالفاني والمتحلل دخل في المتحلل وغذاه وسرى فيه فعل الحقيقة ليست النفس هي هذه الجثة الترابية بل هي شيء آخر غيره أعز من مصيره الخلود والوحدة والصمدية. وإنما حجبنا الحق تعالى بالفناء عن حقيقة الخلود رأفة بنا ومن ثم إن الروح القدس المطهر واحد أزلي قديم الذي نفخ منه فينا فكل نفس خرجت من النفس القدسي المطهر المصون فالنفوس توابع عاشقات لذاك النفس القدسي المطهر فإن ذاك الروح القدس هو سر الحياة الآدمية التي سرت فينا فعلمنا من هنا أن هذا الآدمي هو عين الحق تعالى فالحق تعالى والنفس التي برأها ليسا بجسمين ولا اختصاص للجسمانية بها. وكيف يعرف الطين الفاني حقيقته وحقيقة خالقه إلا إذا كان فانيًا عن طينيّته متبرأ منها غير متعلق بها وكذلك النفس كالخالق ليست بجسم ولا عرض ولا جوهر وإنما حقيقتها غير معلومة لنا ولا متصلة ولا منفصلة ولا داخلة ولا خارجة بل طابعها الخلود وليس هناك قديم سوى الحق تعالى في عرفنا فلا عرش ولا لوح ولا روح ولا جنة قديم بل كله مخلوق فإن القديم الأزلي هو الحق تعالى لا غير أما العين التي نفخت منها الروح فهي قديمة لا الأرواح ذواتها.

فإننا يجب أن نفرق بين روح الحق وأرواحنا نحن فإن روح الحق تعالى هو الذي قيل عنه: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ وهو الروح القديم أما أرواحنا

فهن محدثات لها مقام غير روح القدس التي هي أم الأرواح.

فالأرواح استمدت من أمها الحياة وهذه الحقيقة العلوية هي كالشمعة أو كالفتيلة المشتعلة إذا أضيء منها لم تعقد شيئًا من نورها فهذا مثل يختص بالأجسام فكيف الذي يختص بالخالق الأعظم رب الأرباب في كونه يهب من حضرته بدون فقد وهذا مقام آيته: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾ ورأيت أن الواحد لا يتجزأ فما هذه النفس هي الحق تعالى لكون الواحدية لا تتجزأ ولا تقبل إضافة عليها في المقام الصرف.

وكذا في مقام القدم لا تتجزأ ولا تقبل إضافة إلا في مقام التنازل فإن الروح القدسي جزأ الواحد إلى الكثرة وقبل منه القدم لما أمده لبس اللطيفة الإلهية المصونة وغطاها بالفخار المتهالك الفاني.

فما هذه النفس هي الحق ولا هي جزء منه ولا هي قديمة ولكن خدمها الحق تعالى لما نفخ في الفخار الآدمي بإدخال بعض نوره وجزء منه في الفخار فكان هو عنه قد أدخل فيه قدمه هذا من وجه ومن وجه آخر ليس هو هو فما هو جزء منه ولا عينه ولا قدمه.

والسلام على روح القدس المصون.

«الهيكل الثالث»

الجهات العقلية ثلاث: واجب وممكن وممتنع فالواجب ضروري الوجود والممتنع ضروري العدم والممكن ما لا ضرورة في وجوده ولا في عدمه والممكن يجب ويمتنع بغيره والسبب هو ما يجب به وجود غيره والممكن لا يكون موجودًا من ذاته إذ لو اقتضى الوجود لذاته كان واجبًا لا ممكنًا فلا بد له من سبب يرجح وجوده على العدم والسبب إذا تم لا يتخلف عنه وجود المسبب وكل ما يتوقف عليه الشيء فله مدخل في السببية سواء كان إرادة أو

وقتًا أو مكانًا أو مقارنًا أو محلّا قابلًا أو غير ذلك وإذا لم يوجد السبب بتمامه أو ينتفي بعض أجزائه لا يحصل الشيء ضرورة وإذا حصل جميع ما ينبغي في وجود الشيء وارتفع جميع ما لا ينبغي وجب الشيء ضرورة.

« شرح الهيكل الثالث»

اعلم أن الجهات العقلية الثلاث وهي: الممكن والواجب والممتنع خرجت عن نطاق عالم الخيال وهو العالم الأقدس المعظم فلا يعرف عوالم العقل واللب فالكل فيه واجب بقوله تعالى: ﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾ وبقوله (ﷺ): « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فلا ممكن ولا ممتنع في مدائن الحق هذه سوى الواجب وهو ما تحقق لأجل ذاته وهو ضروري الوجود أما الممتنع فهو ما امتنع لأجل ذاته وهو ضروري العدم وهو غير مراد في الدار الآخرة التي هي عالم الخيال الأعظم والممكن هو العالم المتردد بين الواجب والممتنع وهو لا يجب لذاته ولا يمتنع لذاته بل هو الداخل إلى ميدان السببية الظاهرة وهو الذي أقامه في الأكوان فالسبب هو علة وجود الممكن ولولا اختلاق الحق تعالى لعوالم السببية لما كان هناك ممكنًا ولكان عالم الشهادة منقسمًا ما بين واجب وممتنع أي واجب ومستحيل ولا جائز هناك.

والسلام على روح القدس المصون.

« الهيكل الرابع »

« الفصل الأول »

ويصح أن يكون شيئان هما واجبا الوجود لأنهما حينئذ إن اشتركا في وجوب الوجود فلا بد من فارق فيتوقف وجود أحدهما أو كليهما على الفارق وما يتوقف على الشيء فهو ممكن الوجود والصفة لا تجب بذاتها وإلا ما احتاجت إلى محلها فواجب الوجود ليس محلّا لصفات ولا يجوز أن يوجد في

ذاته صفات لها فإن الشيء لا يتأثر عن ذاته ونحن إذا تصرفنا في عضو لنا يكون الفاعل شيئًا والقابل شيئًا آخر فواجب الوجود واحد من جميع الوجوه له من كل متقابلين أشرفهما وكيف يعطي الكمال من هو قاصر عنه؟ والحق لا ضد له ولا ند له ولا ينتسب إلى أين وله الكمال الأعلى والجلال الأتم والشرف الأعظم والنور الأشد ليس بعرض فيحتاج إلى حامل يقوم وجوده ولا بجوهر فيشارك الجواهر في حقيقة الجوهرية دلت عليه الأجسام باختلاف هيئاتها فلولا تخصيصها لما اختلفت أشكالها ومقاديرها وصورها وأعراضها وحركاتها ومراتب أركان العالم ونظامها ولو اقتضت الجسمية هيئاتها لما اختلفت فيها.

« واسطة الهيكل »

« الفصل الثاني »

الأجسام تشاركت في الجسمية وتفاوتت في الاستنارة فالنور عارض للأجسام ونورية الأجسام ظهور لها ولما كان النور العارض قيامه بغيره وليس وجوده لنفسه فليس ظاهر الدلالة فلو قام بنفسه لكان نورًا لنفسه ونفوسنا الناطقة ظاهرة لذاتها فهي أنوار قائمة وقد بينا أنها حادثة ولا بد لها من مرجح ولا توجدها الأجسام إذ لا يوجد الشيء ما هو أشرف منه فمرجحها أيضًا نور موجود فإن كان واجب الوجود فهو المراد وإن لم يكن فينتهي إلى واجب الوجود بذاته الحي القيوم والنفس قائم دلت على الحي القيوم والقيوم هو ظاهر وهو نور الأنوار المجرد عن الأجسام وعلائقها وهو محتجب لشدة ظهوره.

« الفصل الثالث »

الواحد من جميع الوجوه الذي لا يتكثّر في ذاته اختلاف دواع وإرادات موجبة لكثرة محوجة إلى السبب كما أحوجت الأجسام إليه يجب أن يكون فعله ـ بلا واسطة ـ واحدًا فإن اقتضاء أحد الشيئين غير اقتضاء الآخر فيلزم

في مقتضى الشيئين - بلا واسطة - التكثر فأول ما يجب بالأول واحد لا كثرة فيه وليس بجسم فتختلف فيه هيئات مختلفة كالشكل ولا هيئة فيحتاج إلى محل ولا نفس فيحتاج إلى بدن بل هو قائم مدرك لنفسه ولبارئه وهو النور الإبداعي الأول لا يمكن أشرف منه وهو منتهى الممكنات وهذا الجوهر ممكن في نفسه واجب بالأول فيقتضي لنسبته إلى الأول ومشاهدة جلاله جوهرًا قدسيًا آخر.

« خاتمة الفصل »
« الفصل الرابع »

اعلم أن العوالم ثلاثة:

(١) عالم تسميه الحكماء عالم العقل والعقل على اصطلاحهم جوهر لا يقصد إليه بالإشارة الحسية ولا يتصرف في الأجسام أيضًا.

(٢) وعالم النفس: والنفس الناطقة وإن لم تكن جرمية وذات جهة إلا أنها تتصرف في عالم الأجسام والنفوس الناطقة تنقسم إلى:

أ - ما يتصرف في السماويات.

ب - وإلى ما لنوع الإنسان.

(٣) وعالم الأجسام: وهو منقسم إلى: أثيري وعنصري.

« شرح الهيكل الرابع »
« الفصل الأول »

اعلم أن واجب الوجود ما كان إلا للحق تعالى فقط دون غيره فلا يسع شيء آخر في هذا المجال معه فإنه ما وجب الوجود لذات سوى ذاته ولو تداخل معه ذات آخر في هذا المقام لفسد والصفة لا تجب لذاتها بلا للذات الذي تصفه وإن لم نعلم حقيقة هذا الذات فإنه ها هنا غير واجب الوجود بل

ما وجب الوجود سوى للذات المحض.

فإن الكمال ما كان إلا لمن ليس كمثله شيء وعنه كان من كمثله الأشياء وهذا ممكن له الوجود لا واجب له فإن الوجود الذي نحن نعرفه وما كان له من مكان وجوهر وعرض وهذه مسميات منفية في حقه سبحانه وتعالى كيف وهو الحي الأكمل والنور الأشمل فإن الوجود الحقيقي ليس هو المتصف بالجسمية الفانية وبالأعراض الزائلة بل الواجب الوجودي ما لم يدركه وجودنا وما لم تسعه عقولنا وما خرج عن حيطة الجسم والجوهر والعرض.

« واسطة الهيكل »
« الفصل الثاني »

ولما أراد الحق تعالى تشريف هذا الصلصال الفاني والهيكل الترابي أعطاه شيئًا من نوره تكريمًا له فإن ترابيتنا حملت شيئًا من نوره تعالى به شرفت وكرمت وليس هذا النور بجسم ولا جوهر ولا عرض وليس هو لأجله بل لأجلنا فما هو قائم بذاته بل ذواتنا قامت به فما هو نور محض كحقيقة النور الإلهي بل أنوار العباد في الآدمية مخلوقة في المقام التنازلي ما هي مخلوقة على الحقيقة بل هي أنوار أزلية من أنوار الحق تعالى ودليلنا أن الحق تعالى لو قطع أنواره عن العالم كقدر لمحة لصار ظلامًا دامسًا غريبًا حالكًا فافهم هذه الحقيقة الإطلاقية يا ولي الله. ومن ثم وجدنا أن النور المحض لا يقوم بنفسه بل هو محتاج لجسم يقوم به كي يظهره ويظهر به والدليل على ذلك أن الحقيقة المحمدية هي أصل الأنوار وما احتاجت إلا للهيكل المحمدي كي يظهرها وتظهر به ووجدنا أن الحق تعالى من شدة ظهوره لم نعرفه ولم ير له ظهور في العالم فإن الظاهر هو الباطن والباطن هو الظاهر كما أن الستر هو الظهور هذا في لغة أهل الحق تعالى.

« الفصل الثالث »

اعلم أيدك الله بروح منه أن عالم الواحد وهو المعبر عنه في علومنا بالوحدانية وآخرون يسمونه بالفردانية هو أشرف العوالم وهذا العالم ما اقتضى ذاته الكثرة ولا يقبل التكثر بل هو واجب الوجود غير قابل للتعدد وحقيقة التنازلية أنه مرأى بوجوه متعددة كوجوه المثلث المتعدد الوجوه والرؤوس والزوايا فكل مخلوق يرى ذاك المثلث بمنظر معين أعني ذاك الواحد المتعدد الوجوه واعلم أن الأجسام ما اختصت به بل تنافرت مع مقامه لكون مقامها الكثرة المطلقة أما هو فمقامه عين الحق الأزلية التي ليس كمثلها شيء كما أنه ليس كمثله شيء واعجب منه أنه واحد ويرى فيه الخلق كل مظاهر الكثرة المطلقة مع أنه واحد مطلق لا يقبل الكثرة في ذاته ولا القسمة فهو من وجوه كثير بلا انتهاء ومن وجه آخر واحد صرف لا يقبل التعدد في ذاته.

والسلام على روح القدس المصون.

« الهيكل الخامس » رابع

اعلم أن كل حادث يستدعي شيئًا حادثًا ويعود الكلام إلى السبب الحادث فينبغي أن ينشأ إلى غير النهاية أسباب حادثة بحيث لا يكون لها مبدأ فإن المبتدأ الحادث عائد إليه الكلام والأمر الواجب التجدد لذاته هو الحركة والذي يصح أن لا ينقطع من الحركات الدورية المستمرة التي تصح أن تكون سببًا للحوادث ولا تنصرم هو محرك الأفلاك وهي سبب الحوادث التي في عالمنا.

« شرح الهيكل الخامس »

اعلم أن المحرك هو الحق تعالى لا غير فإن حركة الكون ليست موجودة أصلًا إلا إن تجلى عليه الحق تعالى بقانون الحركة.

فإن السبب الحادث الأول الذي يسلسل الحركة ما كان إلا بالحق تعالى وما

هناك قانون للتسلسل الطبيعي الذي يجعل المحرك الأول هو الفلك أو غير الحق تعالى هذا كله باطل في عرفنا. فإن كل ذرة في الوجود حقيقتها الله لا غير.

فإن الكون كله مجذوب بالحق تعالى سائر به وإليه ومنه وفيه.

ومن قال إن الفلك متحرك بذاته حركة ذاتية غير محتاجة إلى الحق تعالى فقد أعظم على الله الفرية.

وكيف يسير العدم والوجود بغير قدرة الحق تعالى فإن القائم الأول بالحوادث والمخالف لها في وقت واحد هو الحق تعالى. وأين هذا الوجود الحجري المتصنم الجامد كيف يحرك نفسه بنفسه وهل العدم له حركة أصلًا بغير الحق سبحانه وتعالى عما يصفون.

فإن الحركة الأولى ما صدرت إلا عن الحق تعالى وهي التي سلسلت الحوادث وهذه السلسلة انتهائية فإن كل حادث له نهاية بلا رجم وبغير محالة أما سلسلة الحوادث فلم تتم بذاتها وهو التسلسل عند علماء الكلام ولو فرضنا أن الوجود عبارة عن بحر من الذرات الجمادية راكد فمن يحركه أترى هو الذي يحرك نفسه بنفسه أم أنه يجب أن يحركه محرك ويشحنه بحركة تلمسها يد لم يحركها أحد وهي اليد المخالفة للحوادث التي تسمى في عرفنا ﴿يد الله فوق أيديهم﴾. ولا زال هناك رجال من أهل الولاية يرون تلك اليد أو ما تحركه اليد ومنهم من يرى آثار اليد الإلهية متجلية في أفعال العوالم فلا يشهد إلا عين القدرة وأفعالها سارية في العوالم فأين العدم ها هنا يا ولي الله.

وعن هذا المقام قال أبو القاسم (ﷺ): «إن قلب العبد بين اصبعين من أصابع الرحمن اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك» فإن عالم القلوب عالم المعاني واخترقته تلك اليد وحركته وملكت معاني حركته فكيف بعالم الجماد الحسي الظاهر لنا وأين هو من عالم القلوب المستور المغيب عنا فإن حركة العالم المغيب يد الحق تدخل فيها أعظم ألا ترى أن آثار القدرة بدت

لنا أعظم في تلك الدار الآخرة فقيل لنا فيها: « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ».

أمـا تـراه غـــربني ... عن الأوطـان شردني
وبـالهجـران أتحفني ... عن الخلان أبعـدني
وكنا قد تعاهـدنـا ... مدى الأيام يصحبني
فغار الدهر تفريقًـا ... ففـرقـــه وفـــرقني
غريب طاف بلدانًـا ... لعل الدهـر يجمعني
أما تذكـر تمازحنـا ... وروح الروح يبصرني
وماء القدس أبـردني ... نسيم القـرب أثلجني
لعاب الصب مازجني ... وبـالتريـاق بلسمني
فذابت كل بلـوانـا ... وروح الصب قـربني
وجمع الجمع أفنـانـا ... فلا أبصر سوى عيني
أنا أنــت بلا شـك ... وما أنت سـوى عيني
تـوحـدنـا تمازجنـا ... فلا فـرق يكـدرني
ولو غبت لحيظـات ... لكـاد البعـد يقتلني
جبـــال الحب حملني ... بحار العشـق أشربني

والسلام على روح القدس المصون.

« الهيكل السادس »

اعلم أن النفس لا تبطل لأنها ليست ذات محل فلا صنو لها ومبدؤها دائم فتدوم به وليس بينها وبين البدن إلا علاقة شوقية لا يبطل ببطلانها الجوهر وتعلم أن لذة كل ذرة إنما تكون بحسب كمالها وإدراكها وكذا ألمها ولذة كل شيء وألمه بحسب ما يخصه فالشم يتعلق بالمشمومات والذوق يتعلق بالمذوقات والمس يتعلق بالملموسات وكذا نحوها فلكل ما يليق به وكمال الجوهر العاقل الانتقاش بالمعارف من معرفة الحق والعوالم والنظام وبالجملة أمر المبدأ والتنزه

عن القوى البدنية ونقصه في خلاف هذا وتتعلق لذاته وألمه بها واللذيذ والمكروه قد يحصلان دون حصول لذة وألم كمن به سكتة أو سكر شديد لا يتألم بالضرب الشديد ولا يلتذ بحضور المعشوق فالنفس ما دامت مشتغلة بهذا البدن لا تتألم بالرذائل ولا تتلذذ بالفضائل لسكر الطبيعة وإذا فارقت النفس البدن تتعذب نفوس الأشقياء بالجهل والهيئة الردية الظلمانية والشوق إلى عالم الحس وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون سلبت قواهم لا عين ناظرة ولا أذن سامعة ينقطع عنها ضوء عالم الحس ولا يصل إليها نور القدس حيارى في الظلمات فانقطع عنها النوران فيتسلط عليها الفزع والهيبة والهموم والخوف لأنها من لوازم الظلمة ولهذا من تغير مزاج روحه وحصل فيه ظلمة وكدورة كأصحاب الماليخوليا يتسلط عليه الفزع والهموم فكيف حال من وقع في الظلمات مع اليأس عن التخلص ومصاحبة المؤذيات وأما الصالحات الفاضلات فتنال في جوار الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من مشاهدة أنوار الحق والانغماس في بحر النور فيحصل لها الملكية والملكة ولا تنقضي سعادتها فترجع إلى أبيها القائم بالسطوة على رؤوس مفاتيح الظلمة شديد المرة القاصمة صاحب الطلسم الفاضل جار الله الكريم المتوج بتاج القربة في ملكوت إله العالمين روح القدس كي تنجذب إليه كما تنجذب إبرة الحديد إلى مغناطيس لا يتناهى وكما لا نسبة للقوى إلى النفس فإن إدراك النفس أكمل وأشمل من إدراك القوى ولا لأنوار الله والقديسين إلى المحسوسات فلا نسبة للذة إلى اللذة والأول عاشق لذاته محتسب معشوق لذاته ولغيره ولا يصل إلى لذة هويته به لذة وسينكشف للنفوس الفاضلة إذا أبرزت من ظلمة الهياكل إلى سني الجبروت وأشرقت على شرفات الملكوت ومن أنكر اللذة الروحانية فهو كالعنين إذا أنكر لذة الجماع.

«شرح الهيكل السادس»

أعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن هذا البدن الصلصالي الفاني له عشق قوي بالنفس وهذا العشق عشق مهيم رغمي قهري فإن البدن بلا نفس لا

شيء والنفس أي الجوهر بلا بدن لا شيء فلا مقام إلا مقام التعلق وعلمنا في مقام التحقيق أن جوهر النفس غير .فان أصلًا وليس له هذا القانون ولا يسري عليه لكونه ليس له محل حسي يحصره وما هو محسوس أصلًا وإن فني المحسوس فما هو بفان فافهم فهذا الجوهر النفسي أنفس من المكان وأشرف من الزمان وهو القائم بالفناء لا الفناء القائم به قد خرج عن قانون الفناء وعنوانه وناموسه وصار هذا الناموس المقدس والجوهر الأنفس هو مصدر قانون الألم واللذة في العوالم.

فإن شرفت هذا اللطيفة التذت وتنعمت وإن هبطت تألمت وتعذبت فإن هذه اللطيفة معشوقة إما إلى عالم النور المحض أو إلى عالم الظلمات المحض.

وهذا العشق قهري هبط بها إلى حيث توجهت الإرادة الإلهية فيها وقد فصلت قانون اللذة والألم في كتابي «قانون اللذة».

ومنبع اللذة هي اللذة الروحية لا الحسية التي أقواها لذة الجماع التي هي بداية لذة الروح ولا يعرف أصلًا أهل الحجاب قانون لذة الروح وكيف يعرفها المحجوب الجحود الأعمى؟ فإن اللذة الروحية هي أم اللذات وهي أصل الأفراح في عالم الجنة لكون الجنة عالمًا لا يعرف الحس بل هو عالم المعاني المحض الذي لا تعرفه سوى الأرواح ولا تناسبه سوى الأرواح.

وكلما تجردت الروح عن قمامة هذا الجسد الترابي اقتربت من أنوار عالم المعاني المجردة التي هي خلاصة علم اللذة وعوالم السرور والأفراح والروح هو النفس وهو القلب.

وإن عالم المعاني المجردة هو عالم اللانهاية وهو علم الحق الذي قيل فيه: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾.

فهذا العالم يفنى الأكوان والكائنات ويغرقها لذة ولا تقطع منه لمحة فلا تعرف حقيقته وما كينونته وما كنهه فافهم؟

وهذا العالم عاشق للأرواح الطاهرة لا يتركها ولا يدعها حتى يفنيها في اللذات الإلهية الصرفة المحضة التي لا تتناهى فهناك هم فيها لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقد فصلنا خطر هذا العالم في كتابنا المسمى «تكملة الفتوحات المكية».

والسلام على روح القدس المصون.

«الهيكل السابع»

النفس الناطقة من جوهر الملكوت وإنما يشغلها عن عالمها هذه القوى البدنية فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانية وضعف سلطان القوى البدنية وغلبتها بتقليل الطعام وتكثير السهر تتخلص إلى عالم القدس وتتصل بأبيها المقدس وتتلقى منه المعارف.

وقد تطرب النفوس من الناطقة طربًا قدسيًا فيشرق عليها نور الحق الأول ولما رأيت الحديدة المحماة تتشبه بالنار لمجاورتها وتفعل فعلها فلا تتعجب من النفس استشرقت واستنارت واستضاءت بنور الله تعالى فأطاعتها الأنوار طاعتها للقديسين وفي المستشرقين لأنوار الله رجال نحو أبيهم يلتمسون النور فتتجلى لهم جلايا القدس كما أنذرت الزودة ذات الألق حيث ألقت أن هداية الله أدركت قومًا اصطفوا ينتظرون الرزق فلما انفتحت أبصارهم وجدوا الله مرتديًا بالكبرياء اسمه فوق نطاق الجبروت وتحت شعاعه قوم إليه ينظرون.

ولا شك أن أنوار الملكوت نازلة لإغاثة الملهوفين وأن شعاع القدس ينبسط وأن طريق الحق ينفتح كما أخبرت الخطفة ذات البريق ليلة هبت الهوجاء والنير يدلف قبلة صاحبها وهو يدنو من النير صاعدًا انفتح له سبيل القدس ليصعد إلى رحاب مبعث البرازخ الأكبرين.

ربنا آمنا بك وأقررنا برسالتك وعلمنا أن ملكوتك مراتب وأن لك عبادًا متألهين يتوسلون إلى النور بالنور على أنهم قد يهجرون النور إلى الظلمات

ليتوسلوا بالظلمات إلى النور فيحصلون بحركة كحركة المجانين قرة عين العقلاء وعدتهم فأرسلت إليهم رياحًا مبشرات لتحملهم إلى عليين ليمجدوا سبحاتك وليحملوا أسفارك وليتعلقوا بأجنحة الكروبيين وليصعدوا بحبل الشعاع وليستغيثوا بالوحشة والدهشة لينالوا الأنس أولئك هم الصاعدون إلى السماء وهم القاعدون على الأرض.

أيقظ اللهم الناعسات من النفوس في مراقد الفضلات ليذكروا اسمك ويقدسوا مجدك وأكمل حقنا من العلم والصبر فإنها أبو الفضائل ارزقنا الرضا والقضاء واجعل الفتوة حليتنا والإشراق سبيلنا والله تعالى خير من أعان ولرسوله ولآله الصلاة والسلام والتحية والرضوان.

« شرح الهيكل السابع »

اعلم يا ولي الله أن النفس هي مهبط التجليات الإلهية وهي العالم الأكبر لقبول تجليات الحق تعالى ألا ترى أن أبا القاسم (ﷺ) قال: « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ».

قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: « جهاد النفس » فأعلمنا ها هنا أن النفس هي العالم الأكبر وإلا لما ألزمها بالجهاد الأكبر الذي هو يرقيها ويضعها في قمة روح القدس وإن روح القدس هو أبوها الذي هي تطلبه وتعشقه وتتمنى أن تبقى معه من الأزل إلى الأبد.

وقوله « الزودة ذات الألق » أي الوارد المتألق بالأنوار الباهرة فافهم وقوله « الخطفة ذات البريق » أي الاختطاف من الأوصاف البدنية الذميمة والتخلي عن رمم البشرية بقدر المستطاع وعلى قدر الطاقة وهو قول أبي القاسم: « فِرَّ من الدنيا كفرارك من الأسد ».

وقوله « الهوجاء » هو هياج ريح القهر الإلهية على الولي كي تخلصه من سموم بشريته ومن أقذار آدميته وقوله « النير » المراد به قوله تعالى ﴿نور على نور﴾ فهو ما انكشف للشيخ من مقامات الأنوار المحضة في ذلك

المعراج الروحي الأسمى والإسراء القدسي الأبهى.

ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين آمنا بأن ملكك لله أنت وحدك وما هذه الأعيان إلا دمى وأنت تحركها بنفسك.

فارحم واغفر لنا وتولنا وكن لنا وليًا ونصيرًا اللهم آمين.

آمنا بك أنك النور المحض وقد وهبت منه لتلك الآنية الفخارية فصارت نورانية منك وبك وفيك وتعلقت بحبال الكمال وشعاع الخيوط التي هبت من شبابيك روح وريحان ليلة خلعت عليها من خلع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت لا خطر على قلب بشر.

هناك لا تعلق على الحقيقة إلا بضوء سناك ولا ارتواء إلا من معين هواك فأنت الهوى والمنى والوداد. هناك انفرد بك أنت بي أنا على الكثيب ليس أحد سوانا قد هلك العذول ومات الواشي وانتحر المخذول ليس إلا هفيف المناجاة وحنين المناغاة وهمسات المراعاة فمن مثلنا وقد صرت أنت أنا وأنا أنت فلا نعرف من بعضنا البعض والسلام على روح القدس المصون وصلى الله على صاحب اللواء المحمود والحوض المعقود أبي القاسم وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرين أجمعين آمين.

كتاب
إحياء الخرقة الصوفية
وإثبات قواعدها بالقرآن والسنة المحمدية

الحمد لله المطلع على قلوب أوليائه. والمتجلي بعروش ستره على أفئدة أصفيائه.

أحبهم قبل أن يحبوه. وراعاهم قبل أن يراعوه وإنا قد شغفنا بالرموز عن الكلمات وجئنا بالكناية عن التصريحات وهذا عين مشرب ليلى. وخلاصة مذهب سلمى ونهاية علم لبنى وعين غرام سعدى.

أي ولي الله والكل واحد لا غير في عين الجمع وذاك نجم يلمع وسنن في الهوى تشرع وأصلي وأسلم على صاحب اللواء وعرش الاصفياء المحمود في الأرض والسماء. خاتم الانبياء مولانا رسول الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.

فهذا كتابي «إحياء الخرقة الصوفية وإثبات قواعدها بالقرآن والسنة المحمدية».

أثبت فيه قواعد التصوف من الكتاب والسنة وقد صنفت قبله كتاب «إتحاف أذكياء البشر بفضائل صوفية القرن الخامس عشر» في مجلدتين. كما أثبت فيه أيضًا أخلاق القوم بالشريعة كتابًا وسنة.

وها إنني قد صنفت للقوم في مشارق الأرض ومغاربها أكثر من مائة

مصنف. هذا مع أن عمري لم يتجاوز بحمد الله الثامنة والعشرين. وإنني قد جعلت الله تعالى حكمًا بيني وبين أهل عصري هل صنف أحد منهم مثل ما صنفت؟ ولكل عصر مجدد فليعرف الفتى من هو المجدد لهذا العصر؟ ومن هو المبعوث على رأس هذا القرن؟ ومن هو المتكلم المطلق بلسان القوم في مشارق الأرض ومغاربها؟ وليس كل من تكلم فالكلام يتضح عند النزال والمبارزة ويتجلى بالطعان والمقابلة.

والفتى النحرير من علم ما أقصده والحبر الذائق الرباني من تحقق مما أردته وأحدده.

هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

« الفصل الأول في إثبات مذهب التصوف بالكتاب والسنة »

قال الله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ★ والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ★ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا ★ إنها ساءت مستقرًا ومقامًا ★ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا ★ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثامًا﴾ إلى آخر السورة وقال الله تعالى: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾.

وقال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾.

وقال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

أما إثبات مذهب الصوفية من السنة فهناك أحاديث كثيرة رويت عن حضرة أبي القاسم في هذا الشأن.

روي في الرسالة عن أبي جحفة قال: خرج علينا رسول الله (ﷺ) متغير اللون فقال: « ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر فالموت اليوم تحفة لكل مسلم » وروي عن حضرة أبي القاسم (ﷺ) أنه قال: « فِرَّ من الدنيا كفرارك من الأسد ».

وقال الإمام علي كرم الله وجهه: يا دنيا غرّي غيري طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا طلقتك ثلاثًا ».

وروى ابن المبارك في كتابه الزهد عن الحسن قال: « أدركت أقوامًا كانت الدنيا تعرض لأحدهم حلالًا فيدعها فيقول: والله ما أدري ما عليّ أنا من هذه إذا صارت في يدي ».

« الفصل الثاني في ذكر أول من تكلم في علم التصوف من الصحابة »

قال ابن ليون في « الإنالة العلمية »: أول من تكلم في علوم التصوف عليّ أهـ.

وقال أبو القاسم علي بن محمد بن خجو في « ضياء النهار »: الصحابة كان علمهم بالله وبالآخرة وكانوا أهل خوف وحزن ومجاهدة ومراقبة وقناعة وصبر وتوكل ورضى وانقطاع إلى الله وإخلاص عميم وكانوا مشغولين بتحصيل العبادة من جهاد ومجاهدة للنفوس والإيثار والبحث عن مكارم الأخلاق والتوحيد والإخلاص واليقين والذكر وهذا هو علم التصوف ولم ترد جل خطب النبي (ﷺ) وجل وصاياه الا بما اشتمل عليه علم التصوف وكانت تتعاطاه الصحابة مع الصحابة في وقته وذلك علم التوحيد والإخلاص وسائر مقامات التصوف أهـ.

وقال ابن الحاج في « حواشيه على الدر الثمين » عن التستري في « رسالته العلمية » أن الحسن البصري قال: أول من تكلم في التصوف والفقر عليّ أهـ. ونحوه له في « الأزهار الطيبة النشر » لدى كلامه على واضع علم التصوف وفي « الذهب الإبريز » للقاوقجي أن أول من تكلم في علم البقاء والفناء أبو ذر.

وفي « القوت » للإمام أبي طالب المكي: كان الحسن البصري أول من نهج سبيل هذا العلم وفتق الالسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف قناعه وكان يتكلم في هذا العلم بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه فقيل له: يا أبا سعيد أنت تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فممن أخذت هذا فقال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة بن اليمان نراك تتكلم في هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) فممن أخذته؟ قال: خصني به رسول الله (ﷺ) أهـ. وقال أبو نعيم في « معرفة الصحابة » في ترجمة أبي ذر رضي الله عنه: هو سيد من آثر العزلة والوحدة وأول من تكلم في علم الفناء والبقاء أهـ.

« الفصل الثالث في أن أهل الصفة هم صوفية الصحابة »

روى أبو نعيم في « الحلية » بسنده عن أبي هريرة قال: « رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من هو أسفل من ذلك فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته ».

وروى في « الحلية » بسنده عن فضاله بن عبيد قال: « كان رسول الله (ﷺ) إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في صلاتهم لما بهم من الخصاصية - وهم أصحاب الصفة - حتى يقول الأعراب: إن هؤلاء مجانين ».

وروى في « الحلية » بسنده عن أبي هريرة قال: « كان من أهل الصفة سبعون رجلًا ليس لواحد منهم رداء ».

وروى في « الحلية » بسنده عن واثلة بن الأسقع قال: كنت من أصحاب الصفة وما منا أحد عليه ثوب تام قد اتخذ العرق في جلودنا طوقًا من الوسخ والغبار.

وروى في « الحلية » بسند ه عن أنس بن مالك قال: « أقبل أبو طلحة يومًا فإذا النبي (ﷺ) قائم يقرئ أصحاب الصفة على بطنه فصيل من حجريقيم به

صلبه من الجوع كان شغلهم تفهم الكتاب وتعلمه ونهمتهم الترنم بالخطاب وترداده».

وروى في «الحلية» بسنده عن أبي سعيد قال: «أتى علينا رسول الله (ﷺ) ونحن أناس من ضعفة المسلمين ورجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا ما أظن رسول الله (ﷺ) يعرف أحدًا منهم وإن بعضهم ليتوارى من بعض من العري فقال رسول الله (ﷺ) بيده - فأدارها شبه الحلقة - فاستدارت له الحلقة فقال: «بما كنتم تراجعون؟» قالوا: هذا رجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا قال: «فعودوا لما كنتم فيه» ثم قال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم». ثم قال: «وليبشر فقراء المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمسمائة عام هؤلاء في الجنة ينعمون وهؤلاء يحاسبون».

«الفصل الرابع في بيان إثبات الورد اليومي من الكتاب والسنة»

اتفقت جميع الطرق الصوفية وقام الإجماع على أن الورد اليومي قد يكون فيه الاستغفار والصلاة على النبي (ﷺ) والهيللة وأما أصل الورد اليومي من الكتاب فهو قول الحق تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا﴾. فلزم ها هنا أن يذكر العبد الله تعالى في ورد يومي بكرة وأصيلًا.

وأما أصله من السنة فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ): «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

وروى البيهقي عن أنس قال (ﷺ): «ما من عبد ولا أمة استغفر الله في كل يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل في اليوم والليلة أكثر من سبعمائة ذنب».

ولم يكن هناك صحابي إلا وهو يذكر الله تعالى في كل ساعة بل في كل

لمحة وثانية لا في كل يوم هذه هي حياتهم بكل فخر وهذا كان دأب إمامهم أبي القاسم (ﷺ) وعليه التابعون من بعدهم.

«الفصل الخامس في بيان الأصل في إثبات مذهب الصوفية بالكتاب والسنة في عدم التقيد بالعدد في الذكر»

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾ أي بلا تقيد وتحديد بل على الإطلاق.

وفي السنة روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (ﷺ): «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة» والكثرة ها هنا لم يحددها بل هي مطلقة وروى البزار عن أبي المنذر قال (ﷺ): «أكثروا من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنها ممحاة للخطايا» وها هنا أيضًا طلب (ﷺ) الكثرة المطلقة التي لا يحصرها حاصر.

وروى الطبراني عنه (ﷺ) أنه قال: «اذكر الله حتى يقال مجنون». وروى البخاري عنه (ﷺ): «تكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا» فإذا كان الله تعالى لا يمل فإن العدد مفتوح غير مقيد بل هو إطلاقي.

«الفصل السادس في إثبات أهل السبحة من السنة»

أخرج أبو داود عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (ﷺ) دخل على امرأة «لعلها أم المؤمنين صفية بنت حيي» وبين يديها نوى أو حصى تسبح بهن.

وصح أنه كان لأبي هريرة رضي الله عنه خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به. وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة أنه كان يسبح بالنوى المجزع «أي الذي اختلط سواده ببياضه».

وأخرج الحاكم عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ

رسول الله (ﷺ) وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهن.

وقد صنف الإمام السيوطي رسالة في السبحة سماها «المنحة في السبحة» أثبت فيها شرعيتها، وفيها: صح أنه كان لفاطمة بنت الحسين خيط معقود تسبح به.

وكذلك كان لسعد بن أبي وقاص أكياس من النوى يسبح بها وكذلك لأبي الدرداء أكياس من النوى يسبح بها.

ومما قاله السيوطي في رسالته «المنحة في السبحة»: وقد اتخذ السبحة سادات يشار إليهم ويؤخذ عنهم ويعتمد عليهم فلو لم يكن في اتخاذها غير موافقة هؤلاء السادة والدخول في سلكهم لكفى. أهـ.

«الفصل السابع في بيان إثبات دليل الصوفية في لباس الخرقة من السنة»

قال الإمام نور الدين الحلبي صاحب «السيرة الحلبية» في كتابه «النصيحة العلوية في بيان حسن طريقة السادة الأحمدية»: ثبت أنه (ﷺ) ألبس عليًا عمامته التي يقال لها السحاب ومن ثم لما جاء إليه وهو لابسها قال: جاءكم علي في السحاب.

وقد جاء أنه (ﷺ) أهدى إليه صاحب دومة الجندل جبة من سندس فجعلت الصحابة يتعجبون من تلك الجبة فوهبها (ﷺ) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولما جاءه عكرمة بن أبي جهل مسلمًا يوم فتح مكة رمى عليه رداءه.

والأصل في لباس الخرقة زيادة على ما تقدم ما جاء في الصحيح أنه (ﷺ) جاء إليه ثياب فيها خميصة سوداء صغيرة والخميصة كساء مربع فيها أعلام صفر وحمر وفي رواية صفر وخضر فقال (ﷺ): من ترون نكسو هذه الخميصة؟ فسكت القوم فقال رسول الله (ﷺ): ايتوني بأم خالد - أي بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: فأتي بي فألبسنيها رسول الله (ﷺ)

وقال: أبلي وأخلقي يقولها مرتين.

وما جاء أيضًا أنه (ﷺ) كسا كعب بن زهير بردته لما أنشده قصيدته بانت سعاد وكسا معاوية ثوبه في يوم وفي يوم آخر إزاره وفي يوم آخر رداءه وأوصى معاوية أن يكفن في ذلك ففعل به ذلك. انتهى.

«الفصل الثامن في إثبات الأصل من السنة في تحديد العدد في الذكر»

زعم قوم أن تحديد المرء لنفسه عددًا من الذكر بدعة وهو خطأ مردود على قائله لأنه معارض لما ثبت عن رسول الله (ﷺ) وأصحابه قال (ﷺ): «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل» رواه الشيخان.

وذكر لرسول الله (ﷺ) امرأة فأخذت إحدى نسائه تذكر من عبادتها فقال (ﷺ): «عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا» وهو في الصحيح وموافقته (ﷺ) لعبد الله بن عمرو بن العاص في عبادته عندما قال: «إني أطيق أفضل من ذلك».

وأخرج أبو داود أن أبا هريرة كان له كيس به حصى أو نوى يسبح به ونقل الحافظ ابن رجب الحنبلي أنها كانت اثني عشر ألف حصاة.

ومن العجيب أنهم يريدون فرض خطئهم على الأمة وما رأينا إمامًا فرض مذهبه على الأمة وها هو ذا إمام دار الهجرة طلب منه الخليفة أن يحمل الناس على مذهبه فأبى لأن شيمته الإنصاف رضي الله عنه فهل هؤلاء شموا أخلاق السلف؟ أو يعرفون الإنصاف؟

وحديث أبي بن كعب معروف قال: قلت يا رسول الله: إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت قلت: الربع؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذن تكفي همك ويغفر ذنبك. قال الترمذي: حسن صحيح وقال الحاكم: صحيح.

« الفصل التاسع في إثبات مقام الأقطاب والأوتاد والابدال من الكتاب والسنة »

قال الله تعالى في إثبات هذه المقامات: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا﴾.

أي قطب العالم في وقته.

وقال تعالى في إثبات قطبانية محمد: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

وقال تعالى في إثبات قطبانية موسى: ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾.

وقال تعالى في إثبات قطبانية آدم: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾.

وقال تعالى في إثبات قطبانية داود: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾.

وقال (ﷺ) في إثبات قطبانية أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله (ﷺ) في مرضه: « ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » رواه مسلم. وقال (ﷺ) في إثبات قطبانية عمر رضي الله عنه: « لو كان بعدي نبي لكان عمر » رواه الترمذي عن عقبة بن عامر.

وقال (ﷺ) في إثبات قطبانية علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ». أخرجه الشيخان.

وخير حديث في إثبات عموم القطبانية ما قاله النبي (ﷺ): « السباق أربع أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة ». رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس.

فمحمد رسول الله (ﷺ) قطب العرب.

وصهيب رضي الله عنه قطب الفرس.

وسلمان رضي الله عنه قطب الروم.

وبلال رضي الله عنه قطب الحبشة.

قال الله تعالى في إثبات الأوتاد: ﴿وجعلنا الجبال أوتادًا﴾.

والجبال ها هنا كبار الراسخين من أهل المعرفة فهم أوتاد الأرض.

وإثبات مقام الأوتاد من السنة قوله (ﷺ) في خالد بن الوليد رضي الله عنه: «نعم عبدالله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله» رواه الترمذي عن أبي هريرة.

أي وتد من أوتاد الله لم يهزم قط.

وإثبات مقام الأبدال من القرآن قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ أي الأبدال.

ومن السنة في إثبات مقام الأبدال والنجباء ما أخرجه الخلال بسنده عن علي رضي الله عنه قال: «النجباء بمصر والأبدال بالشام وهم قليل»

وأخرج ابن عساكر من طريق آخر عن علي رضي الله عنه قال: «الأبدال من الشام والنجباء من مصر والأخيار من العراق».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» عن علي رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله (ﷺ) قال: «الأبدال بالشام وهم أربعون رجلًا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلًا يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء» رجاله رجال الصحيح. وأخرج ابن عدي والديلمي وابن شاهين عن أنس مرفوعًا قال: «الأبدال أربعون رجلًا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلًا وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة». وقد صنف الحافظ السيوطي رسالة أثبت فيها هذه المقامات بالكتاب والسنة سماها: «الخبر الدال على وجود الاقطاب والأوتاد والأبدال».

« الفصل العاشر في بيان إثبات أصل السماع والإنشاد من الكتاب والسنة »

قال الله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾.

وقال تعالى: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾.

وقال النبي (ﷺ): « ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت بالذكر ». واعلم أن السماع سنة نبوية عالية ثابتة كاد الإجماع أن يقوم عليها في أعلى درجات الحديث الصحيح ولا ينكرها إلا جاهل غير فقيه بحديث رسول الله (ﷺ).

وفي الصحيحين عن عائشة جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد فدعاني (ﷺ) فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذي أنصرف عن النظر إليهم وروى ابن ماجه عن عياض الأشعري أنه شهد عيدًا بالأنبار فقال: ما لي لا أراكم تغلسون كما كان يغلس عند رسول الله (ﷺ). قال جابر: وهو اللعب.

وروى الطبراني عن أم سلمة قالت: دخلت على جارية لحسان بن ثابت يوم فطر ناشرة شعرها معها دف فزجرتها فقال رسول الله (ﷺ): دعيها يا أم سلمة فإن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا.

وقال إمام الحرمين وابن أبي الدم نقل الاثبات من المؤرخين أن عبدالله بن الزبير كان له جوار عوادات وأن ابن عمر دخل عليه وإلى جنبه عود فقال ما هذا يا صاحب رسول الله (ﷺ) فناوله إياه فتأمله ابن عمر وقال: هذا ميزان شامي فقال ابن الزبير: توزن به العقول.

وروى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب آداب السماع فقال: حدثنا عبدالله بن شبيب قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني أبي عن حسين بن عبدالله عن عكرمة عن ابن عباس قال: مر رسول الله (ﷺ) بحسان بن ثابت وهو

بفناء فاطمة ومعه سماطان من أصحابه وجاريته تغنيهم فانتهى إليهم رسول الله (ﷺ) وهي تقول:

هــل عـليّ ويحكـما إن لهوت من حـرج

فتبسم رسول الله (ﷺ) وقال: لا حرج.

وقد ذكر القصة ابن عبد ربه في «العقد الفريد» قال الحافظ العلامة الكبير سيدي عبد الحي الكتاني في «التراتيب الإدارية»: وقد ألف في السماع والغناء جماعة منهم الإمام ابن قتيبة له كتاب «الرخصة في السماع» والإمام أبو منصور التميمي البغدادي والحافظ ابن حزم الأندلسي وفي «المنن» للشعراني بعد كلام صنف الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي كتابًا نقض فيه أقوال من قال بتحريم السماع وجرح النقلة للحديث الذي أوهم التحريم وذكر من جرحهم من الحفاظ واستدل على إباحة السماع واليراع والدف والأوتار بالأحاديث الصحيحة وجعل الدف سنة.

قال الشيخ عبد الغفار القوصي: وقد قرأت ذلك على الحافظ شرف الدين الدمياطي وأجازني به عن الحافظ أبي طاهر السلفي بسماعه من المصنف وقال: لا فرق بين سماع الأوتار وسماع صوت الهزار والبلبل وكل طير حسن الصوت فكما أن صوت الطير مباح سماعه فكذلك الأوتار.

«الفصل الحادي عشر في إثبات رقص بعض كبار الصحابة وتواجدهم بين يدي رسول الله (ﷺ) من السنة وهو حجة الصوفية في هذا الباب»

وقد عقد الحافظ الكبير مولانا عبد الحي الكتاني فصلًا في المجلد الثاني من كتابه «التراتيب الإدارية» وعنوانه «حجل بعض كبار الصحابة بين يديه (ﷺ)».

والحجل في لغة العرب هو الرقص.

قال فيه: في الصحيح أنه عليه السلام قال لعلي:

«أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي» وفي «التوشيح» زاد ابن سعد من مراسيل الباقر فقام جعفر فحجل حول رسول الله (ﷺ) أي دار فقال له النبي (ﷺ): «ما هذا؟» قال: شيء رأيت الحبشة يفعلونه لملوكهم.

وفي طريق آخر أن الثلاثة فعلوا ذلك. والحجل بحاء فجيم فلام كسبب رقص على هيئة مخصوصة. أهـ.

وفي «تخريج أحاديث الإحياء» للحافظ العراقي اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي: «أنت مني وأنا منك» فحجل وقال لجعفر: «اشبهت خلقي وخلقي» فحجل وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» فحجل الحديث أخرجه أبو داود من حديث علي باسناء حسن وهو عند البخاري دون ذكر الحجل.

قال الحافظ السيوطي في «الحاوي» لما تكلم على مسألة الرقص بعد أن ذكر حجل من ذكر عن مسند أحمد وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه (ﷺ) فكان هذا أصلًا في رقص الصوفية لما يدركونه من لذة المواجيد.

«الفصل الثاني عشر في إثبات لبس المرقعات من السنة وأن النبي والصحابة قد لبسوا المرقعات»

ورد في الصحيحين أنه (ﷺ) كان يرقع ثوبه ويخصف نعله.

وفي «عيون الأخبار» لابن قتيبة قال علي: رأيت لعمر بن الخطاب إزارًا فيه إحدى وعشرون رقعة من أدم (أي جلد) ورقعة من ثيابنا.

وفي «تاريخ أبي الفداء» خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة الناس وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة.

وفي «أسد الغابة» لابن الأثير قال أنس: لقد رأيت في قميص عمر أربع

رقاع بين كتفيه وفي «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي قال أبو عثمان النهدي: رأيت عمر يرمي الجمرة وعليه إزار مرقوع بقطعة جراب.

وفي كتاب «تذكرة الخواص» لسبط بن الجوزي قال: روى سفيان عن عمرو بن قيس الملائي قال: رئي على علي رضي الله عنه إزار مرقوع فعوتب في ذلك فقال: يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن. قال سفيان وكان يقطع الثوب إلى أطراف أصابعه يعني الكم. وقد أخرجه أحمد في «المسند» بمعناه.

«الفصل الثالث عشر في إثبات لبس الصوف والشعر والخيش من السنة وبيان أن النبي وصحابته لبسوه»

أخرج البخاري ومسلم عن البراء رضي الله عنه قال: كنت مع النبي (ﷺ) ذات ليلة في سفر فقال: أمعك ماء؟ قلت: نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فأفرغت عليه الإداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها فأخرجهما من أسفل الجبة وذكر الحديث.

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي (ﷺ) ذات غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شعر أسود.

وأخرج الشيخان عن أبي بردة رضي الله عنه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزارًا غليظًا مما يصنع باليمن وكساءً من التي يسمونها المُلَبَّدَة فأقسمت بالله أن رسول الله (ﷺ) قبض في هذين الثوبين.

وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي بردة رضي الله عنه قال: قال لي أبي: يا بني لو رأيتنا ونحن مع النبي (ﷺ) وقد أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن.

وروى أبو داود عن عقبة السُّلَمِيّ رضي الله عنه استكسيت النبي (ﷺ) فكساني خيشتين فلقد رأيتني وأنا أكسي أصحابي. «والخَيْش»: هو الكتان.

« الفصل الرابع عشر في إثبات ما يقع للصوفية من الكرامات وخوارق العادات بالكتاب والسنة »

قال الله تعالى لمريم: ﴿وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا﴾.

وهنا وقعت كرامتان خارقتان لمريم.

« الأولى »: كونها استطاعت أن تهز جزع النخلة التي لا يستطيع هزها سوى أكثر من خمسين رجلًا قويًا هذا برغم أنها كانت نفساء.

« والثانية »: أن الرطب الجني لم يكن في ذاك الوقت أوان ظهوره.

وقال تعالى في حقها: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله﴾.

قيل: كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء.

وقال الله تعالى في حق أصحاب الكهف: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعًا﴾ هذه نومة فقط.

أما كرامات أصحاب رسول الله (ﷺ) فحدّث ولا حرج وقد جمعتها في معجم سميته « معجم كرامات الصحابة » على حروف المعجم في جزأين.

وقد جمع الإمام النبهاني في مقدمة كتابه « جامع كرامات الأولياء » كرامات أصحاب الرسول عليهم الرضوان.

« فمن كرامات أبي بكر الصديق رضي الله عنه »: « أنه استضاف ثلاثة أضياف فكانوا كلما أكلوا ازداد الطعام ولم ينقص. هذا الحديث أخرجه الشيخان عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

« ومن كرامات أبي الدرداء رضي الله عنه »: أنه بينما هو يأكل في قصعة سبحت. هذا الحديث أخرجه البيهقي عن قيس رضي الله عنه.

« ومن كرامات أبي عيسى بن جبر رضي الله عنه »: أنه كان يصلي مع رسول الله (ﷺ) الصلوات ثم يرجع إلى بني حارثة فخرج ليلة مظلمة مطيرة فنوّر له في عصاه حتى دخل دار بني حارثة. هذا الحديث أخرجه الحاكم عن أبي عيسى رضي الله عنه.

« ومن كرامات ابن أم مكتوم رضي الله عنه »: أنه كان يتوخى الفجر فلا يخطئه وكان مؤذن الرسول (ﷺ) وكان أعمى. هذا الحديث أخرجه ابن سعد عن ابن عمر رضي الله عنه.

« ومن كرامات أنس بن مالك رضي الله عنه »: كان له أرض فشكا له قيمها عطشها فدعا أنس رضي الله عنه فنزل المطر على أرضه فقط ولم يجاوزها. هذا الحديث ذكره البازلي في « غاية المرام » وهو تاريخ رجال صحيح البخاري.

« ومن كرامات تميم الداري رضي الله عنه »: أن نارًا خرجت من الحرة فأمره عمر أن يلقي نفسه فيها فلم يحترق. هذا الحديث أخرجه أبو نعيم عن معاوية بن حرملة.

« ومن كرامات الحسن بن علي رضي الله عنه »: أن رجلًا تغوط على قبره فجن فجعل ينبح كما ينبح الكلاب ثم مات فسمع من قبره يعوي. قاله المناوي في « الطبقات ».

« ومن كرامات الحسين بن علي رضي الله عنه »: ما قاله الزهري لم يبق من قتلة الحسين أحد إلا وعوقب في الدنيا إما بالقتل أو بالعمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة. قاله الإمام الشبلي في « المشرع الروي ».

« ومن كرامات حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه »: ما قاله رسول الله (ﷺ): « رأيت الملائكة تغسل حمزة » أخرجه ابن سعد عن الحسن رضي الله عنه.

« ومن كرامات خالد بن الوليد رضي الله عنه »: أنه شرب السم ولم يضره

في القتال. هذا الحديث أخرجه أبو يعلى عن أبي السفر.

« ومن كرامات عمر بن الخطاب رضي الله عنه»: قوله يا سارية الجبل وهو على المنبر وهي أشهر كرامات الصحابة على الإطلاق وأعظمها تواترًا وصحة.

« الفصل الخامس عشر في إثبات تقبيل أيدي وأرجل العلماء والصالحين والأولياء والأماكن الشريفة والقبر النبوي المعظم وإثبات التبرك بما مسته يد النبي (ﷺ) وإثبات التبرك بآثاره (ﷺ) مطلقًا ويقاس عليه جواز التبرك بالعلماء وآثارهم مطلقا وتقبيل أيديهم وأرجلهم كله يثبت ها هنا بالسنة

في « مسند الإمام أحمد » عن أم سليم أن النبي (ﷺ) شرب من قربة عندها قالت: فقطعت فم القربة أي رجاء بركتها لموضع فمه الشريف وذكر القاضي عياض في « الشفاء » أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتغالون في شراء آثاره الشريفة بعد موته (ﷺ) فيشترون ذلك بنفائس أموالهم كالبردة التي اشتراها معاوية من ورثة كعب بن زهير ولقد احتفظ بها حتى وفاته فقال لمن حوله: إذا أنا مت فهذه بردة رسول الله (ﷺ) ضعوها مما يلي جسدي بعد الغسل ثم كفنوني بما شئتم وهذه قلامة أظافر رسول الله (ﷺ) احتفظت بها فاطحنوها ودقوها جيدًا وضعوها في فتحات عيني وأنفي وفمي وأذني ودعوني ألاقي ملائكة ربي.

قال ابن مالك في « شرح المصابيح »: وفيه دليل على جواز التقرب إلى الله بآثار العلماء والمشايخ والصلحاء. انتهى.

وروى البخاري أن أنس بن مالك خادم رسول الله (ﷺ) أوصى أن تدفن معه شعرات للنبي (ﷺ).

وفي « الشفا » لعياض أن شعرة من شعرات النبي (ﷺ) كانت في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه فلم يشهد بها قتالًا إلا رزق النصر.

وفي « خلاصة الوفا » للسمهودي: عن إسماعيل التيمي قال: كان ابن المنكدر يصيبه الصمات فكان يقوم فيضع خده على قبر النبي (ﷺ) فعوتب في ذلك فقال: إنه يستشفي بقبر النبي (ﷺ) انتهى.

وثبت أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده على القبر الشريف.

وجاء بسند جيد أن بلالًا رضي الله عنه لما زار قبر النبي (ﷺ) من الشام جعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر الشريف بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد منهم.

وكذلك فعل أبو أيوب الأنصاري حينما جاء من أرض الروم.

في « الشفا » رؤي ابن عمر رضي الله عنهما واضعًا يده على مقعد رسول الله (ﷺ) من المنبر ثم وضعها على وجهه أي مسح بها تبركًا ما مس جسده وثيابه من آثار رسول الله (ﷺ) وجاء في « مناقب الفقهاء الثلاثة » لابن عبد البر عندما تحدث عن الإمام مالك رضي الله عنه قال: كان يمشي حافيًا في المدينة رجاء أن يمس جلد رجله شيء داسه رسول الله (ﷺ) من التراب.

وثبت من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما مما رواه البخاري أنها قالت: هذه جبة رسول الله (ﷺ) كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها فنحن نغسلها للمرضى لتستشفي بها.

وفي « التراتيب الإدارية » للحافظ الكبير مولانا عبد الحي الكتاني عقد بابًا سماه « باب صحابي قال فيه عمر حق على كل مسلم أن يقبل رأسه » وأخرجه عن البيهقي في « شعب الإيمان » وابن عساكر عن أبي رافع. ثم عقد بابًا سماه « باب من كان من الصحابة يقبل تلاميذه يده » قال فيه:

عن جميلة أم ولد أنس بن مالك قالت كان ثابت إذا أتى أنسًا قال أي أنس يا جارية هات لي طيبًا أمس يدي فإن ثابتًا لا يرضى حتى يقبل يدي رواه أبو يعلى ورجاله موثقون.

ثم عقد بابًا آخر سماه «باب من قبل من الصحابة يد تلميذه لكونه من أهل البيت» قال فيه: أخرج ابن عساكر عن عمار بن أبي عمار أن زيد بن ثابت ركب يومًا فأخذ ابن عباس الركاب فقال: تنح يا ابن عم رسول الله (ﷺ) فقال: هكذا أمرنا أن نفعل لعلمائنا وكبرائنا فقال زيد: أرني يدك فأخرج يده فقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا أورده في مناقب زيد من كنز العمال بهذا اللفظ.

وقد أفرد أبو بكر المقري جزءاً في تقبيل اليد وما ورد فيه ولي رسالة أفردتها فيمن قبل يد النبي (ﷺ). انتهى.

وتكلم الشيخ منصور علي ناصف في «التاج» على التقبيل فقال: «ومنها تقبيل اليد والرجل» قال فيه: روى أبو داود والترمذي عن أم أبان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع رضي الله عنهم وكان في وفد عبد القيس قال: لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله (ﷺ) ورجله.

«الفصل السادس عشر في إثبات أنه يجب اتخاذ الشيخ الروحي المربي الواصل وطلب المريد الصادق له وبيان ذلك من الكتاب والسنة»

قال الله تعالى في ذلك: ﴿فآمن له لوط﴾ وقال الله تعالى في ذلك: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا﴾.

وقال تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال: إن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآت بابه وهو قائل فأتوسد رداءي على بابه تنسف الريح عليّ من التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله (ﷺ) ما جاء بك ألا أرسلت إليّ فآتيك فأقول أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث.

وروى أبو الزناد عن أبيه قال: رأيت عمر بن عبد العزيز يأتي عبيد الله يسأله عن علم ابن عباس فربما أذن له وربما حجبه.

وورد في كتب الطبقات في ترجمة عكرمة تلميذ ابن عباس أن شيخه ابن عباس كان يقيده بالقيد كي يرغمه على حفظ العلم.

وذكر الكاساني في «أصول البدائع» أن عبدالله بن عباس قيد عبدًا له يعلمه تأويل القرآن قال: وبه جرت العادة في سائر الأمصار من غير نكير فصار إجماعًا.

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» عن عكرمة قال: كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن.

وبوب البخاري في «صحيحه» باب الرحلة في طلب العلم» وذكر أن جابر بن عبدالله رحل إلى عبدالله بن أُنيس مسيرة شهر في حديث واحد. وذكر ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» عن مالك بن دينار قال: أوحى الله إلى موسى أن اتخذ نعلين من حديد ثم اطلب العلم حتى تخرق نعليك وتنكسر عصاك.

وروى الخطيب البغدادي بسنده في كتابه «الرحلة في طلب الحديث» عن كثير بن قيس قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء جئتك من المدينة مدينة الرسول لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله (ﷺ) وذكر بقية الحديث.

أما من رحل في طلب العلم فإنه ما رحل حقيقة إلا لطلب الشيخ لكي يحريه حقيقة العلم الصحيح. وأعظم هذه الرحلات ما كان يفعله الصحابة في الرحلة إلى رسول الله (ﷺ) كي يتتلمذوا على يديه ويقتدوا به.

ولما أمر الحق تعالى نبيه موسى بالرحلة إلى الخضر لم يكن له إلا طلب الرحلة وتعلم منه حقيقة. وذكر ياقوت في «معجم البلدان» قول أبي الدرداء: «لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحدًا يفتحها عليّ إلا رجل ببرك الغماد لرحلت إليه».

وأخرج الرامهرمزي في «المحدث الفاضل» عن الشعبي أنه خرج إلى مكة

في ثلاثة أحاديث ذكرت له فقال: «لعلي ألقى رجلًا لقي النبي (ﷺ) أو من أصحاب النبي (ﷺ)».

وفي «علوم الحديث» لابن الصلاح عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قيل له: أيرحل الرجل في طلب العلم؟

فقال: بلى والله لقد كان علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر رضي الله عنه فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه.

وأخرج ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» عن سفيان عن رجل أن مسروقًا رحل في حرف وأن أبا سعيد رحل في حرف.

وذكر الذهبي في «تذكرة الحفاظ» عن ابن إسحاق قال: سمعت مكحولًا يقول: طفت الأرض في طلب العلم.

وأخرج الترمذي عن علي بن المديني شيخ البخاري قال: حججت حجة وليس لي همة إلا أن أسمع. وروى الخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» عن الحسن البصري قال: رحلت إلى كعب بن عجرة من البصرة إلى الكوفة فقلت: ما كان فداؤك حين أصابك الأذى؟ قال: شاة.

كتاب
تحذير الرجال
من فضائح المسيخ الدجال

الحمد لله الذي أكرم هذه الأمة بظهور البشير النذير ★ وجعلها خير أمة أخرجت للناس بلا نكير ★ وأصلي وأسلم على أستاذ الوجود ★ وعرش الشهود ★ محمد وعلى آله وصحبه الغر المحجلين من آثار الوضوء ★ وبعد ★

قال الله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾.

وقال الله تعالى: ﴿فيما أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها﴾.

وقال رسول الله (ﷺ): «بعثت أنا والساعة كهاتين» وضم السبابة والوسطى أخرجه البخاري عن سهل رضي الله عنه. فهذا كتابي في الدجال خاصة وفي العلامات الكبرى عامة وسميته: «تحذير الرجال من فضائح المسيخ الدجال».

وقد فصلت فيه أحوال الدجال تفصيلًا ما علمت أحدًا قبلي فصله في كتاب والحمدلله رب العالمين.

والواجب على كل مؤمن أن يعلم علامات الساعة بالتفصيل صغراها وكبراها حتى يأمنها ويأمن فتنها إن عصمه الله من أهوالها إذا ظهرت كبراها في هذا الوقت إلى جوار الذي ظهر من علاماتها الصغرى والمتوسطة.

فإن علامات الساعة تقسم عندنا إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول ما ظهر منها وهو الصغير

والقسم الثاني ما نحن فيه وهو المتوسط

والقسم الثالث ما لم يظهر بعد وهو الكبير

نسأله سبحانه وتعالى أن يعصمنا من الفتن بأنواعها وأن يلحقنا بنبيه (ﷺ) وأن يحشرنا في زمرته والله الموفق.

الباب الأول في أوصاف الدجال

اعلم أنه قد ورد في الحديث الصحيح أن الدجال أعور ومكتوب بين عينيه « ك ف ر » أي كافر.

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب إلا أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينه « ك ف ر » أي كافر يقرأه كل مسلم.

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله (ﷺ) في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذر قومه ولكني سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه إنه أعور وإن الله ليس بأعور.

الباب الثاني في ذكر الفرق بين المسيح عيسى ابن مريم والمسيخ الدجال

قد ثبت أن رسول الله (ﷺ) رأى عيسى في المنام عليه السلام وفي نفس الرؤيا رأى المسيخ الدجال ثم ذكر صفة كل واحد منها والفرق بينها.

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله (ﷺ) قال: بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر

ينضب أو يهراق رأسه ماء قلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية قالوا: هذا الدجال أقرب الناس به شبهًا قطن رجل من خزاعة.

الباب الثالث في ذكر أن الدجال أعور العين اليسرى

ثبت في الصحيح أن الدجال أعور العين اليسرى وروي هذا بأسانيد صحاح.

روى مسلم: الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار.

الباب الرابع في ذكر جنته وناره

وقد أعطاه الحق تعالى جنة ونارًا زائفتين ليغر بهما من حقت عليه الضلالة وعكست له الآيات. فالنار هي الجنة. والجنة هي النار.

روى مسلم في «صحيحه»: الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار.

الباب الخامس في ذكر النهرين اللذين مع الدجال

روى الشيخان البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان أحدهما رأيَ العين ماء أبيض والآخر رأيَ العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد.

الباب السادس في ذكر أنه مكتوب بين عينه «كافر»

روى الترمذي ومسلم عن النبي (ﷺ) أنه قال: تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت وإن الدجال مكتوب بين عينيه كافر يقرأه من كره عمله.

وروى الشيخان البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: إن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب.

الباب السابع في ذكر أن معه جبلًا من خبز ونهراً من ماء

روى البخاري ومسلم عن المغيرة رضي الله عنه قال: ما سأل أحد النبي (ﷺ) عن الدجال ما سألته وإنه قال لي: ما يضرك منه قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال: « هو أهون على اللهِ من ذلك »

الباب الثامن في ذكر كيفية ولادة المسيخ الدجال

روى الترمذي في « ذكر ابن صياد » بسند حسن عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عامًا لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه ثم نعت لنا رسول الله (ﷺ) أبويه فقال: أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه فرضاحية طويلة اليدين فقال أبو بكرة فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فإذا نعت رسول الله (ﷺ) فيهما فقلنا: هل لكما ولد فقال: مكثنا ثلاثين عامًا لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه قال: فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل في الشمس في قطيفة له وله همهمة فكشف عن رأسه فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا قال: نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي.

قوله فِرْضَاحِيَّة: أي ضخمة. وقوله منجدل في الشمس: أي مطروح فيها. وقوله وله همهمة: أي صوت غير مفهوم.

الباب التاسع في ذكر أن الدجال يدخل كل بلد إلا مكة والمدينة

روى الشيخان البخاري ومسلم: عن أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ)

قال: ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها.

الباب العاشر في ذكر من هو المسيخ الدجال

قد اختلف العلماء في شخص المسيخ الدجال ومن هو؟ فقيل: إنه صائد بن صياد وقيل: هو صائد. وقيل: بل هو شيطان مقيد بالسلاسل في بعض الجزائر.

وقيل هو من أولاد شق الكاهن وقيل: هو شق نفسه وإن أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها إياه.

وقال كعب الأحبار: الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر.

وقيل: إنه ليس بإنسان وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن لا يعلم من أوثقه أهو سليمان بن داود عليه السلام أو غيره فإذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة.

الباب الحادي عشر في ذكر أن الدجال لا تسلّط له على المؤمنين وهم معصومون من كيده

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله (ﷺ) يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: اشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله (ﷺ) حديثه فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا قال: فيقتله ثم يحييه فيقول الرجل حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشدّ بصيرةً مني الآن قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه.

الباب الثاني عشر في ذكر تحذير الرسول (ﷺ) لصحابته من كيد المسيخ الدجال

روى ابن حبان في «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان»: عن حذيفة قال: «كنا عند النبي (ﷺ) فذكر الدجال فقال: لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال إنها ليست من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تتضع لفتنة الدجال فمن نجا من فتنة ما قبلها نجا منها.

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن عبدالله بن حوالة أن رسول الله (ﷺ) قال: من نجا من ثلاث فقد نجا ثلاث مرات موتي والدجال وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه.

وروى الطبراني في «الكبير» عن عبدالله بن مغفل قال قال رسول الله (ﷺ): ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال.

وروى البزار عن عبدالله بن الحرث بن جزء قال: ما كنا نسمع فزعة ولا رجة في المدينة إلا ظننا أنه الدجال لما كان رسول الله (ﷺ) يحدثنا عنه ويقربه لنا.

الباب الثالث عشر في ذكر تحذير كل الأنبياء لأممهم من المسيخ الدجال

أخرج البخاري في الفتن عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي (ﷺ): «ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب».

وأخرج البخاري في كتاب الجهاد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ثم قام النبي (ﷺ) في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «إني أنذركموه وما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور.

وأخرج ابن ماجة في «سننه» عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله (ﷺ) فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله أن قال «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ رأى الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم وإن يخرج من بعدي فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم.

الباب الرابع عشر في ذكر خوف الصحابة من فتنة المسيح الدجال

أخرج البخاري في «باب ذكر الدجال» من حديث المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحد النبي (ﷺ) عن الدجال ما سألته وإنه قال لي: «ما يضرك منه» قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال: «هو أهون على الله من ذلك».

الباب الخامس عشر في ذكر أن الدجال لا يخرج إلا إذا نسي الناس ذكره وغفلوا عنه

فإن كثيرًا من الناس ظنوا أن الدجال قد خرج ومنهم من يؤكد هذا وهذا وهم وهو غير صحيح فإن الدجال لا يخرج إلا إذا تلهى الناس عنه ونسوا ذكره وظنوا عدم خروجه فإنه حينذاك يخرج عليهم.

روى عبدالله بن أحمد عن راشد بن سعد قال: لما فتحت اصطخر إذا مناد ينادي ألا إن الدجال قد خرج قال: فلقيهم الصعب بن جثامة فقال: لولا ما تقولون لأخبرتكم أني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر.

الباب السادس عشر في ذكر أنه إذا خرج الدجال يجب على المؤمن أن يجعل طعامه التسبيح والتكبير والتهليل

روى أبو يعلى بسند رجاله رجال الصحيح عن عائشة أن رسول الله (ﷺ) ذكر جهدًا يكون بين يدي الدجال فقالوا: أي المال خير يومئذ قال: غلام شديد يسقي أهله الماء وأما الطعام فليس قالوا: فما طعام المؤمنين يومئذ؟ قال: التسبيح والتكبير والتهليل.

والمراد أن يقلل المؤمن طعامه الحسي ويجعل طعامه المعنوي أكثر منه وهو ذكر الله تعالى فإن الدجال لا يقتل ولا يزلزل فؤاده مثل ذكر الحق سبحانه وتعالى.

وفضائل الذكر معلومة ومعروفة عند أهل الإيمان والذاكرين الله كثيرًا وقد وعد الله سبحانه وتعالى الذي يعرض عن ذكره معيشة ضنكًا وأن يحشره يوم القيامة أعمى. أخرج ابن حبان في «موارد الظمآن» والبزار في «كشف الأستار» عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ): ﴿فإن له معيشة ضنكًا﴾. قال: «عذاب القبر».

وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» عن أبي سعيد الخدري في قوله ﴿معيشة ضنكًا﴾ قال: «يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه».

وأخرج البيهقي في كتاب «إثبات عذاب القبر» عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «إن المعيشة الضنك أن يسلط عليه تسعة وتسعون تنينًا تنهشه في القبر».

الباب السابع عشر في ذكر استعاذة النبي (ﷺ) من المسيح الدجال

وكان النبي (ﷺ) لا يستعيذ إلا من الأمور الجليلة الخطر التي يعلم مدى خطرها من بعده على الأمة.

ولذلك فقد ثبت في الصحيح عنه (ﷺ) أنه كان يستعيذ في صلاته في

فتنة المسيخ الدجال وهو مستحب لكل مؤمن أن يستعيذ من فتنة المسيخ الدجال.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة زوج النبي (ﷺ) أن النبي (ﷺ) كان يدعو في الصلاة: «اللهم أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيخ الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم».

قال: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله؟

فقال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف.

ويجب على المؤمن أن يستعيذ الله سبحانه وتعالى من كل شيء استعاذ منه نبيه (ﷺ) فإن النبي (ﷺ) لم يدع شرًا إلا واستعاذ الله منه أن يصرفه عنه.

ومن أعظم الأحاديث في «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان»: عن أنس قال: «كان النبي (ﷺ) يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم والقسوة والعيلة والذلة وأعوذ بك من الفقر والكفر والشرك والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والبرص والجذام وسيِّىء الأسقام.

الباب الثامن عشر في ذكر خروج المسيخ الدجال

وقد ورد في الترمذي أنه يخرج من خراسان وورد في صحيح مسلم عن أنس أنه يخرج من أصبهان. وورد أنه يأتي بيت المقدس فلا يقدر على دخوله من كثرة الملائكة الذين هم حوله. وروي في الصحيحين أنه يدخل كل بلدة ما عدا مكة والمدينة لكثرة الملائكة التي تحرسها.

وورد في سنن ابن ماجة أن عيسى ابن مريم عليه السلام يقتل المسيخ الدجال عند باب لُدّ. «ولُدّ»: بالضم والتشديد قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين.

وروى أحمد في « المسند » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لينزلن الدجال خوز وكرمان في سبعين ألفًا وجوههم كالمجان المطرقة.

وروى الطبراني في « المعجم الكبير » من حديث فاطمة بنت قيس عن النبي (ﷺ) قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) نادى الصلاة جامعة فخرجت في نسوة من الأنصار حتى أتينا المسجد فصلى بنا رسول الله (ﷺ) صلاة الظهر ثم صعد المنبر قالت فاطمة: فرأيت رسول الله (ﷺ) رافعًا يديه حتى رأيت بياض إبطيه ثم قال: ألا أخبركم أن هذه طيبة ثلاثًا ثم قال: ألا أخبركم أن نحو الشام ثم أغمي عليه ساعة أريح ثم سرى عنه ثم قال: بل في نحو العراق بل هو في نحو العراق يخرج حين يخرج من بلدة يقال لها أصبهان من قرية من قراها يقال لها رستقاباد.

وروي عن النبي (ﷺ) أنه أومأ بيده نحو المشرق فقال: إني لأنظر إلى مواقع عبدالله المسيخ رواه الطبراني عن سلمة بن الأكوع.

الباب التاسع عشر في ذكر أن اليهود هم أكثر الناس اتباعاً للمسيخ الدجال إذا خرج

روى مسلم في « صحيحه » عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة ».

وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: « يخرج الدجال من يهود أصبهان ثم يخلق به عين والأخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم يشوي في الشمس سمكًا ويتناول الطير من الجوّ، له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق والمغرب؟.

وقال علي رضي الله عنه: يخرج الدجال ومعه سبعون ألفًا من الحالكة. زعم بعضهم أن الحالكة اسم موضع.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله (ﷺ): يخرج الدجال من يهود أصبهان رواه أحمد وأبو يعلى وزاد معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم السيجان.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله (ﷺ) وأنا أبكي فقال: ما يبكيك قلت: يا رسول الله ذكرت الدجال فبكيت فقال رسول الله (ﷺ): إن يخرج وأنا فيكم كفيتموه وإن يخرج بعدي ربكم عز وجل ليس بأعور إنه يخرج من يهود أصبهان وذكر الحديث رواه الإمام أحمد في «المسند».

الباب العشرون في ذكر الخوارق التي يظهرها الحق سبحانه وتعالى على يد المسيخ الدجال ليضل بها الخلق ويستدرجهم

عن عبدالله بن مغفل قال قال رسول الله (ﷺ): ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال وقد قلت فيه قولًا لم يقله أحد قبلي إنه آدم بعد ممسوخ عين اليسار على عينه ظفرة غليظة وإنه يبرىء الأكمه والأبرص ويقول أنا ربكم فمن قال ربي الله فلا فتنة عليه ومن قال أنت ربي فقد افتتن.

الباب الحادي والعشرون في ذكر كيف ينجو المؤمن من كيد المسيخ الدجال

قد ورد في الحديث الصحيح أن المسيخ الدجال يدعي الألوهية والربوبية والظاهر من مجموع الأحاديث الواردة لنا أن كل مؤمن معرض لامتحان المسيخ الدجال ويسأله المسيخ الدجال هل هو إله؟ فلا ينجي المؤمن منه إلا أن يقول له: «كذبت ربي الله عليه توكلت» فلا يضره.

روى الإمام أحمد في «المسند»: عن هشام بن عامر قال قال رسول الله

(ﷺ): إن رأس الدجال حبك حبك فمن قال: أنت ربي افتتن ومن قال: كذبت ربي الله عليه توكلت فلا يضره.

الباب الثاني والعشرون في وصف عينه العوراء

قد ورد وثبت في الصحيحين أن الدجال أعور العين اليمنى وهذه علامة علمه بها رسول الله (ﷺ) فقال: «إنه أعور وإن الله عز وجل ليس بأعور».

فأما ما ورد في أن عينه اليمنى عوراء، فقد روى البخاري في «الجامع الصحيح» في «باب ذكر الدجال وصفته وما معه» عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي (ﷺ) فقال: «إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية».

وقيل: هو أعور العين اليسرى كما ورد في رواية لمسلم في حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار».

أما ما ورد في صفة عينه فقد روي في الحديث عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ﷺ) قال: إنه لم يكن نبي إلا قد أنذر الدجال قومه وإني أنذركموه إنه أعور ذو حدقة جاحظة ولا تخفى كأنها كوكب دري ومعه مثل الجنة والنار فجنته عين ذات دخان وناره روضة خضراء وبين يديه رجلان ينذران أهل القرى كلما خرجا من قرية دخل أوائلهم وذكر الحديث رواه البزار وأبو يعلى. فهو أعور ذو حدقة جاحظة ولا تخفى كأنها كوكب دري.

وورد أن عينه عليها ظفرة غليظة روى الطبراني عن سمرة بن جندب أن رسول الله (ﷺ) قال: إن الدجال خارج وهو أعور عين الشمال عليها ظفرة غليظة وإنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى.

وورد أن عينه كأنها زجاجة خضراء رجاله ثقات.

وورد أنه ممسوح العين اليسرى روى الإمام أحمد والبزار عن ثعلبة بن عباد العبدي من أهل البصرة قال: شهدت يومًا خطبة لسمرة بن جندب فذكر في خطبته حديثًا عن رسول الله (ﷺ): والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا آخرهم الأعور الدجّال ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبي يحيي لشيخ حينئذ من الأنصار.

وفي بعض الروايات جمع القول النبوي الشريف كلتا عينيه.

روى أحمد في «المسند» والطبراني واللفظ له ورجاله ثقات عن سفينة قال: خطبنا رسول الله (ﷺ) فقال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا حذر أمته الدجال هو أعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر».

الباب الثالث والعشرون في ذكر أن الدجال يبرىء الأكمة والأبرص ويحيي الموتى

ويظهر الدجال بعض المعجزات التي ظهرت على أيدي بعض الأنبياء مثل عيسى ابن مريم عليه السلام ويستدرج بها العباد ليضلهم عن سبيل الله إلا من عصم الله سبحانه وتعالى.

روى الطبراني عن سمرة بن جندب أن رسول الله (ﷺ) قال: إن الدجال خارج وهو أعور عين الشمال عليها ظفرة غليظة وإنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى سنده صحيح.

الباب الرابع والعشرون في ذكر أن الدجال يدعي الألوهية والربوبية

قد دلت الآثار والأخبار المروية أن الدجال يدعي الألوهية وأنه يحيي ويميت ويرغم الناس على التصديق به فمن كذبه نجا ومن آمن به هلك.

روى الطبراني في «الكبير» عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «ويقول أنا ربكم فمن قال ربي الله فلا فتنة عليه ومن قال أنت ربي فقد افتتن».

وعن سليمان بن شهاب قال: نزل عليَّ عبدالله بن معتم وكان من أصحاب النبي (ﷺ) فحدثني عن النبي (ﷺ) أنه قال: يقول ـ أي الدجال ـ أنا الله فتغشى عينه وتقطع أذنه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على كل مسلم ثم يقول: أنا الله أحيي وأميت وذلك كله سحر يسحر به أعين الناس ليس يعمل من ذلك شيئاً. رواه الطبراني وفيه سعيد بن محمد الوراق وهو متروك.

الباب الخامس والعشرون في ذكر أن الدجال يدعي النبوة قبل أن يدعي الألوهية

والذي يدعي الألوهية فإن ادعاء النبوة سهل عليه وهذا فعل الدجاجلة والدجالين مثلما فعل مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح.

روى الطبراني عن سليمان بن شهاب قال: نزل عليَّ عبدالله بن معتم وكان من أصحاب النبي (ﷺ) فحدثني عن النبي (ﷺ) أنه قال: الدجال ليس به خفا إنه يجيء من قبل المشرق فيدعو لي فيتبع وينصب للناس فيقاتلهم ويظهر عليهم فلا يزال على ذلك حتى يقدم الكوفة فيظهر دين الله ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك ثم يقول بعد ذلك إني نبي فيفزع من ذلك كل ذي لب ويفارقه فيمكث بعد ذلك حتى يقول: أنا الله فتغشى عينه وتقطع أذنه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على كل مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

الباب السادس والعشرون في ذكر أن المسيخ الدجال يدعو في بداية أمره إلى نصرة الدين وإظهاره قبل أن يضل

ويذكرنا هذا بإبليس طاووس لما كان أعظم الملائكة شأناً وأقواهم منزلة

فاستكبر فطرد بعد أن كان مقربًا أصبح رجيمًا فمن هنا خاف كبار الرسل مكر الله ولم يأمنوه طرفة عين. وهذا الذي حل بالدجال عين الذي حل بإبليس.

روى الطبراني عن سليمان بن شهاب قال: نزل عليّ عبدالله بن معتم وكان من أصحاب النبي (ﷺ) فحدثني عن النبي (ﷺ) أنه قال: الدجال ليس به خفاء إنه يجيء من قبل المشرق فيدعو لي فيتبع وينصب للناس فيقاتلهم ويظهر عليهم فلا يزال على ذلك حتى يقدم الكوفة فيظهر دين الله ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك.

الباب السابع والعشرون في ذكر الوقت الذي يمكثه المسيح الدجال في الأرض

الثابت لنا من الأحاديث المروية لنا أن الفترة التي يمكثها الدجال في الأرض أربعين يومًا بخلاف عيسى عليه السلام فإنه يمكث أربعين عامًا.

روى ابن حبان في «موارد الظمآن»: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «فيمكث عيسى عليه السلام في الارض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون».

وورد أن الدجال بين مولده وخروجه أربعون سنة. قال كعب الأحبار: الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر بين مولده وخروجه أربعون سنة.

وورد أن الدجال يمكث أربعين صباحًا روى الإمام أحمد في «المسند» عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي (ﷺ) فقلت: حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله (ﷺ) يذكر عن الدجال قال: خطبنا رسول الله (ﷺ) فقال: أنذركم الدجال ثلاثًا فإنه لم يكن نبي إلا أنذره وإنه فيكم أيتها الأمة وإنه بعد آدم ممسوح العين اليسرى معه جنة ونار ومعه جبال من خبز ونهر من ماء وإنه يمطر المطر ولا

ينبت الشجر وإنه يسلط على نفس فيقتلها ولا يسلط على غيرها وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحًا.

وورد أنه تطوى له الأرض في أربعين يومًا. روى جابر قال: قام رسول الله (ﷺ) ذات يوم على المنبر فقال: يا أيها الناس إني لم أجمعكم لخبر جاء من السماء فذكر الجساسة وزاد فيه هو المسيخ تطوى له الأرض في أربعين يومًا إلا ما كان من طيبة رواه أبو يعلى بسند رجاله رجال الصحيح.

وورد أنه يسيح في الأرض أربعين يومًا كما ورد في رواية للطبراني في «الأوسط» عن جابر عن النبي (ﷺ) قال: يسيح -أي الدجال- الأرض أربعين يومًا يرد كل بلد غير هاتين المدينتين المدينة ومكة حرمها الله عليه يوم من أيامه كالسنة ويوم كالشهر ويوم كالجمعة وبقية أيامه كأيامكم هذه لا يبقى إلا أربعين يومًا.

وروى الطبراني عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: يخرج فيكون في الأرض أربعين صباحًا يرد منها كل منهل إلا الكعبة وبيت المقدس والمدينة.

الباب الثامن والعشرون في ذكر أن المسلمين يقاتلون المسيخ الدجال على نهر الأردن

روى الطبراني والبزار عن نهيك بن صريم السكوني قال: قال رسول الله (ﷺ): لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن أنتم شرقيه وهم غربيه ولا أدري أين الأردن يومئذ. ورجال البزار ثقات.

الباب التاسع والعشرون في ذكر قول النبي (ﷺ) «إن يخرج وأنا فيكم كفيتموه»

وقد كفانا رسول الله (ﷺ) شر المسيخ الدجال إذا خرج وهو حي لمعرفته بعلامة ضلاله وتحققه من إشارات كفره.

روى أحمد في «المسند» عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله (ﷺ) وأنا أبكي فقال: «ما يبكيك»؟ قلت: يا رسول الله ذكرت الدجال فبكيت فقال رسول الله (ﷺ): «إن يخرج وأنا فيكم كفيتموه وإن يخرج بعدي فإن ربكم عز وجل ليس بأعور».

وروى ابن ماجه في «سننه» عن أبي أمامة الباهلي قال: «إن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم وإن يخرج من بعدي فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يمينًا ويعيث شمالًا يا عباد الله فاثبتوا.

الباب الثلاثون في ذكر صفة الحمار الذي يخرج الدجال راكبًا عليه

قال أبو الطفيل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: يخرج الدجال على حمار رجس.

وروى الطبراني: «إذا برز أتته أتان عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعًا فيضع على ظهرها منبرًا من نحاس فيقعد عليه.

«والأتان»: هي أنثى الحمار.

وفي رواية لأحمد في «المسند» بسند صحيح عن جابر بن عبدالله عن النبي (ﷺ): «وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعًا».

وقال كعب الأحبار: ويخرج على حمار له قال: وهو أحمر الحاجبين أشعر الأنف تخرج من خلل أسنانه رائحة لا يشمها أحد إلا صار إليه نتنه.

الباب الحادي والثلاثون في ذكر الآيات التي تظهر قبل خروج الدجال

روى الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: أن قبل خروجه ثلاث سنين

أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها والسنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والسنة الثالثة تمسك السماء فيها كل ذي ضرس وظلف ويسير ومعه جبلان أحدهما فيه أشجار وأثمار وماء وأحدهما فيه دخان فيقول: هذه الجنة وهذه النار.

الباب الثاني والثلاثون في عدد من يسلم من فتنة الدجال

ورد أنه لم يبق من الناس بلا فتنة من الدجال إلا اثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة والله المستعان.

الباب الثالث والثلاثون في ذكر أن الصالحين حصن لأمة محمد (ﷺ) من الدجال

روى الطبراني عن عروة بن الزبير قال: قالت أم سلمة ذكرت الدجال ليلة فلم يأتني نوم فلما أصبحت غدوت على رسول الله (ﷺ) فأخبرته فقال: «لا تفعلي فإنه إن يخرج وأنا فيكم يكفكم الله ربي وإن يخرج بعد أن أموت يكفكموه بالصالحين ثم قام فذكر الدجال.

والذي علمناه من الأحاديث أن الصالحين أمان لأهل الأرض من الفتن الكبرى مثل علامات الساعة والقحط والدجال وغير ذلك.

وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: «إنما تنصرون بضعفائكم».

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن النبي (ﷺ) أنه قال: «رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك».

وروى ابن حبان في «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «هل تدرون من أول من يدخل الجنة من خلق الله؟.

قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقي بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله لملائكته: ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: ربنا نحن سكان سمواتك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم قال: إن هؤلاء كانوا عبادًا لي يعبدوني لا يشركون بي شيئًا وتسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.

قال ابن ماجه في «سننه»: حدثنا هشام بن عمار ثنا سويد بن عبد العزيز عن زيد بن واقد عن بسر بن عبيدالله عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (ﷺ): «ألا أخبرك عن ملوك الجنة؟ قال: بلى قال: «رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره».

الباب الرابع والثلاثون في ذكر السحر الذي يسحر به المسيخ أعين الناس

قد ثبت في الحديث أن معه جنة ونارًا فالتي يقول عنها الجنة هي النار والتي يقول عنها النار هي الجنة.

روى الإمام أحمد في «المسند» عن جابر بن عبدالله عن النبي (ﷺ) أنه قال: «ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول الجنة ونهر يقول النار فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة قال: وتبعث معه شياطين تكلم الناس ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس فيقول الناس: أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب قال: فيفر الناس إلى جبل الدخان في الشام فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدًا شديدًا ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس ما

يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث.

وروى الطبراني عن سلمة بن الأكوع قال: أقبلت مع رسول الله (ﷺ) من العقيق حتى إذا كنا على الثنية التي يقال لها ثنية الحوض التي بالعقيق أومأ بيده قبل المشرق فقال: معه صورتان صورة الجنة وصورة النار معه الشياطين يشبهون بالأموات يقولون للحي: تعرفني أنا أخوك أو أبوك أو ذو قرابة منه.

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: كان رسول الله (ﷺ) في بيتي فذكر الدجال فقال: إن بين يديه ثلاث سنين تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله ولا تبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلكت وإن من أشد فتنته أن يأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك قال: فيقول: بلى فتمثل له الشياطين نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعها وأعظمه أسنمة قال: ويأتي الرجل قد مات أبوه ومات أخوه فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك وأحييت لك أخاك ألست تعلم أني ربك فيقول: بلى فتمثل له الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه ثم خرج رسول الله (ﷺ) لحاجة له ثم ذكر الحديث.

الباب الخامس والثلاثون في ذكر قتل عيسى ابن مريم عليه السلام للمسيخ الدجال

قال ابن ماجة في «سننه»: حدثنا هشام بن عمار ثنا يحي بن حمزة ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثني أبي أنه سمع النّواس بن سمعان الكلابي يقول: ذكر رسول الله (ﷺ) الدجال الغداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا أنه في طائفة النخل فلما رحنا إلى رسول الله (ﷺ) عرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم؟» فقلنا: يا رسول الله ذكرت

الدجال الغداة فخفضت فيه ثم رفعت حتى ظننا أنه في طائفة النخل قال: «غير الدجال أخوفني عليكم: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه قائمة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن رآه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فعاث يمينًا وعاث شمالًا يا عباد الله اثبتوا» قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم».

قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «فاقدروا له قدره» قال: قلنا: فما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح». قال: «فيأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويؤمنون به فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ما بأيديهم شيء ثم يمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فينطلق فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف ضربة فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هم كذلك إذا بعث الله عيسى ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضع كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه ينحدر منه جمان كاللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فينطلق حتى يدركه عند باب لد فيقتله ثم يأتي نبي الله عيسى قومًا قد عصمهم الله فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إليه: يا عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم وأحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله من كل حدب ينسلون.

وروى ابن حبان في «موارد الظمآن» عن مجمع بن جارية عن النبي (ﷺ)

قال: « يقتل ابن مريم الدجال بباب لد ».

وروى ابن حبان في « موارد الظمآن » عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله (ﷺ) وأنا أبكي فقال: ما يبكيك؟

فقلت: يا رسول الله ذكرت الدجال قال: فلا تبكين فإن يخرج وأنا حي أكفيكموه وإن مت فإن ربكم ليس بأعور وإنه يخرج معه اليهود فيسير حتى ينزل بناحية المدينة وهي يومئذ لها سبعة أبواب على كل باب ملكان فيخرج الله شرار أهلها فينطلق يأتي باب لد فينزل عيسى ابن مريم فيقتله ثم يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلًا وحكمًا ومقسطًا.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): « ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عادلًا حكمًا مقسطًا ».

الباب السادس والثلاثون في أن الدجال حيّ الآن موثق في جزيرة

قال ابن ماجة في « سننه »: حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير ثنا أبي ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن مجالد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت: صلى رسول الله (ﷺ) ذات يوم وصعد المنبر وكان لا يصعد عليه قبل ذلك إلا يوم الجمعة فاشتد ذلك على الناس فمن بين قائم وجالس فأشار إليهم بيده أن اقعدوا فإني والله ما قمت مقامي هذا لأمر ينفعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن تميمًا الداري أتاني فأخبرني خبرًا منعني القيلولة من الفرح وقرة العين فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم ألا إن ابن عم لتميم الداري أخبرني أن الريح ألجأتهم إلى جزيرة لا يعرفونها فقعدوا في قوارب السفينة فخرجوا فيها فإذا هم بشيء أهدب أسود قالوا له: ما أنت؟ قال: أنا الجساسة قالوا: أخبرينا قال: ما أنا به خبرتكم شيئًا ولا سائلتكم ولكن هذا الدير قد رمقتموه فأتوه فإن فيه رجلًا بالأشواق إلى أن تخبروه ويخبركم فأتوه فدخلوا عليه فإذا هم

بشيخ موثق شديد الوثاق يظهر الحزن شديد التشكي فقال لهم: من أين؟ قالوا: من الشام قال: ما فعلت العرب؟ قالوا: نحن قوم من العرب عم تسأل؟ قال: ما فعل هذا الرجل الذي خرج فيكم؟ قالوا: خيرًا ناوى قومًا فأظهره الله عليهم فأمرهم اليوم جميع إلههم واحد ودينهم واحد. قال: ما فعلت عين زُغَر؟

قالوا: خيرًا يسقون منها زروعهم ويستقون منها لسقيهم.

قال: فما فعل نخل بيد عَمّان وبَيْسَان؟ قالوا: يطعم ثمره كل عام. قال: فما فعلت بحيرة الطَّبَرِيَّةِ؟ قالوا: تدفق جنباتها من كثرة الماء قال: فزفر ثلاث زفرات ثم قال: لو انفلت من وثاقي هذا لم أدع أرضًا إلا وطئتها برجلي هاتين إلا طيبة ليس لي عليها سبيل.

قال النبي (ﷺ): «إلى هذا ينتهي فرحي هذه طيبة والذي نفسي بيده ما فيها طريق ضيق ولا واسع ولا سهل ولا جبل إلا وعليه ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة».

الباب السابع والثلاثون في ذكر أن لفظ المسيح يقال ويطلق على عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى الدجال أيضاً

وقد اختلف الجمهور والمفسرون في معنى المسيح عيسى ابن مريم ولما سُمِّيَ المسيح؟

فقيل: سمِّي المسيح لأنه كان يمسح ذا العاهة فيتبرأ بإذن الله تعالى.

وقيل: إنما سمِّي المسيح لأنه كان يمسح الأرض في السياحة والسير

وقيل: سمِّي المسيح لمسح زكريا عليه السلام إياه.

وقيل: سمِّي المسيح لأنه كان ممسوح القدمين لا أخمص له.

وقيل: إنما سمِّي المسيح لأن الله تعالى مسحه أن خلقه خلقًا حسنًا. والمسحة: هي الجمال والحسن.

وقيل: سمِّي المسيح لأنه خرج ممسوحًا بالدهن. واختلف لما سمي الدجال المسيح؟

فقيل: إنما سمِّي الدجال مسيحًا لأن إحدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها الأعور يسمى مسيحًا كما في جامع الأصول.

وضبط الكلمة ـأي المسيحـ فبعضهم يكسر الميم في الدجال ويفتحها في عيسى عليه السلام وأنكر هذا الهروي وجعله تصحيفًا فإنه لا فرق في ضبط ـكلمة المسيحـ في عيسى والدجال سواء.

الباب الثامن والثلاثون في ذكر هل كلمة المسيخ بالخاء رواية صحيحة

الثابت عن النبي (ﷺ) والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم والحفاظ أهل الضبط أن كلمة «المسيخ» غير واردة والثابت هو لفظ «المسيح» بالحاء المهملة. وهذا نقل عن أبي عمر بن عبد البر حافظ المغرب وحجتها: أنه قال: ومنهم من قال ذلك بالخاء المعجمة وذلك عند أهل العلم خطأ ولذا ثبت عن النبي (ﷺ) أنه نطق به بالحاء المهملة ونقله الصحابة المبلغون عنه وقال الراجز: «إذا المسيح يقتل المسيحا» يعني عيسى عليه السلام يقتل الدجال. انتهى.

فرواية المسيخ ولفظها غير وارد والمسيح اثنان نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام والدجال ولم يختلف في ضبط المسيح عيسى على ما هو في القرآن وإنما اختلف في معناه.

الباب التاسع والثلاثون في ذكر لما سمى المسيخ الدجال دجالا

قيل إنه سمِّي الدجال: لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال: دجل إذ لبس وموه.

وقيل: مأخوذ من الدجل وهو طلي الجرب بالقطران وتغطيته فكأن الدجل يغطي الحق ويستره.

وقيل: الدجال هو الكذاب.

وقيل: إنه سمي الدجال: لأنه يقطع الأرض ويسير في أكثر نواحيها يقال: دجل الرجل إذا فعل ذلك.

الباب الأربعون في ذكر وصف نادر للمسيخ الدجال وصفه به كعب الأحبار

قال في «نهاية الأرب» في الجزء الرابع عشر في «ذكر خروج الدجال وصفته»: قال كعب: إن الدجال رجل طويل عريض الصدر مطموس العين اليمنى واليسرى كأنها كوكب دري مكتوب بين عينيه «كافر» يقرؤه كل كاتب أو غير كاتب ويدعي أنه الرب ومعه يؤمئذ جبل من خبز وجبل من لحم وأجناس من الفواكه والخمور ومعه أصحاب الملاهي يمشون بين يديه بالطبول والطنابير والمعازف والعيدان والنايات والصنوج وغير ذلك فلا يسمعه أحد إلا وتبعه وفتنه إلا من عصمه الله ويكون معه نار وجنة وهو يقول: من أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني ولم يسجد لي ألقيته في النار قال: وعلامة خروجه أن تهب ريح مثل ريح قوم عاد وتسمع صيحة عظيمة مثل صيحة قوم صالح ويكون مسخًا كمسخ أصحاب الرس وذلك عند ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا أخذوا في سفك الدماء واستحلوا الربا وشيدوا البنيان وشربوا الخمور واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فعند ذلك يخرج الدجال من جهة المشرق من قرية يقال لها سيراباد بين الأهواز وأصبهان ويخرج على حمار له قال: وهو أحمر الحاجبين أشعر الأنف تخرج من خلل أسنانه رائحة لا يشمها أحد إلا صار إليه نتنه في جبهته قرن مكسور تخرج منه الحيات والعقارب محدودب الظهر قد صورت آلات السلاح في جسده حتى الرمح والفأس والسهم الدرق وهو يتناول السحاب بيده ويخوض

البحار إلى كعبيه ويستظل في ظل أذن حماره خلق كثير من أولاد الزنا عليهم خفاف مخروطة لخفافهم مناقير كما قير العقبان لأصابعهم أظافير كالمناجل ومعه قوم من السحرة يقلبون الجبال خبزًا والأنهار شرابًا ولا يطعم ولا يسقى إلا من آمن به. ومعه صاحب لوائه من قريته ينادي بأعلى صوته: هذا ربكم فاعرفوه فإذا سار الدجال سارت معه جبال طعامه وأنهار شرابه وإذا وقف وقفت يطوف الأرض شرقها وغربها حتى يدخل أرض بابل فيلقاه الخَضِر فيقول له الدجال: أنا رب العالمين.

فيقول له الخضر: كذبت يا دجال إن ربّ العالمين ربّ السموات والأرضين فيقتله الدجال ويقول: لو كان لهذا إله كما يزعم لأحياه فيحيي الله الخضر من ساعته فيقوم ويقول: ها أنا يا دجال قد أحياني الله ربي ثم يقبل الخضر على أصحابه ويقول ويلكم لا يفتننكم هذا الكافر ويقال إنه يقتل الخضر ثلاث مرات ويحييه الله تعالى ثم يخرج الدجال نحو مكة فإذا دنا منها رأى الملائكة محدقين بالبيت الحرام قد نشروا أجنحتهم على الكعبة يخرج من خلل أجنحتهم مثل شرر النيران فلا يقدر على دخولها ثم يسير إلى المدينة كذلك ثم يمضي إلى بيت المقدس فلا يقدر على دخوله لكثرة من حوله من الملائكة واختلف في مدة إقامته في الأرض فقيل: أربعين سنة وقيل أربعين يومًا.

الباب الحادي والأربعون في ذكر خروج يأجوج ومأجوج

قال الله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ قال ابن ماجه في «سننه» حدثنا أزهر بن مروان ثنا عبد الأعلى ثنا سعيد عن قتادة قال: حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا فيعيده الله أشد ما كان حتى

إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فتحفرونه غدًا إن شاء الله تعالى واستثنى فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم الذي اجْفَظَّ فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله نَغَفًا في أقفائهم فيقتلهم بها » قال رسول الله (ﷺ): « والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرًا من لحومهم »

في « الزوائد »: إسناده صحيح رجاله ثقات ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وقال ابن ماجه في « سننه »: حدثنا محمد بن بشار ثنا يزيد بن هارون ثنا العوام بن حوشب حدثني جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن عبدالله بن مسعود قال: لما كان ليلة أسري برسول الله (ﷺ) لقي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم فَرُدَّ الحديثُ إلى عيسى ابن مريم فقال: قد عُهِدَ إليَّ فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكر خروج الدجال قال: فأنزل فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إلى الله فأدعو الله أن يميتهم فتنتن الأرض من ريحهم فيجأرون إلى الله فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيلقيهم في البحر ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم فعُهِدَ إليَّ متى كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التي يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها.

قال العوام: ووجد تصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون**﴾.

قال في « الزوائد »: هذا إسناده صحيح ورجاله ثقات ومؤثر بن عفازة

ذكره ابن حبان في «الثقات» وباقي رجال الإسناد ثقات ورواه الحاكم وقال: هذا صحيح الإسناد.

قال ابن ماجة في «سننه»: حدثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة ثنا ابن جابر عن يحيى بن جابر الطائي حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان يقول: قال رسول الله (ﷺ): «سيوقد المسلمون من قِسِيِّ يأجوج ومأجوج ونُشَّابِهِمْ وأترستهم سبع سنين».

وروى ابن حبان في «موارد الظمآن» عن أم حبيبة قالت: «استيقظ النبي (ﷺ) وهو يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج ومأجوج وحلق بيده عشرة».

قالت: قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث.

قال ابن حبان في «موارد الظمآن»: أخبرنا أبو عروبة حدثنا محمد بن وهب بن أبي كرمية حدثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن عبدالله بن مسعود عن النبي (ﷺ) قال: «إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفًا من الذرية إن من ورائهم أممًا ثلاثًا: منسك وتاويل وتاريس لا يعلم عددهم إلا الله».

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن ابن حرملة وهو خالد بن عبدالله بن حرملة عن خالته قالت: خطب رسول الله (ﷺ) وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب فقال: إنكم تقولون لا عدو وإنكم لن تزالوا تقاتلوا حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف ومن كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة.

روى أبو القاسم الطبراني في «الأوسط» عن حذيفة بن اليمان قال: سألت رسول الله (ﷺ) عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج ومأجوج أمة كل أمة

أربعمائة ألف أمة لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه كل قد حمل السلاح قلت: يا رسول الله صفهم لنا قال: هم ثلاثة أصناف فصنف منهم أمثال الأرز قلت: وما الأرز قال: شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء فقال رسول الله (ﷺ): هؤلاء الذين لا يقوم لهم حيل ولا حديد وصنف منهم يفترش بأذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية.

الباب الثاني والأربعون في ذكر نوادر متفرقة عن يأجوج ومأجوج

اعلم أنَّ ما ينسبه في الكتب بعض العلماء أن آدم احتلم فجاء منه يأجوج ومأجوج غير صحيح وهو ما قاله كعب الأحبار: احتلم آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك.

وهذا هراء لكون الأنبياء لا يحتلمون وهم بالإجماع منزهون ومعصومون عن هذه النقائص.

سئل الإمام النووي: هل يأجوج ومأجوج من ولد حواء وكم يعيش كل واحد منهم؟ فأجاب: هم من ولد آدم وحواء عليهما السلام عند أكثر العلماء.

وقيل: إنهم من آدم دون حواء.

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وأن النبي (ﷺ) سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك فقال: «جزت ليلة أسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا» انتهى.

وروى أبو الشيخ عن أبي أمامة: «الدنيا سبعة أقاليم فيأجوج ومأجوج ستة والباقي إقليم واحد».

ولفظ يأجوج ومأجوج يهمزان ولا يهمزان لغتان وقرىء بهما فمن همزها

جعلهما من أجيج النار وهو ضوؤها وحرارتها وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم وقيل: من الأجاج وهو الماء المالح وقيل: هم اسمان أعجميان غير مشتقين.

الباب الثالث والأربعون في ذكر الدابة

قال الله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾. أخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الخوان ليجتمعوا فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر».

وأخرج البخاري في «التاريخ الكبير» وأبو نعيم في «حلية الأولياء» عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرون فيكم ثم يشتري الرجل الدابة فيقول: ممن اشتريت فيقول: من الرجل المخطم».

وفي «حياة الحيوان» للدميري جاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنها أي الجساسة دابة الأرض المذكورة في القرآن قال: وهي عزيزة ببحر القلزم.

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: «بئس الشعب شعب أجياد» قالها مرتين أو ثلاثًا. قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟

قال: «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من في الخافقين».

وأخرج نعيم بن حماد في «الفتن» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا يلبثون -يعني الناس- بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها وجفت الأقلام وطويت الصحف ولا يقبل لأحد توبة ويخر إبليس ساجدًا

ينادي: إلهي مرني أسجد لمن شئت وتجتمع إليه الشياطين تقول: يا سيدنا إلى من تفزع فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى يوم البعث فأنظرني إلى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم وتصير الشياطين ظاهرة في الأرض حتى يقول الرجل: هذا قريني الذي كان يغويني فالحمدلله الذي أخزاه ولا يزال إبليس ساجدًا باكيًا حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أراه النبي (ﷺ) المكان الذي تخرج منه الدابة.

قال الحافظ السخاوي في «القناعة في أشراط الساعة»: وخروجها في آخر الزمان من مكة إما من صدع الصفا وبه جزم غير واحد أو من المروة من شعب أجياد أو من بعض أودية تهامة أو من وراء مكة أو من مدينة قوم لوط.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن أبي الطفيل عن أبي سريحة عن النبي (ﷺ) عليه وسلم قال: «يكون للدابة ثلاث خرجات في الدهر تخرج في أول خرجة في أقصى اليمن منتشرًا ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية -يعني مكة- ثم تمكث زمانًا طويلًا تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ثم بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله يعني -المسجد الحرام- لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد من الركن الأسود.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن حذيفة بن أسيد أراه رفعه قال: تخرج الدابة من أعظم المساجد فبينا هم إذ دبت الأرض فبينا هم كذلك إذ تصدعت

قال ابن عيينة: تخرج حتى يسري الإمام جمع وإنما جعل سابقًا ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج.

الباب الرابع والأربعون في ذكر تكذيب الخبر القائل: «دابة الأرض علي بن أبي طالب»

ورد في «الميزان» للحافظ الذهبي عن جابر الجعفي أنه كان يقول: «دابة الأرض علي بن أبي طالب»

قال الذهبي: وكان جابر الجعفي شيعيًا يرى الرجعة أي أن عليًا يرجع إلى الدنيا.

وقال أبو حنيفة: ما لقيت أحدًا أكذب من جابر الجعفي ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح وقال الشافعي: أخبرني سفيان بن عيينه قال: كنا في منزل جابر الجعفي فتكلم بشيء فنزلنا خوفًا أن يقع علينا السقف.

وقال أبو عبد الرحمن النسائي: متروك وقال الحافظ المنذري في آخر كتابه «الترغيب والترهيب»: جابر بن يزيد الجعفي الكوفي عالم الشيعة ترك يحي القطان حديثه.

وقال ابن الأثير في «جامع الأصول»: جابر بن يزيد الجعفي ويقال أبو محمد من أهل الكوفة مشهور وكان من أصحاب عبدالله بن سبأ وكان يقول: إن علي بن أبي طالب يرجع إلى الدنيا.

وورد عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قيل له: إن ناسًا يزعمون أنك دابة الأرض.

فقال: والله إن لدابة الأرض ريشًا وزغبًا وما لي ريش ولا زغب وإن لها حافرًا وإنها تخرج حضر الفرس الجواد ثلاثًا وما خرج ثلثاها.

الباب الخامس والأربعون في ذكر نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾. روى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ)

قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها».

ثم قال أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا﴾.

وروى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) أنه قال: «والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلًا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعفن الجزيـة ولتتركـن القلائـص فلا يسقـى عليهـا ولتـذهبن الشحنـاء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد.

وروى مسلم في «صحيحه» عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيملكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة.

وروى الترمذي بسند حسن قال عبدالله بن سَلاَم رضي الله عنه: مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى ابن مريم صلى الله عليهما وسلم ويدفن عيسى مع محمد (ﷺ).

وروى أحمد في «المسند» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حكمًا مقسطًا وإمامًا عدلًا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتكون الدعوة واحدة فاقرأوه أو أقرِئوه السلام من رسول الله (ﷺ) وأحدثه فيصدقني فلما حضرته الوفاة قال: أقرِئوه منه السلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم (ﷺ) فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام». رواه أحمد بإسنادين مرفوع وهو هذا وموقوف ورجالها رجال الصحيح.

وقد أجمعت الأمة على نزول عيسى عليه السلام ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافهم.

وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة.

الباب السادس والأربعون في ذكر فوائد تتعلق بنزول المسيح

ورد في «المنتظم» لابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيتزوج ويولد له».

وذكر بعضهم له ولدين يولدان أحدهما يسميه موسى والثاني يسميه محمدًا ووالدتهما من اليزد.

قال (ﷺ): «ويمكث خمسًا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى في قبر واحد بين أبي بكر وعمر».

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يلبث عيسى ابن مريم أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي عسلًا لسالت».

وروى الإمام أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وابن جرير وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا محمد (ﷺ).

« إشارة إلى مقدار مدة بقائه ووفاته »

الثابت أنه عليه السلام ينزل فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا محمد (ﷺ)

روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) أنه قال: « ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة ».

وفي حديث عن النبي (ﷺ) أنه قال: ويمكث خمسًا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى في قبر واحد بين أبي بكر وعمر ».

« إشارة إلى وقت نزوله ومكانه »

ومحل نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق كما روى ذلك مسلم في صحيحه.

وقيل: يكون نزول عيسى ابن مريم عليه السلام لست ساعات مضت من النهار حتى يأتي مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو ألقي شيء لم يصب إلا رأس إنسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال.

وروى مسلم في « صحيحه » عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) أنه قال: « فبينما هو -أي الدجال- كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين وذكر الحديث.

الباب السابع والأربعون في ذكر خروج المهدي المنتظر

اشتهر بين العلماء سلفًا وخلفًا أن المهدي في آخر الزمان لا بد من ظهوره وهو رجل من أهل البيت يستولي على الممالك الإسلامية ويتبعه المسلمون ويعدل بينهم ويؤيد الدين وبعده يظهر الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله أو يتعاون عيسى مع المهدي على قتله.

وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة وخرجها أكابر المحدثين كأبي داود والترمذي وابن ماجه والطبراني وأبي يعلى والبزاز والإمام أحمد والحاكم.

ولقد أخطأ من ضعف أحاديث المهدي كلها كابن خلدون وغيره:

وما روى من حديث: « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » فضعيف كما قاله البيهقي والحاكم.

أما اسم المهدي ففي أكثر الروايات أنه محمد وفي بعضها أنه أحمد واسم أبيه عبدالله فقد ورد بل صح عنه (ﷺ) كما عند أبي داود والترمذي وقال: حسن صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: « يواطىء أي يوافق اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ».

روى مسلم في « صحيحه » عن أبي نضرة رضي الله عنه قال: كنا عند جابر رضي الله عنه فقال: يوشك أهل العراق ألا يجيء إليهم قفيز ولا درهم قلنا: من أين ذاك؟ قال: العجم يمنعون ذاك.

ثم قال: يوشك أهل الشام ألا يجيء إليهم دينار ولا مُدْي.

قلنا: من أين ذاك؟

قال: من قبل الروم ثم سكت هنية ثم قال: قال رسول الله (ﷺ): يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا لا يعده عدًا قلت لأبي نضرة: أترى أنه

عمر بن عبد العزيز قال: لا.

وروى مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيًا لا يعده عدًا.

وروى أبو داود والحاكم في «المستدرك» عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي (ﷺ) قال: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة».

وروى الحاكم في «المستدرك» وأبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».

وروى أبو داود عن علي رضي الله عنها قال: وقد نظر إلى ابنه الحسن: إن ابني هذا سيدكما سماه النبي (ﷺ) وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخلق.

وروى أبو داود عن علي رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطيء أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله (ﷺ) وجب على كل مؤمن نصره أو إجابته.

وروى الترمذي عن أبي سعيد قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث فسألنا نبي الله (ﷺ). فقال: إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين قال: فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني قال: فيحثو له في ثوبه ما استطاع أن يحمله.

وروى ابن الإسكاف بسند مرضٍ إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): «من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر». وأخرج نعيم بن حماد في «الفتن» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي (ﷺ) واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس». وأخرج أبو نعيم في «مناقب المهدي» وأبو

بكر بن المقري في «معجمه» عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: «يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة».

وأخرج أبو عمرو في «سننه» ونعيم بن حماد في «الفتن» قال كعب الأحبار: إني لأجد المهدي مكتوبًا في أسفار الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب» وفي رواية لأبي نعيم في «مناقب المهدي» بكتفه اليمنى خال.

وأخرج أبو نعيم في «مناقب المهدي»: «المهدي أزج أبلج أعين يجيء من الحجاز حتى يستوي على مسجد دمشق».

«إشارة في سبب تسميته المهدي»

ورد عن كعب الأخبار أنه سُمّي المهدي لأنه يهدي إلى أمر خفي وسيخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال له أنطاكية أخرجه أبو نعيم في كتاب «الفتن».

وذكر أبو عمرو الداني قال: إنما سُمّي المهدي لأنه يهدي إلى جبل من جبال الشام يستخرج منها أسفار التوراة يحاج بها اليهود فيسلم على يده جماعة منهم.

«إشارة إلى علامات ظهوره»

فمن علامات ظهوره:

«الأول»: «كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والظلمة».

«الثاني»: سماع الصوت برمضان.

«الثالث»: تحارب القبائل بذي القعدة.

«الرابع»: ظهور الخسف والفتن.

«الخامس»: ظهور قميص رسول الله (ﷺ) معه وسيفه.

«السادس»: يغرس قضيبًا يابسًا في أرض يابسة فيخضر ويورق.

«السابع»: يطلب منه آية فيومىء إلى طير في الهواء بيده فيسقط على يده.

«الثامن»: تخرج الأرض أفلاذ كبدها مثل الإسطوانات من الذهب.

«التاسع»: يخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل الله.

«العاشر»: يستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية أو من بحيرة طبرية.

«الحادي عشر»: ينحسر الفرات عن جبل من ذهب.

«إشارات إلى مجمل أوصافه»

كث اللحية. أكحل العينين. براق الثنايا في وجهه خال ـأي حسنةـ أقنى. أجلى في كتفه علامة النبي (ﷺ).

وقيل: هو شاب مربوع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه.

وقيل: وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي.

الباب الثامن والأربعون في
ذكر طلوع الشمس من مغربها

قال الله تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا﴾.

وأجمع المفسرون وجمهور الحفاظ على أن الشمس تطلع من مغربها.

أخرج الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها».

وروى الطبراني في «الكبير» عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله

(ﷺ): إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجدًا ينادي ويجهر: إلٰهي مرني أن أسجد لمن شئت قال: فتجتمع إليه زبانية فيقولون: يا سيدهم ما هذا التضرع فيقول: إنما سألت ربي عز وجل أن ينظرني إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم قال: ثم تخرج الدابة من صدع في الصفا فأول خطوة تضعها بأنطاكية فتأتي إبليس فتلطمه.

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أبي أمامة قال: قال رسول الله (ﷺ): أول الآيات طلوع الشمس من مغربها.

وأخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله (ﷺ) عشية من العشيات فقال: «يا عباد الله توبوا إلى الله- مرات- فإنكم توشكون أن تروا الشمس من المغرب فإذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوي ختم الإيمان».

وأخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنازير تطوي الدواوين وتجف الأقلام لا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا».

الباب التاسع والأربعون في ذكر الدخان

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾.

وأخرج مسلم في «صحيحه» عن حذيفة بن أسيد قال: طلع علينا رسول الله (ﷺ) ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون» قالوا: الساعة يا رسول الله.

قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» وذكروا الدخان وفي البخاري ومسلم قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «خمس قد مضين

الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر» واختلف العلماء في الدخان هل هو مضى أو سيأتي بعد ذلك؟.

فطائفة منهم قالت: الدخان آية ظهرت وانتهت واختصت بقريش لما دعا عليهم رسول الله (ﷺ) فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حصدت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم إلى السماء فيرى كهيئة الدخان».

والطائفة الثانية قالت: هو آت ولم يظهر بعد وهو رأي جمهور العلماء.

أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «آية الدخان لم تمض بعد يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينقد».

وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول «إن الدخان دخانان» وكان ينكر أن الدخان قد مضى.

فالثابت من قوله: «هما دخانان مضى واحد والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة وأما الكافر فيشق مسامعه فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس».

الباب الخمسون في ذكر هدم الكعبة

ومن الآيات الرهيبة التي تظهر بين يدي الساعة هدم الكعبة حجرًا حجرًا والذي يهدمها رجل يدعى ذو السويقتين وهما تصغير ساقين ويشير إلى أنه دقيق الساقين وورد أنه حبشي أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن أفيحج أصيلع أفيدع يهدم الكعبة بمسحاته ومعوله.

واختلفوا في زمن هدم الكعبة هل هو قبل عيسى ابن مريم عليه السلام أم بعده فالثابت وهو رأي الجمهور أنه بعد نزوله وموته لكونه ورد في الحديث

الصحيح أن عيسى عليه السلام يحج ويعتمر فلا بد من وجودها في زمنه.

قال الشيخ مرعي في « البهجة »: جاء عن الثقات الحفاظ: يمكث الناس ما شاء الله تعالى في الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة قال: ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها أبدًا وهم الذين يستخرجون كنوز مصر.

روى الشيخان والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) أنه قال: « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ».

وأخرج الأزرقي في « أخبار مكة » عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): « يجيش البحر عن فئة من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهي إلى الكعبة فيخربونها والذي نفسي بيده إني لكأني أنظر إلى صفته في كتاب الله أفيحج أصيلع أفيدع قائمًا يهدمها بمسحاته أو معوله ».

وأخرج الإمام أحمد في المسند » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) أنه قال: « ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها كأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله ».

الباب الحادي والخمسون في ذكر خراب المدينة

ثبت وصح عن رسول الله (ﷺ) أن بيت المقدس إذا عمر وسرى فيه العمران فهذه علامة خراب المدينة.

أخرج النسائي والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعًا: « آخر قرية من قرى الإسلام خرابًا المدينة » قال الترمذي: حسن غريب.

وروى الشيخان البخاري ومسلم: « لتتركن المدينة على خير ما كانت مذللة ثمارها لا يغشاها إلا العوافي الطير والسباع ».

وروى ابن حبان في « صحيحه »: « آخر قرية في الإسلام خرابًا المدينة ».

وروى الطبراني عن النبي (ﷺ) أنه قال: سيبلغ البناء سلعًا ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول: قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وعفو الأثر».

وأخرج المرجاني عن جابر مرفوعًا في «أخبار المدينة»: «ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون إيمان إلا بها».

وصح في كتب الحديث أن النبي (ﷺ) قال: «إن الدين ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها».

فتعين لنا أن المدينة هي آخر مدن المسلمين بقاء لوجود الجسد المحمدي الشريف فيها وأن الدجال لا يدخلها وأنها مسورة بسور من الملائكة صافين عليها وتقذف كل منافق منها.

واختلف العلماء في تفضيل مكة والمدينة فطائفة فضلت مكة على المدينة لوجود الكعبة بها ولقوله (ﷺ): «والله إنك لأحب بلاد الله إليّ ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت».

وطائفة قالت وهو مذهبي بتفضيل المدينة على مكة لوجود الجسد المحمدي الشريف فيها وهو الأصح والأذوق لكونه (ﷺ) فضل الوجود وأعلى الكائنات الآدمية وهو قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

فالبلد التي ضمته هي أفضل بلاد الأرض وأبرك بقعة شرفت وهذا لا يعرفه إلا أولياء الله العارفين بحقوقه (ﷺ) الذائبين في عشقه ومحبته حتى ورد في مناقب الإمام مالك رضي الله عنه أنه كان لا يمشي في المدينة إلا حافيًا ويقول: «أستحي أن أطأ أرضًا وطأها رسول الله (ﷺ) بحذاء. فانظر عظم أدب هؤلاء الأكابر مع الحضرة المصطفوية المباركة.

وقد حدثني شيخي وأستاذي العارف الكامل والبحر المحيط الشامل سيدي الوالد رضي الله عنه قال: لا يستطيع أي ولي كامل إظهار كرامة في مدينة رسول الله (ﷺ) فإن العجز الكلي يملكه بأنواره (ﷺ) فيقهره من إظهار

الكرامة فإنهم مستمدون من حضرته المباركة (ﷺ) فكيف يظهر الفرع ما عند الأصل موجود منه مثل أطنان السموات والأرض».

الباب الثاني والخمسون في ذكر رفع القرآن

ولما يتفحل الأمر ويرى الحق تعالى أن البقية الباقية التي على وجه الأرض في ذلك الوقت من الخلق هم شرارها وأراذلها فحينذاك يرفع القرآن فإن القرآن لا يبقى إلا في وسط قوم مباركين طاهرين فما بقاؤه وسط قوم زناة أنجاس كالتيوس. ذهبت منهم العقول. وفرت عنهم الأحلام والألباب. فسحقًا لهم ولطينة العدم المرذولة فيهم

ورفع القرآن على مراحل:

«المرحلة الأولى»: يرفع أولًا من المصاحف وذلك أنهم يبيتون فيصبحون وليس في المصحف حروف مكتوبة إلا البياض في الأوراق.

«المرحلة الثانية»: يرفع من الصدور فلا يستطيع أحدهم قراءة شيء منه حتى فاتحة الكتاب حتى يقول الرجل منهم للآخر: «كنت أحفظ الفاتحة ولا أدري ما هي الآن».

«المرحلة الثالثة»: رفع أوراق المصحف فيبحثون عن المصاحف فلا يجدونها في بيوتهم ولا في مساجدهم.

«المرحلة الرابعة»: نسيان المصحف نهائيًّا من عقولهم فلا يذكرون المصاحف ولا يعرفون شيئًا عنها وهذه المرحلة تكون بعد الثالثة حينذاك لا صلاة ولا صيام ولا ذكر على وجه الأرض وهذا معنى قوله (ﷺ): «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله» أخرجه الإمام في «المسند» عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا بسند قوي.

أخرج ابن ماجه في «سننه» في حذيفة بن اليان رضي الله عنه مرفوعًا: «يدرس الإسلام حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة

ويسري على كتاب الله تعالى في الله فلا يبقى في الأرض منه آية ».

وأخرج السجزي عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا: « لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن والقرآن ».

وأخرج الضياء في « المختارة » والحاكم في « المستدرك » بسند صحيح عن حذيفة رضي الله عنه قال: « يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسري على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها ».

الباب الثالث والخمسون في ذكر خروج نار من قعر عدن

ومن أشراط الساعة خروج النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر.

أخرج البخاري في « الجامع الصحيح » عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): « أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب ».

وقيل تخرج هذه النار من حضرموت. أخرج الإمام أحمد في « المسند » عن ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا: « ستخرج نار من حضرموت أو بحضرموت مثل يوم القيامة تحشر الناس». قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: « عليكم بالشام ». قال الترمذي: حسن صحيح.

وقيل: تخرج هذه النار من وادي يقال له: « برهوت » أخرج ابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا: « لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار. ولها بين السماء والأرض دوي كدوي الرعد القاصف. هي

من رؤس الخلائق أدنى من العرش. قيل: يا رسول الله أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات؟

قال: وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ؟ شر من الحمر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول: مه مه.

وقيل: تخرج هذه النار من حبس سيل. أخرج البغوي والبارودي وابن حبان: يوشك أن تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الإبل تسير بالنهار وتقيم بالليل. تغدو وتروح.

يقال: غدت النار أيها الناس فاغدوا.

قالت: أيها الناس فقيلوا راحت النار أيها الناس فروحوا من أدركته أكلته.

الباب الرابع والخمسون في ذكر الريح التي تقبض روح كل مؤمن

يبعث الحق تعالى ريحًا فتقبض روح كل مؤمن ولا يبقى في ذلك الوقت إلا شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمر ـ أي يتسافدون تسافد الحمر جمع حمار ـ وعليهم تقوم الساعة.

أخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان: «فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «أن الله يبعث ريحًا من اليمن ألين من الحديد فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلا قبضته».

انتهى بعون الله كتاب

«تحذير الرجال من فضائح المسيح الدجال».

كتاب
اللؤلؤ المنثور
في أحوال الموتى وأهل القبور

المقدمة

الحمد لله، الذي خلق الحياة والموت وجعل ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. فإنه لا يتذكر الموت إلا فتى من أهل المعرفة وحيذ في عرفانه فريد.

ما هو لغز الموت. ما بدايته. ما نهايته ولما خلق ولأي غرض خلق وما المقصود منه؟ ومن يطلبه ومن يرفضه وهل هو الراحة العظمى لأهل الإيمان أم النكبة العظمى على أهل الجحود والطغيان وما سر تذكر الجهابذة والأحبار لصورة الموت؟ وما ذاك إلا لكونه حققهم من فناء هذه الدار التي هي دار البوار والغرور والشرور فإن الموت هو الحياة العظمى والسعادة القصوى من يفقه سره إلا فقيه ومن يلحن سر خلوده إلا لوذعي نبيه.

فإن ألسنة قلوب أولي العزم تطلب مقام الموت لكي لا تموت لأنها علمت وتحققت وتروحنت أنها إن لم تمت فلن تحيا فمن مات لم يمت ومن لم يمت فهو الميت.

إنني إلهي أتمنى أن أموت لكي احيا معك إلى أبد الآبدين. ودهر الداهرين. وأصحبك هناك عند الكثيب بلا انقطاع بل نكون سرمدًا في اجتماع.

حبيبي دعني أقدم لك نفسي الفداء فإن الموت هين في سبيلك. وجلالي يبدو من جميلك فأنا أعشقك وفانٍ فيك. وأنت تسري في دمي وروحي يحويك.

من الميت إلا من أبغضك وقلاك وجفاك فهذا هو الميت الحقيقي.

إن القبور لتضحك مما تحويه في بطونها وما سكن في عيونها تزفر وتقول: كم من ميت فيَّ حي وكم من حي على ظهري ميت. ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ لا راحة إلا بك أيها الموت أي الحياة السرمدية والخلود مع رب البرية.

تعسًا لمن أبغضك يا موت فإنه سيذوقك قهرًا ويتجرع غصصك ويشرب مرك. أما ذاك الشهيد والعارف الفاني الوحيد والعاشق الواله المتأله الفريد. فلا موت ولا حياة. كلها ألفاظ مستحدثة بل هو مع الرب في هذه الدار وغيرها ومن قبلها ومن بعدها ذاك المتدلل الأملس اللين الذي يبقى جسده في التراب غضًا ناعمًا إلى يوم أن يلقى حبيب الروح ليشرح له ويشتفي من نظره ويمرح في نعيمه الذي لا يزول وجاهه الذي لا يؤول فهذا سر الموت وناموسه فهل تراك فقهته يا فقيه الأولياء وترجمان الأصفياء.

الفصل الأول في المعنى الذوقي للقبر

اعلم أن القبر له لغتان في ذوقنا لغة الباطن ولغة الظاهر.

فلغة الظاهر أحجار وعظام بادية وتراب ورمم لنفسها ناعية وهذه اللغة هي مبلغ العلم عند الناس لا سيما عامتهم وأهل المادة المجسمين المتحجرين منهم.

وأما لغة الباطن فإنها لغة أهل الحق تعالى العارفين بالله السادة الصوفية أهل الملامة الذين هجروا حظوظ النفس وشهوات الجسد الفاني وتعلقوا بالباقي وهؤلاء عندهم لغة القبر لغة معنوية لا تتعلق بالأحجار والتراب والعظام

والرمم: بل تعلقها بعالم نحن عنه محجوبون هو عالم الروح المتجرد والسلطان الباقي الخالد فإن الروح هو الباقي الخالد والجسد هو الفاني الهالك وقد اتفق أهل الله أن الروح لا يفنى أصلًا بل هو باقٍ يسبح في ناموس الخلود وإنما الفناء واقع على الجسد الترابي الذي يتحلل وبتحلله يتحرر الروح فيصبح روحًا مجردًا يطير في ملكوت الله ويسبح في بحار الأنوار فالقبر يا ولي الله اعلم أنه أول مراحل الذوق الحقيقي لهذا الآدمي الذي يكشف له فيه عن العالم الأخروي فيراه عيانًا متحققًا فيه على قدر مقامه. فأهل الجحيم يكشف لهم عن مصيرهم الناري الجهنمي. وأهل النعيم يكشف لهم عن الذي أعده الحق تعالى لهم من المنن الكبرى والنعم العظمى.

فاعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن القبر هو لغة الحركة لا لغة السكون وهو لغة المعنى لا لغة الحس وهو لغة الخلود لا لغة الموت.

الفصل الثاني في بيان أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار

ودلت الآثار الواردة عن النبي ﷺ أن القبر ينقسم إلى قسمين قسم لأهل الجحيم وقسم لأهل النعيم وأن هذا القبر هو أول منازل الجزاء الأخروي وأن كل قبر هو صورة صاحبه الذي دفن فيه وما هو إلا صورة طبق الأصل من الذي كان يعمله في الدار الدنيا إلا أن يتغمده الله برحمة منه. روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة».

قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال القرطبي: قوله: «روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» محمول عندنا على الحقيقة لا المجاز وأن القبر يملأ على المؤمن خضرًا وهو العشب من النبات وقد عينه ابن عمرو في حديثه أنه الريحان.

الفصل الثالث في بيان أن الموت راحة للعباد

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن الموت هو الراحة الكبرى لأهل الايمان من عذاب هذه الفانية والزائلة الغانية ولهذا تمناه الأنبياء والصالحون حتى يلاقوا الحق سبحانه وتعالى فإنه لا يموت نبي حتى يخيره الحق سبحانه وتعالى فلا يختار إلا أن يلاقيه. ولهذا كان الموت هو راحة الأنبياء الكبرى لما فيه من لقاء الحق تعالى.

أخرج الشيخان البخاري ومسلم والنسائي عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فقال: «مستريح ومستراح منه».

فقالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟

فقال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبادر والشجر والدواب».

فعلمنا أن الموت راحة لأهل الإيمان وكذا راحة لأهل الجحيم وهذا القول آية قول الحق تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾. فإن رحمته سائرة بالخلائق نحو عين ناموس الراحة أي وضع كل عين فيما يريحها وإن لم تر هي تلك الراحة بعين الحق الواضح.

الفصل الرابع في صفة أعمار أمة سيدنا محمد ﷺ

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين وأقلهم من يجوز ذلك».

ومن العجيب أن عمر النبي ﷺ كان على قدمه كل الخلفاء الراشدين

وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم. وهذا دال على تعلق هؤلاء بالمقام المحمدي المنيف والتقليد البحت حتى في سلطان العمر. فهؤلاء الخلفاء هم أقطاب الآية القائلة: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾. وكانت أعمار الأنبياء السابقين وأممهم تصل إلى المئات من السنين.

قال الله تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿**ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا**﴾.

وروى البيهقي وابن أبي حاتم أن النبي ﷺ ذكر رجلًا من بني إسرائيل حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله ليلة القدر وهي خير من ألف شهر تعويضًا لهم من قصر أعمارهم فيبلغون السابقين وقد سبقوهم بفضل الله تعالى قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت **للناس**﴾.

وروى الإمام مالك في «الموطأ» عن النبي ﷺ أنه أُرِيَ أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر.

وروى ابن أبي حاتم بسنده أن رسول الله ﷺ ذكر يومًا أربعة من أنبياء بني إسرائيل وهم: أيوب وزكريا وحزقيل ويوشع بن نون عليهم الصلاة والسلام عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فعجب أصحاب النبي ﷺ من ذلك فأتاه جبريل فقال: عجبت أمتك من هذا إن الله تعالى أنزل ليكم خيرًا من ذلك فقرأ عليه: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ وقال: هذا أفضل مما عجبت منه أمتك فسر ذلك النبي ﷺ والناس معه.

الفصل الخامس في النهي عن تمني الموت عند وقوع المصيبة

وقد نهى النبي ﷺ المؤمنين من أن يتمنوا الموت ويطلبوه عند نزول البلاء وعليهم أن يرضوا بقضاء الله تعالى.

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي الله عليه ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد متمنيًا للموت فليقل: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي».

وفي رواية: قال قيس: أتيت خبابًا وقد اكتوى في بطنه سبعًا فسمعته يقول: لولا أن النبي نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به.

الفصل السادس في بيان أنه يجب على المؤمن أن يحب لقاء الله تعالى

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن لقاء الله سبحانه وتعالى يجب أن يحبه العارفون بالله تعالى وإلا فسدت معرفتهم بالله تعالى كيف لا يتمنون أن يلتقوا بالمحبوب الأعظم.

روى البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت.

قال: «ليس ذاك ولكن المؤمن إذا احضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه».

الفصل السابع في بيان أن الميت يعذب بنواح أهله عليه

روى البخاري ومسلم عن المغيرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نيح عليه يعذب بما نيح عليه».

وروى الترمذي بسند حسن عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: واجبلاه واسنداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت».

وأخرج البخاري عن النبي ﷺ أنه مر على يهودية يبكي عليها أهلها فقال: إنهم يبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها».

وروى البخاري ذُكِرَ لعائشة قولُ عمر: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه» فقالت: رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله ﷺ بذلك ولكن قال: «إن الله يزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه».

الفصل الثامن في ذكر أن المؤمن يرى ملك الموت وهو في النزع قبل أن تخرج روحه

قال الإمام أحمد في «المسند»: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمر وعن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثًا ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه الملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله: اكتبوا كتاب عندي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه

ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: وما علمك، فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول له: أبشر بالذي كنت يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة: اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتفرق في جسده فينتزعه كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحًا ثم قرأ ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء أن كذب

عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسؤوك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: ومن أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة».

الفصل التاسع في بيان أن روح المؤمن تعاد إلى جسده وهو في قبره

أخرج ابن أبي الدنيا عن حذيفة قال: «الروح بيد ملك وإن الجسد ليغسل وإن الملك ليمشي معه إلى القبر فإذا سوى عليه سلك فيه فذلك حين يخاطب».

وأخرج البيهقي في كتاب «عذاب القبر» من طريق عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد عن حنيفة أنه قال: «الروح بيد الملك والجسد يقلب فإذا حملوه تبعهم فإذا وضع في القبر بثه فيه».

واعلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم قد أعيدت إليهم أرواحهم، قال مولانا علي حرازم في كتابه «الرماح»: الفصل الحادي والثلاثون في إعلامهم أن الأولياء يرون النبي ﷺ يقظة وأنه ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها. انتهى.

قال أحمد بن المبارك صاحب «الإبريز»: سمعت رجلًا يقول: ذهبت إلى الحج فلما زرت قبر النبي ﷺ أخذتني حالة وقلت: يا رسول الله ما ظننت أني أصل إلى مدينتكم ثم أرجع إلى فاس فسمعت صوتًا من قبل القبر الشريف وهو يقول: إن كنت محزونًا في هذا القبر فمن جاء منكم فليبق هاهنا وإن

كنت مع أمتي حيثما كانت فارجعوا إلى بلادكم قال: فرجعت إلى بلادي. انتهى.

قال الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك»: وقد ذكر عن بعض الصحابة وأظنه ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى النبي ﷺ في النوم فتذكر حديثه ﷺ الذي فيه يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» وبقي متفكرًا فيه ثم دخل على بعض أزواج النبي ﷺ أظنها ميمونة فقص عليها قصته فقامت وأخرجت له مرآته ﷺ قال رضي الله تعالى عنه: فنظـرت في المرآة فرأيت صورة النبي ﷺ ولم أر لنفسي صورة. انتهى.

قال البيهقي في كتاب «الاعتقاد»: الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء وقد رأى النبي ﷺ ليلة المعراج جماعة منهم وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه. انتهى.

الفصل العاشر في ذكر أن الأنبياء أحياء بعد موتهم

أخرج أبو يعلى في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الأنبياء لا يتحركون بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور».

وروى سفيان الثوري في «الجامع» قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال: «ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع».

وروى عبد الرزاق في «المصنف» عن الثوري عن أبي المقدام عن سعيد بن المسيب قال: «ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يومًا».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من

نبي يموت ويقيم في قبره إلا أربعين صباحًا ».

وقال الرافعي في « الشرح الكبير » روي أن النبي ﷺ قال: « أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث ». انتهى.

وقال أبو الحسن بن الزاغوني الحنبلي في بعض تصانيفه حديث « إن الله لا يترك نبيًا في قبره أكثر من نصف يوم ». انتهى.

قال ابن فارس في كتاب « المنح الإلهية في مناقب السادة الوفائية »: سمعت سيدي عليًا رضي الله تعالى عنه يقول: كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فأتيته يومًا فرأيت النبي ﷺ يقظة لا منامًا وعليه قميص أبيض قطن ثم رأيت القميص عليَّ فقال لي: اقرأ فقرأت عليه سورة والضحى وألم نشرح وغاب عني فلما بلغت إحدى وعشرين عامًا أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيته ﷺ قبالة وجهي فعانقني فأوتيت لسانه من ذلك الوقت. انتهى.

وقد اتفق المؤرخون الذين ترجموا للشيخ الرفاعي رضي الله عنه أنه لما حجَّ وقف تجاه الحجرة الشريفة وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة من القبر فقبلها.

الفصل الحادي عشر في ذكر بعض الأولياء الذين رأوا رسول الله ﷺ بعد موته في اليقظة

فأولهم « حبر الأمة عبد الله بن عباس »
« وأم المؤمنين ميمونة » « وسري السقطي »
« والجنيد البغدادي »
« وأبو بكر الشبلي »

« والسيدة رابعة »
« والعارف أبو يزيد »
« والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي »
« وعبد القادر الجيلاني »
« والسيد أحمد الرفاعي »
« وذو النون المصري »
« والإمام القشيري صاحب الرسالة »
« وإبراهيم الدسوقي »
« والسيد أحمد البدوي »
« والشاه نقشبند »
« والسهروردي »
« وأبو الحسن الشاذلي »
« وأبو العباس المرسي »
« وتاج الدين بن عطاء الله السكندري »
« وياقوت العرش »
« ومكين الدين الأسمر »
« وعلاء الدين العطار »
« وزروق الفاسي »
« وعلي الخواص »
« وإبراهيم المتبولي »
« ومحمد الحنفي »
« ورسلان الدمشقي »
« وأبو سعيد الميهني »
« واليافعي »
« والنووي صاحب « رياض الصالحين » »
« والعز بن عبد السلام »

« وابن دقيق العيد »
« وصدر الدين القونوي »
« والقاشاني »
« وعبد الكريم الجيلي »
« وعبد الحق بن سبعين »
« والسيدة نفيسة »
« والإمام محمد بن إدريس الشافعي »
« والإمام مالك »
« والإمام أحمد بن حنبل »
« والإمام الأكبر أبو حنيفة النعمان »
« وبشر الحافي »
« وحبيب العجمي »
« ومعروف الكرخي »
« والحلاج »
« وابن هود »
« والإمام الشعراني »
« والنفري صاحب « المواقف والمخاطبات » »
« وأبو عبد الرحمن السلمي »
« وإبراهيم الجعبري »
« ومحمد بن إسماعيل البخاري أمير المؤمنين في الحديث وصاحب الجامع الصحيح »
« وأبو نعيم صاحب « الحلية » »
« وأبو الحسن البكري »
« وعبد الغني النابلسي »
« ومولانا وشيخنا أحمد التجاني »
« وعبد العزيز الدباغ »

« ومصطفى البكري »

« وعلي البيومي »

« وجلال الدين السيوطي »

« وعبد الرحيم البرعي »

« وعبد الرؤوف المناوي »

« وأحمد بن إدريس »

« وأحمد بن يوسف الملياني »

« وعبد الرحمن الثعالبي »

« ومحمد وفا »

« وعلي وفا »

« ويحيى الصنافيري »

« وعمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف »

« ويحيي العيدلي »

« ومحمد السنوسي التوحيدي »

« ونور الدين البريفكاني »

« ومولانا علي حرازم »

« ومحمد بن العربي التازي »

« ومولانا عمر الفوني صاحب « الرماح » »

« وإبراهيم الرياحي التونسي »

« ومولانا أحمد سكيرج »

« ومولانا خالد الكردي النقشبندي »

« وأحمد الدردير »

« ومحمد الحفني »

« وعلي الصعيدي إمام المالكية »

« وعبد الفتاح الشبلنجي »

« ومحمد أمين الكردي »

« ومحمد الميرغني سر الختم »
« ومحمد بن عبدالكريم السمان »
« وعفيف الدين المحجوب الطائفي الميرغني »
« وأحمد الطيب بن البشير »
« ومولانا علي التماسيني »
« ويوسف بن إسماعيل النبهاني »
« وسلامة العزامي »
« وأحمد بن شرقاوي »
« وعبد الجواد الدومي »
« وعبد الجواد المنسفيسي »
« وعمر بن جعفر الشبراوي »
« ومحمد أبو خليل »
« وعبد السلام الحلواني »
« وعلي عقل »
« وعلي عبد الفتاح علام »
« ومولانا وشيخنا عبد المجيد الشريف »
« والشيخ صالح الجعفري »
« والعارف الكبير حسن الملطاوي »
« وإبراهيم الكولخي السنغالي »
« والعارف بالله محمد أبو بطانية »

رضوان الله عليهم أجمعين وهؤلاء حجة علي العالمين وآية على المتقين ولا يعرف عليهم كذب ولا تحق لهم ريبة ولا تشكهم نقيصة

الفصل الثاني عشر في ذكر أن الأنبياء والصالحين يرون أهل القبور في قبورهم

والدليل على ذلك أن النبي ﷺ رأى أهل القليب وهم يعذبون فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم.

روى البخاري عن أبي طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام على شفة الرَّكِيِّ «البئر» فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا.

فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها.

فقال: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

ومن جملة أدلة مكاشفة الأنبياء والصالحين بأحوال أهل القبور أنه ﷺ مر بقبرين فرآهما وهما في القبر يعذبان أحدهما يعذب بالنميمة والآخر يعذب من نجاسة البول روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من بوله. وفي رواية: لا يستتر من بوله.

قال: ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: ولعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع صوتًا من قبر فقال: متى مات هذا؟

فقالوا: مات في الجاهلية.

فسر بذلك وقال: لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر.

الفصل الثالث عشر في ذكر خلق ملك الموت

ورد في الأثر أن الحق تعالى لما خلق ملك الموت حجب عن الخلائق بألف ألف حجاب عظمة أكبر من السموات والأرضين ولو صب جميع البحار والأنهار على رأسه ما وقعت منه قطرة على الأرض وإن مشارق الدنيا ومغاربها بين يديه كخوان قد وضع عليه كل شيء وضع بين يدي رجل ليأكله فيأكل منه ما شاء فكذلك ملك الموت يقلب الدنيا كما يقلب الآدمي بين يديه درهمًا قد شد بسبعين ألف سلسلة كل سلسلة طولها مسيرة ألف عام ولا تقربه الملائكة ولا يعلمون مكانه ولا يسمعون صوته ولا يدرون حاله ولا إلى أي وقت هو فلما خلق الله تعالى الموت وسلط عليه ملك الموت قال ملك الموت: يا ربي وما الموت فأمر الله تعالى الحجب أن تنكشف حتى رآه ملك الموت فقال الله تعالى للملائكة: قفوا انظروا هذا الموت فوقفت الملائكة كلهم أجمعون وقال الله تعالى له: طر عليهم وانشر الأجنحة كلها وافتح عينيك. فلما طار نظرت إليه الملائكة فخروا مغشيًا عليهم ألف عام فلما أفاقوا قالوا: ربنا أخلقت أعظم من هذا خلقًا قال الله تعالى: أنا خلقته وأنا أعظم منه وقد يذوق الحق منه ثم قال الله: يا عزرائيل خذه فقد سلطتك عليه فقال: إلهي بأي قوة آخذه فإنه أعظم مني فأعطاه الله قوة ثم أخذه فسكن في يده فقال الموت: يا رب ائذن لي حتى أنادي في السموات مرة فيأذن له فنادى بأعلى صوته أنا الموت الذي أفرق بين كل حبيب وأنا الموت الذي أفرق بين الزوج والزوجة وأنا الموت الذي أفرق بين البنات والأمهات وأنا الموت الذي أفرق بين الأخ والأخوات وأنا الموت الذي أخرب الدور والقصور وأنا الذي أعمر القبور وأنا الموت الذي أطلبكم وأحرككم ولو كنتم في بروج مشيدة ولا يبقى مخلوق إلا يذوقني وإن الكافر والمنافق والشقي إذا نصر الموت نزل عليهم وعن يساره ملائكة العذاب سود الوجوه زرق العيون ومعهم لباس من العذاب فيجلسون بعيدًا منه حتى يجيء ملك الموت وإذا جاء ملك الموت أحد منهم قام بين يديه على صورة مهيبة ثم يقول نفس ذلك الشخص: من أنت؟ وما

تريد؟ فيقول: أنا ملك الموت الذي أخرجك من الدنيا وأجعل ولدك يتيمًا وزوجتك أرملة ومالك موروثًا بين ورثتك الذين لا تحبهم في حال حياتك وأنت لم تقدر خيرًا لنفسك ولا لآخرتك اليوم جئت إليك لأقبض روحك فإذا سمع به شخص حول وجهه إلى الحائط ليرى ملك الموت قائمًا بين يديه فيحول وجهه إلى الجانب الأيمن فيرى ملك الموت بين يديه قائمًا فيقول ملك الموت: ألم تعرفني أنا ملك الموت الذي قبضت روح والديك وأنت تنظر إليهما ولم تنفعهما. اليوم آخذ روحك حتى ينظر أولادك وأقرباؤك ورفقاؤك حتى ينتصحوا منك اليوم وأنا ملك الموت الذي أفنيت من القرون الماضية من هو أكثر قوة منك وأكثر مالًا من مالك وأكثر ولدًا من أولادك ثم يقول له ملك الموت: كيف رأيت الدنيا فيقول: رأيتها مكارة غدّارة ثم يخلق الله تعالى الدنيا على صورة فتقول الدنيا: يا عاصي أما تستحي أنت أذنبت في الدنيا ولم تمنع نفسك عن المعاصي فذلك قول الله تعالى ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.

الفصل الرابع عشر في ذكر دعاء النبي ﷺ لمن مات أن يثبته الله سبحانه وتعالى بعد الفراغ من الدفن

قال البيهقي في كتاب «عذاب القبر»: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبا أحمد بن عبيد الصفار ثنا محمد بن غالب بن حرب وإبراهيم بن عبدالله ـ واللفظ لتمام ـ حدثني علي بن عبدالله بن جعفر ثنا هشام بن يوسف عن عبدالله بن بحير عن هانيء مولى عثمان بن عفان عن عثمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال: «استغفروا لميتكم وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل».

الفصل الخامس عشر في ذكر استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر

وقد ثبت وصح أن رسول الله ﷺ كان يستعيذ من عذاب القبر حتى

كان يستعيذ من عذاب القبر في صلاته روى البخاري في «الجامع الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر قالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر.

فقال: «نعم عذاب القبر حق» قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر وروى البخاري عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال.

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عجوزان من عجائز يهود المدينة فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن عجوزين دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال: صدقتا إنهم يعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر.

الفصل السادس عشر في ذكر أن النبي ﷺ كان يدعو على الكفار بعذاب القبر

روى الشيخان البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق فقال: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس» وهي صلاة العصر.

وروى البيهقي في «عذاب القبر» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قاتل رسول الله ﷺ المشركين حتى فاتتهم الصلاة فقال رسول الله ﷺ: «شغلونا عن صلاة الوسطى - صلاة العصر - ملأ الله قبورهم وأجوافهم نارًا».

الفصل السابع عشر في ذكر نزول الملائكة عند الموت ببشرى المؤمن ووعيد الكافر

قال الله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ وقال الله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾.

روى مسلم والنسائي في «المجتبي» والحاكم في «المستدرك» وابن حبان في «موارد الظمآن» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا اخرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: يقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه ثم يقول: «انطلقوا به إلى آخر الأجل».

قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد: ذكر من نتنها وذكر لعنًا ويقول أهل السماء: روح خبيثة من قبل الأرض» قال: ويقال: «انطلقوا به إلى آخر الأجل».

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الصالح اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان».

فما يزال يقال له ذلك حتى تخرج فيعرج بها حتى ينتهي بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟

فيقال: فلان بن فلان.

فيقال: «مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة

وأبشري بروح وريحان وَرب غير غضبان». فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء أظنه أراد السماء السابعة.

قال: وإذا كان الرجل السوء قالوا: «اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج».

فلا يزال يقال له ذلك حتى تخرج فينتهي بها إلى السماء فيقال: من هذا؟

فيقال: فلان بن فلان.

فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنه لا تفتح لك أبواب السماء».

«فترسل إلى الأرض ثم تصير إلى القبر».

الفصل الثامن عشر في ذكر أن روح الميت تأتي لتزور دارها وأهلها وأقاربها

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه إذا مات المؤمن دارت روحه حول داره شهرًا فتنظر إلى ما خلفه من ماله كيف يقسم وكيف تؤدى ديونه فإذا تم له شهر ردت إلى حفرته فتدور بعد ذلك حتى يتم عليه حول فينظر من يدعو له ومن يحزن عليه فإذا تم الحول رفع روحه إلى حيث تجتمع الأرواح يوم القيامة أي يوم ينفخ في الصور قال تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح﴾ الآية.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا كان يوم العيد ويوم عاشوراء ويوم الجمعة الأولى من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وليلة الجمعة تخرج أرواح الأموات من قبورهم ويقفون على أبواب بيوتهم ويقولون: ترحموا علينا من هذه الليلة المباركة بصدقة أو بلقمة فإنا محتاجون إليها فإن بخلتم بها ولم تعطوها فاذكرونا بفاتحة الكتاب في هذه الليلة المباركة هل من أحد يترحم علينا هل من أحد يذكر غربتنا يا من سكن دارنا ويا من نكح نساءنا ويا من أقام في واسع قصورنا ونحن الآن في ضيق قبورنا ويا من قسم أموالنا ويا من

استذل أيتامنا هل منكم أحد يذكر غربتنا وصحفنا مطوية وكتابكم منشور وليس للميت في اللحد ثواب فلا تنسونا بكسرة من خبزكم ودعائكم فإنا محتاجون إليكم أبدًا فإن وجد الميت من الصدقة والدعاء منهم رجع فرحًا مسرورًا وإن لم يجد رجع محزونًا ومحرومًا ويائسًا منهم.

الفصل التاسع عشر في ذكر عقوبة تارك الصلاة في قبره وما يصيبه من ذلك

روى ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» «أن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويدخل الجنة بغير حساب» ومن تهاون بها عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث في القبر وثلاث عند خروجه من القبر.

فأما اللاتي في الدنيا:

فالأولى ينزع البركة في عمره، والثانية يمحى سياء الصالحين من وجهه، والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه، والرابعة لا يرفع له دعاء إلى السماء، والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين. وأما اللاتي تصيبه عند الموت: فإنه يموت ذليلًا والثانية يموت جائعًا، والثالثة يموت عطشانًا ولو سقي بحار الدنيا ما روى من عطشه وأما اللاتي تصيبه في قبره: فالأولى يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارًا يتقلب على الجمر ليلًا ونهارًا والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حرير طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول: أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول: أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء واضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح. فكلما

ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعًا فلا يزال في الأرض معذبًا إلى يوم القيامة.

الفصل العشرون في ذكر عقوبة شارب الخمر في قبره وما يصيبه من ذلك

سئل بعض التائبين عن سبب توبته؟ فقال: كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتًا مصروفين عن القبلة فسألت أهليهم عنهم فقالوا: كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة.

وقال بعض الصالحين: مات لي ولد صغير فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه فقلت: يا ولدي دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك؟

فقال: يا أبتِ دفن إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها نعوذ بالله منها.

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجري من فروج المومسات أي الزانيات يؤذي أهل النار ريح فروجهن».

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا سقيته إياها من حظائر القدس مع خير الندماء».

الفصل الحادي والعشرون في ذكر عقوبة الزاني في قبره وما يصيبه من ذلك

قد ورد في الاثر: أن من زنى بأمرأة متزوجة كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها

في حسناته هذا إن كان بغير علمه فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة: «أنت حرام على الديوث» وهو الذي يعلم بالفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار.

الفصل الثاني والعشرون في ذكر عقوبة النمام والذي لا يستبرىء من بوله في القبر وما يصيبهما من ذلك

روى الشيخان البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ رسول الله ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله قال وكيع: لا يتوقاه.

قال: فدعا بعسيب رطب فشقه اثنتين ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا ثم قال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا».

وروى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أكثر عذاب القبر من البول».

وروى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا من البول».

وروى البيهقي في «عذاب القبر» عن عبد الرحمن بن حسنة قال:

كنت أنا وعمرو بن العاص جالسين فخرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده درقة فبال وهو جالس فتكلمنا بيننا فقلنا: يبول كما تبول المرأة.

فأتانا فقال: «أما تدرون ما لقي صاحب بني إسرائيل كان إذا أصابهم بول قرضوه فنهاهم فتركوه فعذب في قبره».

الفصل الثالث والعشرون في ذكر عقوبة الدين في القبر وما يصيب صاحبه من ذلك

أخرج الترمذي والإمام أحمد في «المسند» والبيهقي في «السنن الكبرى» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تزال نفس المؤمن معلقة بدَيْنه حتى يُقضى عنه».

وروى البيهقي في «عذاب القبر» عن جابر بن عبد الله قال: توفي رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه ثم أتينا به النبي ﷺ ليصلي عليه فخطا خطًا ثم قال: هل عليه دَيْن؟

قلنا: نعم.

قال: صلوا على صاحبكم.

فقال أبو قتادة: يا رسول الله دَيْنه علي.

فقال النبي ﷺ: هما عليك حق الغريم وبرء المبيت؟

قال: نعم.

فصلى عليه ثم لقيه في الغد.

فقال: ما فعل الديناران؟

فقال: يا رسول الله إنما مات أمس.

ثم لقيه من الغد فقال: ما فعل الديناران.

فقال: يا رسول الله قد قضيتهما

فقال رسول الله ﷺ: الآن بردت عليه جلده.

الفصل الرابع والعشرون في ذكر إثبات سؤال الملكين

عن البراء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أُقْعِدَ المؤمنُ في قبره أتِيَ ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله: ﴿يثبت الله

الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

رواه البخاري.

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل ـ لمحمد ﷺ ـ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا وأما الكافر والمنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين.

والثابت من سؤال الملكين ثلاثة سؤالات كما أورد ذلك العارف مولانا عبد الغني النابلسي رضي الله عنه في كتابه « ثبوت القدمين في سؤال الملكين » وهذه الأسئلة الثلاثة:

السؤال الأول: قول الملكين: « من ربك ».

السؤال الثاني: قول الملكين: « من نبيك ».

السؤال الثالث: قول الملكين: « ما دينك ».

الفصل الخامس والعشرون في ذكر أن الذي يموت من وجع البطن لا يعذب في قبره

أخرج الترمذي والنسائي عن عبدالله بن يسار قال: كنت جالسًا عند سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكرا رجلًا مات في بطنه فأحب أن يحضر جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل أو لم تسمع رسول الله ﷺ يقول: « إن الذي يقتله بطنه لن يعذب في قبره ».

قال: بلى.

الفصل السادس والعشرون في ذكر أن من مات مريضاً وقي من عذاب القبر

روى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» من طريق ابن جريج عن إبراهيم بن محمد عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من مات مريضًا مات شهيدًا» أو: «وقي من عذاب القبر».

الفصل السابع والعشرون في ذكر أنَّ منْ مات مرابطاً أمن من عذاب القبر

روى أبو داود والحاكم في «المستدرك» عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر».

وروى النسائي وأبو نعيم في «الحلية» عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه فإن مات جرى عليه الرباط ويؤمن من الفتان ويقطع له رزق في الجنة».

الفصل الثامن والعشرون في ذكر أن الشهيد يأمن من عذاب القبر

روى الإمام أحمد في «المسند» عن قيس الجذامي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للقتيل عند الله ست خصال: تغفر له خطيئته في أول دفقة من دمه ويجار من عذاب القبر ويحلى حلة الكرامة ويرى مقعده من الجنة ويؤمن من الفزع الأكبر ويزوج من الحور العين.

الفصل التاسع والعشرون في ذكر أن من مات يوم الجمعة أو مات ليلة الجمعة فهو آمن من عذاب القبر

وروي الترمذي والطحاوي في «مشكل الآثار» عن ربيعة بن سيف أن أبا

عبد الرحمن الحبلي أخبره أن ابنًا لعياض بن عقبة توفي يوم الجمعة فاشتد وجده عليه فقال له رجل من الصدف: يا أبا يحي ألا أبشرك بشيء سمعته من عبد الله بن عمرو بن العاص؟

سمعته يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يموت في ليلة الجمعة إلا بريء من فتنة القبر».

وروى البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من توفي يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي الفتان».

الفصل الثلاثون في ذكر أن من مات ببيت المقدس فكأنما مات في السماء

روى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء.

الفصل الحادي والثلاثون في ذكر أن من مات في أحد الحرمين فقد استوجب أمان الله

روى الطبراني في «الكبير» عن سلمان عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين».

وروى الطبراني في «الصغير» عن جابر عن النبي ﷺ قال: «من مات في أحد الحرمين بعث آمنًا يوم القيامة».

الفصل الثاني والثلاثون في ذكر أن قراءة سورة يٓس تخفف الموت عن الميت

روى الإمام أحمد في «المسند» عن المشيخة أنهم حضروا عفيف بن الحارث حين اشتد سوقه فقال: هل منكم أحد يقرأ يٓس قال: فقرأها

صالح بن شريح السلوي فلما بلغ أربعين منها قبض قال: فكان المشيخة يقولون: إذا قرئت عند الميت خفف عنه بها.

الفصل الثالث والثلاثون في ذكر أن قراءة سورة الملك عند الميت تنجيه من عذاب القبر

أخرج الدارمي عن عبد الله قال: توفي رجل فأتى من جوانب قبره فجعلت سورة من القرآن تجادل عنه حتى منعته.

قال: فنظرت أنا ومسروق فإذا هي «سورة الملك».

وروى البيهقي في «عذاب القبر» عن عبد الله قال: جادلت «سورة تبارك» عن صاحبها حتى أدخلته الجنة.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صوب بعض أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك حتى ختمها فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر».

الفصل الرابع والثلاثون في ذكر أن النبي ﷺ استعاذ من موت الفجأة

عن أبي أمامة قال: كان النبي ﷺ يتعوذ من موت الفجأة وكان يعجبه أن يمرض قبل أن يموت. رواه الطبراني في «الكبير».

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن موت الفجأة فقال: «راحة للمؤمن وأخذه أسف على الفاجر».

الفصل الخامس والثلاثون في ذكر استعاذة النبي ﷺ من سبع موتات

روى أحمد والبزار عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ استعاذ من سبع موتات موت الفجاءة ومن لدغ الحية ومن السبع ومن الغرق ومن الحرق ومن أن يخر على شيء أو يخر عليه شيء ومن القتل عند فرار الزحف.

الفصل السادس والثلاثون في ذكر أنواع الشهداء

روى الطبراني في «الكبير» عن سلمان قال: أتيت النبي ﷺ بالزكاة ثلاث مرات.

فقال: ما تعدون الشهيد فيكم؟

قالوا: الذي يقتل في سبيل الله.

قال: إن شهداء أمتي إذًا لقليل.

القتل في سبيل الله شهادة والطاعون شهادة والنفساء شهادة والحرق شهادة والغرق شهادة والسل شهادة والبطن شهادة.

الفصل السابع والثلاثون في ذكر أن الذي يموت غريباً إنما يموت شهيداً

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «موت الغريب شهادة إذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه وعن يساره فلم ير إلا غريبًا وذكر أهله وولده فتنفس فله بكل نفس يتنفسه يمحو الله عنه ألفي ألف سيئة ويكتب له ألفي ألف حسنة» رواه الطبراني في «الكبير».

الفصل الثامن والثلاثون في ذكر أن من مات من ذات الجنب فهو شهيد

روى الطبراني في «الكبير» عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «الميت من ذات الجنب شهيد».

الفصل التاسع والثلاثون في زيارة القبور والدعاء لأهلها

عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة».

رواه الخمسة إلا البخاري واللفظ للترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون». رواه مسلم.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر».

الفصل الأربعون في زيارة النبي ﷺ قبر أمه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: أستأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذِنَ لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت. رواه مسلم.

الفصل الحادي والأربعون في أن الميت ينتفع بعمل غيره

اعلم أيدني الله وإياك أن أعظم ما ينتفع الميت به ما يقدمه له ابنه.

روى أبو داود والنسائي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأي الصدقة أفضل؟

قال: الماء.

قال: فحفر بئرًا وقال: هذه لأم سعد.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: توفيت أم سعد بن عبادة وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: نعم قال: فإني أشهدك أن حائطي المِخْرَاف صدقة عنها.

وروى الخمسة إلا البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علمه ونشره وولدًا صالحًا تركه أو مصحفًا ورثه أو مسجدًا بناه أو بيتًا لابن السبيل بناه أو نهرًا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته»:

الفصل الثاني والأربعون في الكلام على سكرات الموت

أخرج ابن أبي الدنيا مرسلًا عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال: «هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف» رجاله ثقات.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من حديث صعمة بن غيلان الجعفي عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل اللهم فأعِنّي على الموت وهوّنه علي».

وأخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من رواية أبي ميسرة رفعه إلى النبي ﷺ: «لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات» مرسل حسن الإسناد.

وأخرج ابن أبي الدنيا في « كتاب الموت » من حديث سلمان عن النبي ﷺ أنه دخل على مريض ثم قال: « إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته ».

وكان علي كرم الله وجهه يمضي على القتال ويقول: « إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من موت على فراش ».

وقال الأوزاعي: « بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره ».

وروى الشيخان وهو متفق عليه عن عائشة عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول: « اللهم هون عليَّ سكرات الموت ».

وروي عن نبي الله موسى عليه السلام أنه لما طارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه: يا موسى كيف وجدت الموت؟ فقال موسى: « وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب ».

وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: يا كعب حدثنا عن الموت؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى.

الفصل الثالث والأربعون في الكلام على أنه يجب على المؤمن عدم اغتياب الميت ولا يذكر سوى محاسنه

أخرج ابن أبي الدنيا والمحاملي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ».

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل: «ما من عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث أبيات من جيرانه الأدنين بخير إلا قال الله عز وجل: قد قبلت شهادة عبادي على ما علموا وغفرت له ما أعلم».

وروى ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه».

وأخرج أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها بإسناد جيد عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه».

الفصل الرابع والأربعون في بيان أقاويل جماعة من الصحابة والتابعين والصالحين ومن بعدهم من أهل التصوف في الموت وما وقع لهم في ساعة الاحتضار وخروج الروح

لما حضرت بلالًا رضي الله عنه الوفاة قالت امرأته: واحزناه فقال: بل واطرباه غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

ولما حضرت سلمان رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا.

ولما حضرت الحبر عبدالله بن المبارك رضي الله عنه الوفاة فتح عينه وضحك وقال: «لمثل هذا فليعمل العاملون».

ولما حضرت النخعي رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟

قال: أنتظر من الله رسولًا يبشرني بالجنة أو بالنار.

ولما حضرت محمدًا بن المنكدر رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ولكن أخاف أني أتيت شيئًا حسبته هينًا وهو عند الله عظيم.

ولما حضرت فضيلًا رضي الله عنه الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال: وابعد سفراه واقلة زاداه.

ولما حضرت عامر بن عبد القيس رضي الله عنه الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء.

وقيل لذي النون رضي الله عنه عند موته: ما تشتهي؟

قال: أن أعرفه قبل موتي بلحظة.

ولما احتضر أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أتاه أصحابه فقالوا: أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم: ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير؟

ولما حضرت الثوري رضي الله عنه الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله؟

فقال: أليس ثم أمر؟

ولما حضرت الشافعي رضي الله عنه الوفاة دخل عليه المزني فقال له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلًا وللإخوان مفارقًا ولسوء عملي ملاقيًا ولكأس المنية شاربًا وعلى الله تعالى واردًا ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهينها أم إلى النار فأعزيها وأنشد:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلمّا
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغو بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدما

ولما حضرت أحمد بن خضرويه رضي الله عنه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بني باب كنت أدقه خمسًا وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لا أدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة؟

ولما حضرت يوسف بن أسباط رضي الله عنه الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقًا فقال: يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع؟ فقال: يا أبا عبدالله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء عملته فقال حذيفة: واعجباه لهذا الرجل الصالح يحلف أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله.

ولما حضرت بشرًا الحافي رضي الله عنه الوفاة قيل له: كأنك تحب الحياة؟ - وكان في شدة عظيمة -.

فقال: القدوم على الله شديد.

ولما حضرت سريًا السقطي رضي الله عنه الوفاة دخل عليه الجنيد كي يعوده فقال له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طبيبي

قال الجنيد: فأخذت المروحة لأروحه فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق؟ ثم أنشأ يقول:

القلب محترق والدمع مستبقُ والكرب مجتمع والصبر مفترقُ
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلقُ
يا رب إن يك شيء فيه لي فرج فامنن عليَّ به ما دام بي رمقُ

ولما حضرت الجنيد رضي الله عنه الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله؟

فقال: ما نسيته فأذكره.

ولما حضرت رويمًا البغدادي رضي الله عنه الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله؟ فقال: لا أحسن غيره.

ولما حضرت أبا بكر الشبلي رضي الله عنه الوفاة قال: عليَّ درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه ثم قال لخادمه: وضئني ففعل فنسي تخليل لحيته - وقد أمسك لسانه - فقبض على يد خادمه وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى خادمه وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة.

وقال رويم: حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول:

حنين قلوب العارفين إلى الذكر — وتذكارهم وقت المناجاة للسرِ
أديرت كؤوس للمنايا عليهم — فأغفو عن الدنيا كاغفاء ذي الشكرِ
همومهم جواله بمعسكر — به أهل ود الله كالأنجم الزهرِ
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه — وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم — وما عرجوا من مس بؤس ولا ضرِ

ولما احتضر أبو بكر الواسطي رضي الله عنه قيل له: أوصنا فقال: احفظوا مراد الحق فيكم.

وقيل للكتاني رضي الله عنه لما حضرته الوفاة: ما كان عملك؟

فقال: لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم به وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه.

ولما حضرت ممشادًا الدينوري رضي الله عنه الوفاة قيل له من باب الدعاء: أدخلك الله الجنة فضحك وقال: منذ ثلاثين سنة تعرض عليَّ الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي.

ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري رضي الله عنه قالت: لما قرب أجل أبي علي الروذباري - وكان رأسه في حجري - فتح عينيه وقال: هذه

أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول: يا أبا علي قد بلغناك الدرجة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول:

وحقك لا نظرت إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا

أراك معذبي بفتور لحظ وبالخد المورد من حياكا

كتاب
الاعتبار
بذكر أحوال أهل الجنة والنار

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه ووصفه وقدسه ملك الملوك والمتجلي على أهل السلوك لا يستطيع على الحقيقة هذا المخلوق الوفاء بمقام الشكر له. ولا ذرة منه وهذا لا يكفيه برهان عن أي نعمة في الأكوان فإن هذا قطعًا يعجز عن المقام به أي إنسان.

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرين المباركين الأبرار.

وبعد.

فيقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**﴾. ويقول تعالى: ﴿**ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾.

ويقول الله تعالى: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾.

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أسامة بن زيد أن رسول الله (ﷺ) قال لأصحابه: «ألا هل مشمر للجنة فإنه لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز ونهر مطرد وقصر مشيد وفاكهة كثيرة نضجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام آبد في رحبة ونضرة ونعمة في دار عالية».

قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله.

قال: قولوا: «إن شاء الله».

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثًا إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة». وأخرج البيهقي وابن عدي والحاكم عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده وقال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون.

وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله (ﷺ) قال: «يؤتى بأشد المؤمنين ضرًا في الدنيا فيقال: اغمسوه غمسة في الجنة قال: فينغمس غمسة في الجنة فيقال: هل رأيت ضرًا قط؟ فيقول: لا».

وقال الله تعالى: ﴿واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾.

وقال تعالى: ﴿نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممدة﴾.

وقال رسول الله (ﷺ): «إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه». أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ)

قال: « ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ».

وقد وفقني الحق سبحانه وتعالى لكي أجمع كتابًا في صفة الجنة والنار وسميناه: « الاعتبار بذكر أحوال أهل الجنة والنار ».

وقد جعلته جزأين الأول للجنة في أوصافها وسميناه: « التاج الثمين في وصف الجنة والحور العين ».

والجزء الثاني في النار وأوصافها وسميناه: « وصف جهنم والزبانية بالقرآن والسنة المحمدية » هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الجزء الأول

التاج الثمين في وصف الجنة والحور العين

المقدمة

الحمد لله الحنان المنان صاحب الرحمة الكلية والإحسان ومنشأ درجات النيران والجنان خلقها لحكمة علوية ولآية إلهية.

سبحانه جل شأنه في الأزل والأبد ولا يشاكله ولا يماثله أحد تنزه عن الأشياء فليس كمثله شيء خالف الحوادث. وقام بنفسه وبالأكوان فهو القائم المطلق سبحانه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون خشع له الوجود بأسره وفتح له الكون بقدره هو المليك البديع قال عن نفسه في كتابه ﴿**بديع السموات والأرض**﴾. هو أعظم من وحد نفسه وعرف قدر حقه.

وأصلي وأسلم على أستاذ الوجود وكعبة أهل الشهود أصل النور في العالم وبهاء الممالك والعوالم النبي الخاتم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد.

فهذا كتابي «التاج الثمين في وصف الجنة والحور العين» قد وضعته في أوصاف الجنة خاصة ودقائق ما بها من نعيم مقيم وسرور مستديم وقد خرجته من الكتاب والسنة والله ولي التوفيق.

الفصل الأول في ذكر بناء الجنة

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قلت: يا رسول الله مم خلق الخلق؟

قال: من الماء.

قلنا: الجنة ما بناؤها؟

قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأزفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من دخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ثم قال: ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب عز وجل: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين. وأخرجه الدارمي في «السنن».

الفصل الثاني في ذكر تربة الجنة

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ﷺ) قال: «أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك».

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن مجاهد قال: «أرض الجنة من فضة وترابها مسك».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» من طريق مالك بن الحارث قال: قال مغيث بن سمي: «الجنة ترابها المسك والزعفران».

الفصل الثالث في ذكر صفة رجال أهل الجنة

أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن أبي هريرة قال: «والذي أنزل

الكتاب على محمد إن أهل الجنة ليزدادون جمالًا وحسنًا كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرمًا ».

وأخرج مسلم في « صحيحه » عن أنس رضي الله عنه قال: « إن في الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالًا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا ».

الفصل الرابع في ذكر أنهار الجنة

قال الدارمي في « السنن »: أخبرنا يزيد بن هارون قال أنا الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال: « إن في الجنة بحرًا للبن وبحرًا لعسل وبحرًا لخمر ثم تشقق منه الأنهار ».

روى أبو نعيم في كتابه « صفة الجنة » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إنَّ في الجنة نهرًا يقال له الهرْول على حافتيه أشجار نابتات فإذا اشتهى أهل الجنة السماع يقولون: مروا بنا إلى الهرْول فنسمع الأشجار فتنطق بأصوات لولا أن الله عز وجل قضى على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا شوقًا وطربًا إلى تلك الأصوات قال: فإذا سمعتهن الجواري قرأن بالعربية فيجيء أولياء الله إليهن فيقطف كل واحد منهن ما اشتهى ثم يعيد الله تعالى مكانهن مثلهن ».

أخرج ابن حبان في « صحيحه »: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « أنهار الجنة تفجر من تلال أو من تحت جبال مسك ».

أخرج البخاري والحاكم في « المستدرك » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه أواسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة ».

وأخرج الشيخان البخاري ومسلم عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثهم قال: «رفعت لي سدرة المنتهى قال: وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران: فالنيل والفرات».

وروى الإمام أحمد في «المسند»: عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: «فجرت أربعة أنهار من الجنة: الفرات والنيل وسيحان وجيحان».

وأخرج الطبراني في «المعجم الكبير» وابن عدي في «الكامل» عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله (ﷺ): «أربعة أنهار من الجنة: النيل والفرات وسيحان وجيحان».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنه رأى ليلة أُسْرِيَ به شجرة إنها لتغطي الخلق كلهم وبني آدم يخرج من تحتها الأنهار الأربعة: نهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ونهر غير آسن ونهر من عسل مصفى».

وأخرج أبو نعيم في كتاب «صفة الجنة» من طريق علي بن حفص المدائني عن سليمان بن المغيرة عن ابن المعتمر قال: نبئت أن في الجنة نهرًا ينبت الجواري الأبكار».

وروى الشيخان البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فإذا مسك أذفر قلت: يا جبريل ما هذا؟

فقال: الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل».

وأخرج ابن مردويه في «تفسيره» عن عكرمة عن ابن عباس قال: «الكوثر نهر في الجنة عمقه في الأرض سبعون ألف فرسخ».

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: سئل النبي (ﷺ) عن

الكوثر فقال: « ذلك نهر أعطانيه الله عز وجل في الجنة أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجُزُر قال عمر: إن هذه لناعمة قال رسول الله (ﷺ): أكلتها أنعم منها.

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن ابن عباس قال: « إن في الجنة نهرًا يسمى البَيْدَخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار نابتات يتغنين بالقرآن يقول أهل الجنة: اذهبوا بنا إلى البيدخ فإذا جاءوا يتصفحون تلك الجواري فإذا هوى أحدهم من الجواري شيئًا وضع يده على معصمها فاتبعته ونبت مكانها أخرى ».

الفصل الخامس في ذكر صفة جريان أنهار الجنة

وقد ثبت أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود يخد في الأرض بل هي سائحة على وجه الأرض.

أخرج أبو نعيم في كتابه « صفة الجنة » عن أنس بن مالك قال: « لعلكم تظنون أن لأنهار الجنة خدودًا في الأرض لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض حافتاها خيام اللؤلؤ وطينها المسك الأزفر.

قلت: يا أنس ما الأزفر؟

قال: الذي لا خلط له.

وأخرج أبي أبي شيبة في « المصنف » عن مسروق قال: « أنهار الجنة تجري في غير أخدود ».

وأخرج أبو نعيم في كتاب « صفة الجنة » من طريق زميل بن سماك عن أبيه قال: قلت لابن عباس: فما أنهارها أوَفي خُدَّةٍ؟

قال: « لا ولكنها تجري على الأرض مستكفة لا يستفيض ماؤها ها هنا ولا ها هنا قال الله تعالى لها: كوني فكانت ».

وأخرج عبد الرزاق في « المصنف » وسعيد بن منصور وهناد وابن المنذر والبيهقي في « البعث والنشور » من طريق الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عينًا فيها تسمى سلسبيلًا﴾ .

قال: « حَريرَة الجَرْيَة » .

الفصل السادس في ذكر صفة أساور أهل الجنة

أخرج ابن عدي في « الكامل » عن داود بن عامر بن سعد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله (ﷺ): « لو أن رجلًا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوؤه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » .

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن أبي هريرة أن أبا أمامة حدث أن رسول الله صلى عليه وآله وسلم حدثهم وذكر حليَّ أهل الجنة فقال: « مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك شباب مرد مكحلون » .

الفصل السابع في ذكر أشجار الجنة

روى ابن حبان في « صحيحه » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » .

وأخرج أبو نعيم في كتاب « صفة الجنة » والبيهقي في « البعث والنشور » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إن في الجنة شجرة من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فتصفق فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه » .

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » .

وأخرج ابن المبارك وابن أبي شيبة في « المصنف » وأبو الشيخ في « العظمة »

والحاكم في «المستدرك» وصححه وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» وهناد في «الزهد» عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «نخل الجنة جذوعها ذهب أحمر وكربها زمرد أخضر وسعفها حلل وثمرها أمثال القلال ألين من الزبد ليس له عجم».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن زيد بن علي عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: «إن في الجنة شجرة الورقة منها مغطية جزيرة العرب على أعلاها كسوة لأهل الجنة وأسفلها خيل بُلق مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول من ياقوت أحمر لها أجنحة تطير بأولياء الله في الجنة».

وأخرج ابن حبان في «الصحيح» عن عتبة بن عبد السلمي قال: قام أعرابي إلى رسول الله (ﷺ) فقال: فيها عنب ـ يعني الجنة ـ يا رسول الله؟

قال: نعم.

قال: ما أعظم العنقود منها؟

قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يني ولا يفتر.

قال: ما عظم الحبة منه؟

قال: هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه قط عظيمًا؟

قال: نعم.

قال: فسلخ إهابها فأعطاه أمك وقال: إبغي لنا هذا دلواً نروي به ماشيتنا؟

قال: نعم.

قال: فإن تلك الحبة.

قال: تسعني وأهل بيتي؟

قال: نعم وعشيرتك.

وأخرج ابن حبان في « صحيحه » عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (ﷺ) أنه قال له رجل: يا رسول الله ما طوبى؟

قال: « شجرة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها ».

وروى ابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وظل ممدود﴾.

قال: « شجرة في الجنة على ساق يخرج إليها أهل الجنة ـ أهل الغرف وغيرهم ـ فيتحدثون في أصلها فيذكر بعضهم ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل ما كان في الدنيا من لهو ».

وأخرج أبو الشيخ في « العظمة » عن شهر بن حوشب قال: « طوبى شجرة في الجنة كل شجرة الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة ».

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن مجاهد في قوله: ﴿طوبى لهم﴾.

قال: « شجرة في الجنة حملها أمثال ثدي النساء فيه حلل أهل الجنة ».

الفصل الثامن في ذكر مفتاح الجنة

روى الإمام أحمد في « المسند » والبزار عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (ﷺ): « مفاتيح الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله ».

وأخرج الحافظ أبو نعيم في « صفة الجنة » عن أنس.

قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما مفاتيح الجنة؟

قال: « لا إله إلا الله ».

وأخرج أبو الشيخ في « العظمة » عن يزيد بن شجرة قال « إن السيوف مفاتيح الجنة ».

الفصل التاسع في ذكر اسم الجنة بالهندية

روى الطبري في تفسيره عن سعيد بن المسجوح قال: «طوبى اسم الجنة بالهندية».

الفصل العاشر في ذكر كلام أهل الجنة

أخرج البيهقي في «مناقب الشافعي» عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «لسان أهل الجنة عربي».

وروى أبو نعيم في كتابه «صفة الجنة» من طريق العلاء: «أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي».

وأخرج أيضًا أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «كلام أهل الجنة العربية».

الفصل الحادي عشر في ذكر لون الجنة

روى ابن عدي في «الكامل» عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «عليكم بالبياض فإن الله تعالى خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم».

وروى الآجري في «الشريعة» من طريق عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن الله تعالى خلق الجنة بيضاء وإن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم».

الفصل الثاني عشر في ذكر السرر والأرائك التي في الجنة

أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿على سررٍ موضونة﴾ قال: «المرمولة بالذهب والأرائك: السرر في الحجال».

وقال ابن كثير في «تفسيره» في قوله تعالى ﴿على سرر موضونة﴾: قال

ابن عباس: أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة به وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره.

وقال السدي: مرمولة بالذهب واللؤلؤ.

وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت.

وقال ابن جرير: ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مظفور وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ.

الفصل الثالث عشر في ذكر تزوار أهل الجنة

روى ابن المبارك في كتاب «الزهد» عن حميد بن هلال قال: «بلغنا أنَّ أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى».

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله (ﷺ): أيتزاور أهل الجنة؟ قال: «يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى إلا الذين يتحابون في الله يأتون منها حيث شاؤوا على النوق».

وأخرج ابن عدي في الكامل وأبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي أيوب عن النبي (ﷺ) قال: «إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب البيض من الياقوت وليس في الجنة شيء من البهائم إلا الإبل والخيل».

الفصل الرابع عشر في ذكر الخيل والإبل التي في الجنة

أخرج الترمذي عن أبي أيوب قال: أتى أعرابي رسول الله (ﷺ) فقال: إني أحب الخيل فهل في الجنة خيل؟ فقال: «إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوت له جناحان فحملت عليه ولها بك في الجنة حيث شئت».

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» وابن مردويه عن بريدة أن رجلًا سأل رسول الله (ﷺ): هل في الجنة خيل؟ قال: «إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب على فرس مثل ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت».

فجاء رجل آخر فقال: يا رسول الله هل في الجنة إبل؟ فلم يقل له مثل الذي قال لصاحبه قال: «إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك».

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): وذكر الجنة فقال: «والفردوس أعلاها سموًّا وأوسعها محلة ومنها تفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة» فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني رجل حبب إليَّ الخيل فهل في الجنة؟ قال: «إي والذي نفسي بيده إن في الجنة لخيلًا وإبلًا هفافة تزف بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاءوا».

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي أيوب عن النبي (ﷺ) قال: «إن في الجنة ليتزاورون على نجائب بيض كأنها الياقوت وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل».

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن جابر بن عبدالله عن النبي (ﷺ) قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث فقعدوا عليها ثم طارت بهم في الجنة فيتجلى لهم الجبار فإذا رأوه خروا سجدًا فيقول لهم الجبار تعالى: ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل إنما هو يوم نعيم وكرامة قال: فيرفعون رؤوسهم فيمطر الله عليهم طيبًا فيمرون بكثبان المسك فيبعث الله على تلك الكثبان ريحًا فيهيجها عليهم حتى إنهم ليرجعون إلى أهلهم وإنهم لشعث غبر».

الفصل الخامس عشر في ذكر أوصاف الحور العين ونساء الجنة

روى الطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي أمامة قال: قال رسول الله (ﷺ): «خلق الحور العين من الزعفران».

وروى ابن أبي الدنيا في كتابه «صفة الجنة» عن أنس بن مالك قال: قال

رسول الله (ﷺ): «لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة ريقها ويخلق الحوراء من الزعفران».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): «سطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: «للمؤمن زوجتان يرى مخ سوقهما من بين ثيابهما».

وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» وهناد وعبد بن حميد عن مجاهد ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ قال: «من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمنيّ والولد».

وروى الترمذي عن عبدالله عن النبي (ﷺ) قال: «إن المرأة من نساء الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بأن الله يقول: كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه».

الفصل السادس عشر في ذكر أن نساء أهل الجنة يعدن أبكاراً بعد نكاحهن

روى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ): «أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً».

وأخرج الضياء المقدس في «المختارة» عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قيل له: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده دحامًا فإذا قام عنها رجعت مطهرة».

الفصل السابع عشر في ذكر عدد العذارى اللاتي يتزوج بهن الرجل من أهل الجنة

أخرج البيهقي في «البعث والنشور» عن ابن أبي أوفى قال: قال رسول الله (ﷺ): «يزوج إلى كل رجل من أهل الجنة أربعة ألف بكر وثمانية ألف أيم ومائة جوار فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم يسمع الخلائق مثلهن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن طوبى لمن كان لنا وكنا له».

وأخرج ابن ماجه في «السنن» عن أبي أمامة عن رسول الله (ﷺ) قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعين من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهيّ وله ذكر لا ينثني».

وأخرج الطبراني في «الصغير» عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله أنصل إلى نسائنا في الجنة؟ قال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء».

وأخرج هناد بن السري في «الزهد» وأبو ليلى عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: «والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء».

الفصل الثامن عشر في ذكر أن رجال الجنة ونساءها لا يملون من اتصال النكاح فيما بينهم أبداً ولا تنقطع شهوتهم أبداً

أخرج البزار عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) أنه سئل: هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال: «نعم بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع».

وروى عبد بن حميد وابن جرير في «تفسيره» وابن المنذر عن عبدالله بن

مسعود في قوله تعالى: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾.

قال: شغلهم افتضاض العذارى.

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي مجلز قال: قلت لابن عباس: قول الله عز وجل: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ ما شغلهم؟

قال: «افتضاض الأبكار».

الفصل التاسع عشر في ذكر أن المؤمن من أهل الجنة يعطي قوة مائة رجل في النكاح

أخرج الحافظ أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة».

فقلنا: يا رسول الله أوله قوة ذلك؟

قال: «إنه ليعطي قوة مائة».

الفصل العشرون في ذكر شدة صفاء أجسام نساء الجنة وقوة شفافية أجسادهن

أخرج ابن حبان في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن الرجل في الجنة ليتكئ سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه المرأة فتقرب منه فينظر في خدها أصفى من المرآة فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد وأنه يكون عليها سبعون ثوبًا فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وأن عليهن التيجان وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب».

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن ابن مسعود عن النبي (ﷺ) قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حرير

وذلك أن الله جل وعلا يقول: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلته سلكًا ثم اطلعت لرأيته من ورائه».

وعند الشيخين والترمذي: «ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن».

الفصل الحادي والعشرون في ذكر أن الحق تعالى طهر نساء الجنة من الحيض والنفاس والولادة والمنيّ

روى هناد وعبد بن حميد عن مجاهد ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾.

قال: «من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمنيّ والولد».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) في قوله ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾.

قال: «من الحيض والغائط والنُّخامة والبزاق».

الفصل الثاني والعشرون في ذكر النهر الذي في الجنة الذي ينبت الجواري الأبكار اللاتي يغنين في الجنة بأعذب الأصوات

أخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» من طريق عقيل عن ابن شهاب عن ابن عباس قال: «إن في الجنة نهرًا ليسمى البَيْدَخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار نابتات يتغنين بالقرآن يقول أهل الجنة: اذهبوا بنا إلى البَيْدَخ فإذا جاؤوا يتصفحون تلك الجواري فإذا هوى أحدهم من الجواري شيئًا وضع يده على معصمها فاتبعته ونبت مكانها أخرى».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» من طريق يعقوب القُمّيّ عن جعفر بن حميد عن شِمْر بن عطية قال: «إن في الجنة أنهارًا تنبت الجواري يمجدن الله عز وجل بأصوات لم تسمع الآذان بمثلها قط ويقلن: نحن الخالدات فلا نموت ونحن الكاسيات فلا نعرى ونحن الطاعمات فلا نجوع ونحن الناعمات فلا نيأس

فما من أحد من أهل الجنة يعجبه منهن شيء فيأخذ بيدها إلا مالت معه وأنبت الله عز وجل مكانها مثلها ».

الفصل الثالث والعشرون في ذكر نهر الكوثر الذي أعطاه الحق تعالى لنبينا محمد (ﷺ)

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف.

قلت: ما هذا يا جبريل؟

قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو صِيبُهُ مسك أذفر ».

وأخرج الترمذي وصححه وابن ماجه والإمام أحمد في « المسند » وابن أبي شيبة في « المصنف » عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الياقوت والدر تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضًا من الثلج ».

وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود الطيالسي عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): « هل تدرون ما الكوثر؟ »

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: « إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ».

وأخرج ابن مردويه في « تفسيره » من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: « الكوثر نهر في الجنة عمقه في الأرض سبعون ألف فرسخ ».

الفصل الرابع والعشرون في ذكر قصور الجنة

أخرج البخاري ومسلم عن جابر قال: قال رسول الله (ﷺ): « دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب ».

فقلت: لمن هذا القصر؟

قالوا: لشاب من قريش فظننت أني أنا هو.

قالوا: لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله فذكرت غيرتك».

فقال: يا رسول الله أعليك أغار؟.

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن جويبر عن الضحاك قال، «لكل مؤمن أربعة قصور: قصر من ياقوت شرفه زمرد وقصر زمرد شرفه ياقوت وقصران دونها وهو قوله تعالى: ﴿ومن دونهم جنتان﴾ وقصر ذهب شرفه در وقصر فضة شرفه ذهب».

وأخرج ابن جرير في «تفسيره» والبيهقي في كتابه «البعث والنشور» وأبو نعيم في «صفة الجنة» عن الحسن قال: سألت أبا هريرة وعمران بن حصين عن قوله: ﴿ومساكن طيبة﴾ فقالا: على الخبير سقطت سألنا عنها رسول الله (ﷺ) فقال: «قصر في الجنة من لؤلؤ في ذلك القصر سبعون دارًا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرًا على كل سرير سبعون فراشًا على كل فراش امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونًا في كل بيت سبعون وصيفًا أو وصيفة فيعطي الله عز وجل من القوة ما يأتي عليهن في غداة واحدة».

الفصل الخامس والعشرون في ذكر اليوم الذي تفتح فيه الجنة

أخرج أبو الشيخ في «العظمة» عن شِمْر بن عطية قال: «خلق الله عز وجل جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خميس فيقول: «ازدادي طيبًا لأوليائي ازدادي حسنًا لأوليائي».

وأخرج مسلم والبخاري في «الأدب المفرد» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «تفتح أبواب الجنة في كل يوم اثنين وخميس».

الفصل السادس والعشرون في ذكر أن نبينا محمداً (ﷺ) أول من يأخذ بحلقة باب الجنة وأول من يقرع باب الجنة وأول من يفتح له باب الجنة

أخرج الإمام أحمد في «المسند» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر».

وأخرج الحميدي في «المسند» عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها».

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي».

وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: «أنا أول من يقرع حلقة باب الجنة».

وأخرج مسلم عن أنس عن النبي (ﷺ) قال: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك».

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة».

الفصل السابع والعشرون في ذكر غرف أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾.

روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ﷺ) قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا: يا رسول الله تلك

منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

وأخرج الترمذي عن علي كرم الله وجهه عن النبي (ﷺ) قال: «إن في الجنة لغرفًا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟

قال: «هي لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام».

الفصل الثامن والعشرون في ذكر خيام الجنة

قال الله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾.

أخرج الشيخان البخاري ومسلم عن عبدالله بن قيس أن رسول الله (ﷺ) قال: «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلًا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن».

وأخرج الشيخان عنه أيضًا عن النبي (ﷺ) قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا للمؤمن منها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا».

الفصل التاسع والعشرون في ذكر أسواق الجنة

أخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن جابر بن عبدالله قال: خرج علينا رسول الله (ﷺ) ونحن مجتمعون فقال: «يا معشر المسلمين إن في الجنة لسوقًا ما يباع فيها ولا يشترى إلا الصور فمن أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها».

وأخرج مسلم والإمام أحمد في «المسند» عن ثابت عن أنس أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن في الجنة سوقًا يأتونها كل جمعة وتهب ريح الشمال فتحثي

وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالًا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا فيقول لهم أهلوهم: لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا فيقولون. وأنتم والله ازددتم حسنًا وجمالًا ».

وأخرج الترمذي عن سعيد بن المُسَيِّب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: اسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم وذكر الحديث.

الفصل الثلاثون في ذكر أن الموت والنوم رفعا عن أهل الجنة مطلقاً

أخرج البخاري عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) قال: « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم.

وأخرج مسلم عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) قال: « إذا كان يوم القيامة أُتي بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة ولو أن أحدًا مات حزنًا لمات أهل النار ».

ولمسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: « من يدخل الجنة يَنْعَم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ».

وأخرج الحافظ أبو نعيم في « صفة الجنة » عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة ».

وأخرج الحافظ أبو نعيم في « صفة الجنة » من طريق ثابت البناني عن نفيع بن الحارث عن ابن أبي أوفى قال: قال رجل: يا رسول الله إن النوم مما يقر الله عز وجل أعيننا في الدنيا فهل في الجنة نوم؟

قال: «لا ألا إن النوم شريك الموت وليس في الجنة موت».

قال: فما راحتهم.

قال فأعظم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وقال: «ليس فيها لغوب كل أمرهم راحة».

الفصل الحادي والثلاثون في ذكر أن الأمة المحمدية هم أكثر أهل الجنة عدداً

روى البخاري ومسلم عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) في قبة نحواً من أربعين رجلًا فقال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة»؟

قال: قلنا: نعم.

فقال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة»؟

فقلنا: نعم.

فقال: «والذي نفس بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر».

قال الشيخ منصور علي ناصف في شرحه على كتابه «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (ﷺ)»: أكثر أهل الجنة أي نصف أهلها كما في حديث الشيخين أو ثلثاها كما في حديث الترمذي.

أخرج الترمذي بسند حسن عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم».

الفصل الثاني والثلاثون في ذكر من يدخل الجنة بغير حساب من هذه الأمة

أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «عرضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر معه الخمسة والنبي يمر وحده فنظرت فإذا سواد كثير قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟

قال: لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب.

قلت: وَلِمَ؟

قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم.

قال: «اللهم اجعله منهم» ثم قام إليه رجل آخر قال: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: «سبقك بها عكاشة».

الفصل الثالث والثلاثون في ذكر أول طعام أهل الجنة وما شرابهم عليك

أخرج البخاري عن أنس أن عبدالله بن سلام سأل النبي (ﷺ): ما أول ما يأكل أهل الجنة؟

قال: «أما أول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد الحوت».

أخرج مسلم عن ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) قال: كنت قاعدًا عند رسول الله (ﷺ) فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: من أول الناس إجازة؟

قال: فقراء المهاجرين.

فقال اليهودي: ما تحيتهم حين يدخلون الجنة؟

قال: زيادة كبد الحوت.

قال: فما غذاؤهم على أثرها؟

قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من طرفها.

قال: فما شرابهم عليه؟

قال: من عين تسمى سلسبيلًا.

قال: صدقت.

الفصل الرابع والثلاثون في ذكر أوصاف طيور الجنة

أخرج ابن أبي الدنيا وهناد في «الزهد» عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن في الجنة طيرًا له سبعة ألف ريشة فيجيء فيقع على صفحة الرجل من أهل الجنة فينتفض فيخرج من كل ريشة لون أبيض من الثلج وألين من الزبد وأعذب من الشهد ليس فيه لون يشبه صاحبه».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويًا».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» عن أنس قال: سمعت النبي (ﷺ) وقيل له: يا رسول الله ما الكوثر؟

قال: «هو كما بين صنعاء إلى أيلة آنيته كعدد نجوم السماء ترده طير لها أعناق كأعناق الإبل».

قال عمر: يا رسول الله إنها لناعمة.

قال: «آكلها أنعم منها».

الفصل الخامس والثلاثون في ذكر أوصاف ثمار الجنة

روى البزار عن ثوبان أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: « لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها شيئًا إلا نبت مكانها مثلها ».

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » وهناد في « الزهد » عن البراء بن عازب في قوله: ﴿وذللت قطوفها تذليلًا﴾ قال: « أهل الجنة يأكلون منها قيامًا وقعودًا ومضاجعين وعلى أي حال شاءوا ».

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن يحي بن أبي كثير قال: « عشب الجنة: الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذي جئتمونا به آنفًا.

فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف » وهو قول الله عز وجل: ﴿كلما رزقوا منها من ثمره رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾.

الفصل السادس والثلاثون في ذكر آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة وهو أقل أهل الجنة منزلة

روى الشيخان عن عبدالله قال: قال رسول الله (ﷺ): « إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة رجل يخرج من النار حبوًا فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له: « اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع ». فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له: « اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا ». فيقول: أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك قال: لقد رأيت رسول الله (ﷺ) ضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة ».

وأخرج الطبراني في « الكبير » عن سهل بن سعد أن رسول الله (ﷺ) قال: « إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيء الذي يقال له: تمن فيقول بلسان طلق وعقل مجتمع: أعطني كذا أعطني كذا حتى إذا لم يجد شيئًا قيل له: وقل كذا وقل كذا فيقال له: هذا لك ومثله معه ».

وأخرج الإمام أحمد في « المسند » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن له سبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وإن له لثلاثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم ثلاثمائة صحفة ولا أعلمه إلا قال: من ذهب في كل صحفة لون ليس في الأخرى وإنه ليلذّ أوله كما يلذ آخره ومن الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذّ أوله كما يلذ آخره وإنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص ذلك مما عندي شيء وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض ».

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: أهدى كسرى إلى رسول الله (ﷺ) ثيابًا منسوجة بالذهب فجعل من حوله يتعجبون منها فقال رسول الله (ﷺ): « أتعجبون من هذه والذي نفسي بيده وبعثني بالحق إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في سور ملكه وجنانه وخدمه مسيرة ألف سنة ».

الفصل السابع والثلاثون في ذكر خدم أهل الجنة وقهارمة سكانها

روى الطبراني في « الأوسط » عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيء لمن يغدو عليه ويروح في كل يوم عشرة ألف خادم مع كل خادم منهم لحرفة ليست مع صاحبه ».

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال:

« بينا هو يعني آخر من يدخل الجنة يمضي فيها إذ رأى ضوءًا فيخر ساجدًا فيقال له: ما لك؟ فيقول: أليس هذا ربي تجلى لي؟ فإذا هو برجل قائم فيقول: لا هذا منزل من منازلك وأنا قهرمان من قهارمتك ولك مثلي ألف قهرمان ثم يمشي أمامه فيدخل أدنى قصوره لا يشرف على شيء منها إلا أنفذ بصره أقصى مملكته ومملكته مسيرة مائة سنة ».

الفصل الثامن والثلاثون في ذكر أسماء الجنات وأن الفردوس أعلى الجنات وأرقاها

اعلم أن الجنات عددها سبعة وهي التي ذكرت لنا في القرآن وهي:

جنة الفردوس

وجنة عدن

وجنة النعيم

وجنة الخلد

وجنة دار السلام

وجنة القرار

وجنة المأوى

وأما فضل جنة الفردوس ففيه وردت أحاديث كثيرة في كون الفردوس أعلى الجنة وأوسطها وأنها سقف عرش الرحمن عز وجل.

أخرج الحاكم في « المستدرك » عن أبي أمامة عن النبي (ﷺ) قال: « سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة وإن أهل الفردوس ليسمعون أطيط العرش ».

وأخرج الإمام أحمد في « المسند » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنها وسط الجنة وأعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه يفجر أنهار الجنة ».

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن عمرو بن سلامة قال: قال النبي (ﷺ): « إن الله تعالى كبس عرصة الفردوس بيده ثم بناها لبنة من ذهب

مصفى ولبنة من مسك مُذرّى وغرس فيها من جيد الفاكهة وطيب الريحان وفجر فيها أنهارها ثم أوفى ربنا على عرشه فنظر إليها فقال: وعزتي لا يدخلك مدمن خمر ولا مُصِرٌّ على زنا».

الفصل التاسع والثلاثون في ذكر سدرة المنتهى

روى الحاكم في «المستدرك» وصححه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) وذكر سدرة المنتهى فقال: «يسير الراكب في ظل الفتى منها مائة سنة أو قال: يستظل في الفنن منها مائة راكب - شك يحيى - فيها فراش الذهب كأنَّ ثمرها القلال».

الفصل الأربعون في ذكر ما أعطى أهل الجنة من القوة على الأكل والشرب والجماع وعموم الشهوة

أخرج الإمام أحمد في «المسند» عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن الرجل من أهل الجنة ليعطي قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع».

قال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة؟

فقال رسول الله (ﷺ): «حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمر».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن عبد الرحمن بن سابط قال: «إن الرجل من أهل الجنة لتوضع مائدته فما يقضي منها نهمته عمر الدنيا كلها».

الفصل الحادي والأربعون في ذكر الأواني والصحاف والمواعين التي في الجنة

أخرج الحافظ أبو نعيم في «الحلية» وابن أبي شيبة في «المصنف» عن كعب قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة يوم القيامة ليؤتى بغدائه في سبعين ألف

صحفة في كل صحفة لون ليس كالآخر فيجد للآخر لذة أوله ليس فيها رذل ».

وروى ابن المنذر وابن جرير في « تفسيره » عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿قواريرًا قواريرًا من فضة﴾ قال: « في بياض الفضة في صفاء القوارير ».

وصحَّ عنه (ﷺ) أنه قال في آنية الكوثر: « آنيته عدد النجوم ».

الفصل الثاني والأربعون في ذكر أنه ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وهناد عن ابن عباس قال: « ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء ».

الفصل الثالث والأربعون في ذكر اعتدال مناخ الجنة

أخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن عبدالله قال: « إن الجنة سَجْسَج لا قرَّ فيها ولا حر ولهم فيها ما اشتهت أنفسهم ».

والسَجْسَج: المعتدل الذي لا حر فيه ولا قر.

وأخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس: « لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا ».

قال: « لا يجدون الحر ولا البرد ».

الفصل الرابع والأربعون في ذكر سُرُج أهل الجنة

أخرج أبو نعيم في « صفة الجنة » عن ابن مسعود قال: سئل رسول الله (ﷺ) عن سرج أهل الجنة؟ فقال: « هي قناديل معلقة بالعرش تضيء لأهل الجنة فوق العرش لا يطفأ نورها ولا يقصر عنها أبصارهم من النظر ».

الفصل الخامس والأربعون في ذكر أعمال أهل الجنة وأنهم على طول آدم

أخرج الإمام أحمد في «المسند» عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا بيضًا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خَلْق آدم طول ستين ذراعًا في عرض سبع أذرع».

وأخرج البغوي في «شرح السنة» عن أبي سعيد عن رسول الله (ﷺ) قال: «من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثين سنة لا يزيدون عليها وكذلك أهل النار».

الفصل السادس والأربعون في ذكر زراعة أهل الجنة

أخرج البخاري عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال يومًا وهو يحدث وعنده رجل من أهل البادية: «إنَّ رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع فقال له ربه عز وجل: ألست فيما شئت؟

قال: بلى ولكني أحب أن أزرع فبدر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وكان أمثال الجبال قال: فيقول له ربه عز وجل: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء».

قال: فقال الأعرابي: والله لا تجده إلا قرشيًا أو أنصاريًا فإنهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحابه قال: فضحك رسول الله (ﷺ).

الفصل السابع والأربعون في ذكر شجرة طوبى

أخرج أبو الشيخ في «العظمة» عن شهر بن حوشب قال: «طوبى شجرة في الجنة كل شجرة الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن مجاهد في قوله: «طوبى لهم».

قال: «شجرة في الجنة حملها أمثال ثدي النساء فيه حلل أهل الجنة».

الفصل الثامن والأربعون في ذكر انتزاع الغل والحقد من قلوب أهل الجنة

أخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن ابن عباس في قوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ يريد: «الذي يكون في صدور المؤمنين في الجنة».

وذكروا عن النبي (ﷺ) أنه قال: «إن الغل على أبواب الجنة كمبارك الإبل إذا نزع من صدور المؤمنين».

وأخرج أبو نعيم في «صفة الجنة» عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ): «يخلص المؤمنون فيجلسون عند قنطرة بين الجنة والنار حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة».

وروى ابن جرير في «تفسيره» قال قتادة: قال علي رضي الله عنه: «إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾.

وروى سعيد في «تفسيره» عن أبي أمامة قال: «لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما في صدره من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري».

الفصل التاسع والأربعون في ذكر إلحاق ذرية الرجل وأهله به في الجنة

روى أبو نعيم في «صفة الجنة» عن سعيد بن جبير قال: «يدخل الرجل الجنة فيقول: أين أمي؟ أين والدي؟ أين زوجي؟ فيقال: لم يعملوا مثل عملك.

فيقول: كنت أعمل لي ولهم ثم قرأ: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾.

وأخرج أبو نعيم أيضًا في «صفة الجنة» عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم

وأزواجهم﴾: «يريد من صدق بما صدقوا به وإن لم ينلهم بالفعل وأزواجهم وذرياتهم وإن لم يعملوا مثل أعمالهم».

وأخرج البيهقي في «البعث والنشور» وأبو نعيم في «الحلية» والحاكم في «المستدرك» وصححه وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن جرير في «التفسير» وعبد الرزاق في «المصنف» وابن أبي شيبة في «المصنف» عن النعمان بن بشير قال: سئل عمر رضي الله عنه عن قول الله عز وجل: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾.

قال: «يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار».

الفصل الخمسون في ذكر أن الجنة محفوفة بالمكاره

أخرج البخاري والترمذي والإمام أحمد عن أنس أن النبي (ﷺ) قال: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات».

وأخرج البغوي في «شرح السنة» والنسائي عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره».

الفصل الحادي والخمسون في ذكر أن الجنة محظورة إلا على الموحدين

أخرج مسلم عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أنه حدثه أن رسول الله (ﷺ) بعثه وأوس بن الحرثان أيام التشريق فناديا: «ألا إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن».

وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» عن أنس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن الله تعالى بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك ومدمن الخمر سكير».

وأخرج ابن حبان عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ): « ليأخذن رجل بيد أبيه فَلَيُقْطِعَنَّه النار يريد أن يدخله الجنة فينادى أن الجنة لا يدخلها كافر ألا إن الله حرم الجنة على كل كافر ».

الفصل الثاني والخمسون في ذكر أن عامة سكان الجنة من الضعفاء والمساكين والفقراء

أخرج البخاري ومسلم عن أسامة قال: قال رسول الله (ﷺ): « قمت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء والمساكين ».

وأخرج البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب: سمع النبي (ﷺ) يقول: « ألا أدلكم على أهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ».

وأخرج ابن حبان عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة سنة ».

وأخرج الحاكم في « المستدرك » عن سراقة بن جُعْشُم أن رسول الله (ﷺ) قال: « يا سراقة ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله.

قال: « أما أهل الجنة فالضعفاء والمغلوبون وأما أهل النار فكل جعظري جواظ مستكبر ».

وأخرج ابن حبان عن عبدالله بن عمرو عن النبي (ﷺ) قال: « دخلت الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ».

الفصل الثالث والخمسون في ذكر عدد درجات الجنة وذكر عدد أبوابها

أخرج البخاري عن عبادة أن رسول الله (ﷺ) قال: « في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة

ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس».

وروى الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم».

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام».

وأخرج الشيخان عن سهل رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون».

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب الجواد ثلاثًا ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول».

الفصل الرابع والخمسون في ذكر فراش الجنة

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) في قوله تعالى ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة».

وأخرج ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» عن كعب الأحبار في قول الله عز وجل: ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال: «مسيرة أربعين سنة».

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله (ﷺ) عن الفرش المرفوعة؟

فقال: «لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف».

الفصل الخامس والخمسون في ذكر ريح الجنة ورائحتها

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن جابر قال: قال رسول الله (ﷺ):

« إن ريح الجنة لتوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ».

وأخرج الحاكم في « المستدرك » عن أبي بكرة قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: « إن ريح الجنة ليوجد من مسيرة مائة عام ».

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: « تراح رائحة الجنة من مسيرة خمس مائة عام ».

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن جابر قال: قال رسول الله (ﷺ): « يقول الله تعالى للجنة: طيبي لأهلك، فتزداد طيبًا فذاك البرد الذي يجده الناس بالسحر من ذاك ».

الفصل السادس والخمسون في ذكر مسافة ما بين المصراعين من مصاريع الجنة

أخرج أبو نعيم في « الحلية » والإمام أحمد في « المسند » عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: قال رسول الله (ﷺ): « ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين ».

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): « والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو هجر ومكة ».

وأخرج أحمد وأبو يعلى في « مسنده » عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) أنه قال: « ما بين مصراعي الجنة أربعون سنة ».

وأخرج الترمذي في « سننه » عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه أن النبي (ﷺ) قال: « الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المشحوذ ثلاثًا ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول ».

الفصل السابع والخمسون في ذكر العشرة المبشرين بالجنة

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة مقطوع بدخولهم الجنة إن شاء الله تعالى وبفضله عز وجل وهم:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه.
عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
عثمان بن عفان رضي الله عنه.
علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
سعيد بن زيد رضي الله عنه.
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.
الزبير بن العوام رضي الله عنه.
أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وقد اتفق عليهم جمهور علماء المسلمين وأن هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة.

الفصل الثامن والخمسون في ذكر أن كل صحابة رسول الله (ﷺ) هم في الجنة إن شاء الله تعالى وأنهم أعلى أهل الجنة منزلة

واعلم يا أخي أن كل صحابة رسول الله (ﷺ) هم في الجنة إن شاء الله تعالى وبفضله عز وجل وببركة صحبتهم لرسول الله (ﷺ) ولا ننظر إلى ما حدث من منازعات صدرت من بعضهم مثل معاوية وعمرو بن العاص فإن هذا لا ينقص من قدرهم عند الله تعالى وإننا لم نبلغ مرتبتهم ولا أي عالم في الأمة حتى يحكم على خلافاتهم إلا واحد منهم يجوز له أن يقول وقد قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو واحد منهم عليهم رضوان الله

تعالى: « إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾. أخرجه ابن جرير في « تفسيره ».

الفصل التاسع والخمسون في ذكر من اشتاقت إليهم الجنة من صحابة رسول الله (ﷺ)

أخرج أبو نعيم في « الحلية » عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « اشتاقت الجنة إلى أربع إلى علي بن أبي طالب والمقداد وعمار وسلمان ».

الفصل الستون في ذكر أعظم كرامات أهل الجنة وهي رؤية الحق عز وجل وكشف الحجاب عنهم فيرون ربهم عز وجل

اعلم أن أعظم الكرامات التي يكرم بها الحق عز وجل أهل الجنة هي رؤية الحق عز وجل وكشف الحجاب عن أهل الجنة فيرون ربهم جل شأنه.

قال الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾.

وأخرج الشيخان البخاري ومسلم عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي (ﷺ) فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: « إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾.

وأخرج مسلم عن صعيب رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ثم قال: « إن ادخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجّنا من النار قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ».

وأخرج ابن حجر في «لسان الميزان» عن أنس عن النبي (ﷺ) قال: «جاءني جبريل عليه السلام وقال: إن في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل الرب تعالى من عليين على كرسيه ثم حف الكرسي منابر من نور فجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف تلك المنابر مكللة من جوهر فجاء الصديقون والشهداء فجلسوا عليها وجاء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثيب. ثم يتجلى لهم فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي فاسألوني فيسألونه حتى تنتهي بهم رغبتهم ثم يفتح لهم عمّا لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر إلى قدر منصرفهم من الجمعة فهي ياقوتة حمراء وزبرجدة خضراء مطردة فيها أنهارها وفيها ثمارها وأزواجها وخدمها فليسوا أشوق منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرًا إلى ربهم عز وجل».

الجزء الثاني

كتاب
وصف جهنم والزبانية
بالقرآن والسنة المحمدية

المقدمة

الحمد لله الذي ليس كمثله شيء على الإطلاق. والمتجلي بآياته الباهرة في كافة الآفاق. هو الله في الأولى والآخرة. بهر العارفين بعيون حكمته السافرة.

من ذا الذي غرق في محبته. وفني في عين مودته. سوى أهل المعرفة بالله. رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه.

ألا تنظر أيها العارف المتمكن هذا الوجود وقد صرخ صائحًا بوحدانيته وهام فانيًا في بحار فردانيته سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ووصفه وقدسه.

اللهم.

صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد.

فهذا كتابي «وصف جهنم والزبانية بالقرآن والسنة المحمدية». وهو في أوصاف النار الكبرى أعاذنا الله وإياكم منها. وجعلنا وإياكم في مقعد صدق عند مليك مقتدر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وقد وضعته لعامة أهل الإيمان والمؤمنين وكذا لخاصتهم كي يكون لهم تذكرة وذكرى قال الله تعالى: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾.

وقد قال أبو القاسم (ﷺ): «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

وقال (ﷺ): «ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا رأيت مثل النار نام هاربها». هذا وإنني لا أتذكر في هذا المقام سوى والدي وأساتذتي الأوائل الذين حضوني على طلب العلم فهم الرواد الأوائل فرضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه وأنا بذرة نبتت من شجرتهم المباركة فإليهم أرفع ثواب هذا الكتاب.

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول في ذكر أن ميكائيل لم ير ضاحكاً منذ خلقت النار

روى أحمد في «المسند» عن أنس بن مالك عن رسول الله (ﷺ) أنه قال لجبريل: «ما لي لا أرى ميكائيل ضاحكًا قط»؟

قال: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار».

الفصل الثاني في ذكر مقدار الفترة التي أوقد فيها على النار

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة».

الفصل الثالث في ذكر أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «ناركم جزء من

سبعين جزءًا من نار جهنم ».

قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية.

قال: « فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا ».

متفق عليه واللفظ للبخاري.

وفي رواية لمسلم: « ناركم التي يوقد ابن آدم ».

وروى الإمام أحمد في « المسند » عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم ».

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « أتدرون مثل ناركم هذه من نار جهنم لهي أشد من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفًا ».

وأخرج البزار عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله (ﷺ) قال: « الرؤيا الصالحة بشرى وهي جزء من سبعين جزءًا من النبوة وإن ناركم يعني هذه جزء من سبعين جزءًا من سموم جهنم وما دام العبد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما لم يحدث ».

الفصل الرابع في ذكر عدد الملائكة الذين يجرون جهنم

أخرج مسلم والترمذي عنه (ﷺ) أنه قال: « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ».

الفصل الخامس في ذكر كيف تتلقى النار أهلها

روى الطبراني في « الأوسط » عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: « إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقتهم فلفحتهم لفحة فلم تدع لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب ».

الفصل السادس في ذكر عظم ضرس الكافر

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ».

وأخرج الإمام أحمد في « المسند » عن يزيد بن حيان التيمي قال: انطلقت أنا وحسين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم وحدثنا في مجلس ذلك قال: « إن الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون الضرس من أضراسه مثل أحد ».

الفصل السابع في ذكر المسافة بين منكبي الكافر

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع ».

وأخرج الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) قال: « يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ».

الفصل الثامن في ذكر ضخامة لسان الكافر

أخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: « إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس ».

الفصل التاسع في ذكر مقدار غلظ جلد الكافر

أخرج البزار عن ثوبان قال: وسئل رسول الله (ﷺ) قال: « ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار ».

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) قال: « يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة اذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وإن عظم جلده سبعون ذراعاً وإن جلده مثل أحد ».

الفصل العاشر في ذكر ضخامة مجلس الكافر في جهنم

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة».

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة».

الفصل الحادي عشر في ذكر عظم فخذ الكافر

أخرج الترمذي حديثاً في وصف فخذ الكافر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «وفخذه مثل البيضاء».

والبيضاء: اسم مكان بحمى الربذة.

وقيل: اسم جبل.

وأخرج أحمد في «المسند» وأبو يعلى حديثًا في وصف فخذ الكافر عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) قال: «وفخذه مثل ورقان».

وورقان: بوزن قطران: جبل أسود بين العرج والرويثة على يمين المار من المدينة إلى مكة.

الفصل الثاني عشر في ذكر بكاء أهل النار وغزارة دموعهم كأنها الجداول

أخرج ابن ماجه وأبو يعلى: عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «يا أيها الناس أبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل يعني الدم فتقرح العيون».

الفصل الثالث في ذكر عظم شفة الكافر

أخرج الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته ».

الفصل الرابع عشر في ذكر أهون أهل النار عذابا

أخرج البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: « إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمر كان يغلي منهما دماغه ».

وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله (ﷺ) قال: « أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه ».

الفصل الخامس عشر في ذكر سرادق أهل النار

أخرج الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة ».

الفصل السادس عشر في ذكر شدة عمق قعر جهنم

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي (ﷺ) إذ سمع وجبة فقال: « تدرون ما هذا »؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: « هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار حتى انتهى إلى قعرها ».

وأخرج الترمذي عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال:

« إن الصخرة العظيمة لتلقي من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عامًا وما تفضي إلى قرارها ».

قال: وكان عمر يقول: « أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامها حديد ».

وأخرج الترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: « لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ».

الفصل السابع عشر في ذكر أن النار تأكل ابن آدم إلا أثر السجود

أخرج ابن ماجه في « السنن » عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ».

الفصل الثامن في ذكر لو تنفس رجل من أهل النار

أخرج أبو يعلى عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: « لو أن في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصاب نفسه لاحترق المسجد ومن فيه ».

الفصل التاسع عشر في ذكر أول من يكسى من حلل النار

أخرج الإمام أحمد والبزار عن أنس بن مالك قال: « أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبه أو حاجبيه ويسحبها من بعد، وذريته من بعده أو من خلفه وهو ينادي: يا ثبوراه وينادون: يا ثبورهم فيقال لهم: لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبورًا كثيرًا ».

الفصل العشرون في ذكر أن النساء هن أكثر أهل النار

أخرج ابن حبان عن عبدالله بن عمرو عن النبي (ﷺ) قال: «دخلت الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

وأخرج الإمام أحمد في «المسند» عن عبد الرحمن بن شبل قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن الفساق أهل النار».

قالوا: يا رسول الله ومن الفساق؟

قال: «النساء».

قال رجل: يا رسول الله أوليس أمهاتنا ونساؤنا وأزواجنا وبناتنا؟

قال: «بلى ولكنهن إذا أعطين لم يكشرن وإذا ابتلين لم يصبرن».

الفصل الحادي والعشرون في ذكر من قتل نفسه بشيء عذب به

أخرج البزار عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله (ﷺ): «من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به في الآخرة».

الفصل الثاني والعشرون في ذكر بئر في جهنم يقال له هبهب

وأخرج الطبراني عن محمد بن واسع قال: قلت لبلال بن أبي بردة: إن أباك حدثني عن رسول الله (ﷺ): «أن في جهنم واديًا في الوادي بئر يقال لها هبهب حقًا على الله أن يسكنها كل جبار عنيد».

الفصل الثالث والعشرون في ذكر عقارب وحيات جهنم

أخرج الإمام أحمد والطبراني عن عبدالله بن الحرث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها سبعين خريفًا وإن في النار عقارب كأمثال

العقارب الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين سنة ».

البخت: هي جمال طوال الأعناق.

الفصل الرابع والعشرون في ذكر السحابة التي تمطر أهل النار

أخرج الطبراني في « الأوسط » عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى رسول الله (ﷺ) قال: « ينشئ الله عز وجل لأهل النار سحابة سوداء مظلمة فيقال: يا أهل النار أي شيء تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون: يا ربنا الشراب فيمطرهم أغلالًا تزيد في أغلالهم وسلاسل في سلاسلهم وجمرًا يلهب عليهم ».

الفصل الخامس والعشرون في ذكر جب الحزن الذي في جهنم

أخرج الطبراني في « الأوسط » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): « تعوذوا بالله من جب الحزن ».

قالوا: يا رسول الله وما جب الحزن؟

قال: « وادٍ في جهنم إن جهنم لتعوذ بالله من شر ذلك الوادي من كل يوم أربعمائة مرة يلقي فيه الفرارون »

قيل: يا رسول الله وما الفرارون؟

قال: « المراءون بأعمالهم في الدنيا ».

الفصل السادس والعشرون في ذكر مقامع الحديد التي في جهنم

أخرج الإمام أحمد في « المسند » وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) قال: « لو أن مقمعًا من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض ».

وأخرج الإمام أحمد في « المسند » وأبو يعلى عن أبي سعيد رضي الله عنه:

قال رسول الله (ﷺ): «لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد».

الفصل السابع والعشرون في ذكر جبل الصعود الذي بجهنم

أخرج الترمذي عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) قال: «الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفًا ثم يهوي كذلك فيه أبدًا».

وأخرج الحاكم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال في قوله تعالى: ﴿سأرهقه صعودًا﴾ قال: «جبل من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده عليه ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله عليه ذابت فإذا رفعها عادت يصعد سبعين خريفًا ثم يهوي كذلك».

الفصل الثامن والعشرون في ذكر غي وهو واد بجهنم

أخرج الطبراني والبيهقي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿فسوف يلقون غياً﴾ قال: «واد في جهنم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات».

قال زكي الدين المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه الطبراني والبيهقي من رواية أبي عبيدة عن أبيه عبدالله بن مسعود ولم يسمع منه ورواة بعض طرقه ثقات. وفي رواية للبيهقي قال: «نهر في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم» وإسناد هذا جيد لولا الانقطاع.

وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: ﴿فسوف يلقون غياً﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «فسوف يلقون غياً» أي خسراناً. وقال قتادة: شرًّا. وقال سفيان الثوري وشعبة ومحمد بن إسحاق عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود: ﴿فسوف يلقون غياً﴾ قال: واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم» وقال الأعمش: عن زياد عن أبي عياض في قوله «فسوف يلقون غياً» قال «وادٍ في جهنم من قيح ودم». وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثني عباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن زياد حدثنا

شرقي بن قطامي عن لقمان بن عامر الخزاعي قال: جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله (ﷺ) فدعا بطعام ثم قال: قال رسول الله (ﷺ): «لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفاً ثم تنتهي إلى غي وآثام».

قال: قلت: ما غي وآثام؟

قال: قال: «بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار».

الفصل التاسع والعشرون في ذكر موبق وهو واد بجهنم

روى البيهقي عن أنس بن مالك في قوله: ﴿وجعلنا بينهم موبقاً﴾ قال: وادٍ من قيح ودم».

الفصل الثلاثون في ذكر وادي الحزن الذي في جهنم

روى البيهقي بإسناد حسن عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن».

قيل: يا رسول الله وما جب الحزن أو وادي الحزن؟

قال: «وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة».

قيل: يا رسول الله من يدخله.

قال: «أعد للقراء المرائين بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء والجورة». وأخرجه ابن ماجه واللفظ له والترمذي وقال: حديث غريب.

وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال: «إن في جهنم لواديًا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم أربعمائة مرة أعد للمرائين من أمة محمد (ﷺ)».

الفصل الحادي والثلاثون في ذكر هوى وهو قصر في جهنم

أخرج ابن أبي الدنيا موقوفًا عن شفى بن ماتع وفي صحبته خلاف قال: « إن في جهنم قصرًا يقال له هوى يرمى الكافر من أعلاه أربعين خريفًا قبل أن يبلغ أصله قال الله تعالى: ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ وإن في جهنم واديًا يدعى آثامًا فيه حيات وعقارب فقار إحداهن مقدار سبعين قلّة سم والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة تلدغ الرجل ولا يلهيه ما يجد من حر جهنم عن حموة لدغتها فهو لمن خلق له وإن في جهنم واديًا يدعى غيًا يسيل قيحًا ودمًا وإن في جهنم سبعين داء كل داء جزء من أجزاء جهنم ».

الفصل الثاني والثلاثون في ذكر المهل

روى أحمد والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) في قوله « كالمهل » قال: « كعكر الزيت فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه ».

قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

قال الحافظ: قد رواه ابن حبان في « صحيحه » والحاكم من حديث ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

قال ابن كثير في « تفسيره »: وقوله ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾ الآية قال ابن عباس: المهل الماء الغليظ مثل دردي الزيت.

وقال مجاهد: هو كالدم والقيح.

وقال عكرمة: هو الشيء الذي انتهى حره.

وقال آخرون: هو كل شيء أذيب.

وقال قتادة: أذاب ابن مسعود شيئًا من الذهب في أخدود فلما انماع وأزبد قال: هذا أشبه شيء بالمهل.

وقال الضحاك: ماء جهنم أسود وهي سوداء وأهلها سود وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر فإن المهل يجمع هذه الأصناف الرذيلة كلها.

الفصل الثالث والثلاثون في ذكر الحميم

أخرج الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان».

قال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح.

قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: «الحميم» هو المذكور في القرآن في قوله تعالى ﴿وسقوا ماء حميمًا فقطع أمعاءهم﴾ وروى ابن عباس وغيره أن الحميم الحار الذي يحرق. وقال الضحاك: الحميم يغلي منذ خلق الله السموات والأرض إلى يوم يسقونه ويصب على رؤوسهم وقيل: هو ما يجتمع من دموع أعينهم في حياض النار فيسقونه وقيل غير ذلك.

الفصل الرابع والثلاثون في ذكر الصديد

روى أحمد والترمذي والحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿ويُسقى من ماءٍ صديد﴾.

قال: «يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره».

قال الترمذي: حديث غريب.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

الفصل الخامس والثلاثون في ذكر الغسلين

أخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال:

« لو أن دلوًا من غساق جهنم يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا ».

قال الحاكم: صحيح الإسناد.

وقال المنذري في « الترغيب والترهيب »: « الغساق » هو المذكور في القرآن في قوله تعالى ﴿فليذوقوه حميم وغساق﴾ وقوله ﴿لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا إلا حميمًا وغساقًا﴾.

وقد اختلف في معناه فقيل: هو ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه قاله ابن عباس وقيل: هو صديد أهل النار قاله إبراهيم وقتادة وعطية وعكرمة وقال كعب: هو عين في جهنم تسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه فيجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه وقال عبدالله بن عمرو: الغساق القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق ولو تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب وقيل غير ذلك.

الفصل السادس والثلاثون في ذكر نهر الغوطة الذي في النار

أخرج ابن حبان والحاكم وأحمد عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: « ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة ».

قيل: وما نهر الغوطة؟

قال: « نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهم ».

قال الحاكم: صحيح الإسناد.

الفصل السابع والثلاثون في ذكر طينة الخبال وهي عصارة أهل النار

أخرج أحمد في « المسند » وابن حبان في « صحيحه » عن أسماء بنت يزيد

رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة فإن مات مات كافرًا فإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الخبال».

قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟

قال: «صديد أهل النار».

وفي رواية لابن حبان في «صحيحه» قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟

قال: «عصارة أهل النار».

الفصل الثامن والثلاثون في ذكر الزقوم وهو من طعام أهل النار

أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) قرأ هذه الآية ﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ فقال رسول الله (ﷺ): «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل النار معايشهم فكيف بمن يكون طعامه».

قال الحاكم: صحيح على شرطها.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وروي موقوفًا عن ابن عباس.

الفصل التاسع والثلاثون في ذكر الضريع وهو من طعام أهل النار

أخرج الترمذي والبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع».

الفصل الأربعون في ذكر الطعام ذي الغصة الذي في النار

أخرج الحاكم موقوفًا عن شبيب بن شيبة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿طعامًا ذا غصة﴾ قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج».

الفصل الحادي والأبعون في ذكر الويل وهو وادٍ في جهنم

أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه من النبي (ﷺ) قال: « ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره ».

وفي رواية الترمذي: « واد بين جبلين يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره ».

ورواه ابن حبان في صحيحه بنحو رواية الترمذي والحاكم وقال: صحيح الإسناد ورواه البيهقي من طريق الحاكم إلا أنه قال: « يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يفرغ من حساب الناس ».

الفصل الثاني والأربعون في ذكر حزن جبريل عليه السلام لما رأى نفحة من جهنم

أخرج الطبراني في « الأوسط » عن عمر رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي (ﷺ) حزينًا لا يرفع رأسه فقال له رسول الله (ﷺ): « ما لي أراك يا جبريل حزينًا » ؟

قال: إني رأيت نفحة من جهنم فلم ترجع إليّ روحي بعد.

الفصل الثالث والأربعون في ذكر ما هو وقود أهل النار

قال الله تعالى: ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾.

وأخرج الحاكم موقوفًا وقال: صحيح على شرط الشيخين عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ قال: « هي حجارة من كبريت

خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين ».

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبدالله بن الوضاح حدثنا عبادة بن كليب عن محمد بن هاشم قال: ولما نزلت هذه الآية ﴿نارًا وقودها الناس والحجارة﴾ قرأها النبي (ﷺ) فسمعها شاب إلى جنبه فصعق فجعل رسول الله (ﷺ) رأسه في حجره رحمة له فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم فتح عينيه فقال: بأبي أنت وأمي مثل أي شيء الحجر قال: أما يكفيك ما أصابك على أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا كلها لذابت منه وإن مع كل إنسان منهم حجرًا وشيطانًا ».

الفصل الرابع والأربعون في ذكر سلاسل جهنم

أخرج أحمد في « المسند » والبيهقي والترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): « لو أن رضاضة مثل هذه وأشار مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها ».

قال الترمذي: إسناده حسن.

وأخرج الطبراني عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى النبي (ﷺ) قال: « ينشئ الله سحابة سوداء مظلمة فيقال: يا أهل النار أي شيء تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون: يا ربنا الشراب فتمطرهم أغلالًا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرًا تلتهب عليهم ».

الفصل الخامس والأربعون في ذكر تبديل جلود أهل النار بجلود أخرى كلما نضجت جلودهم

قال الله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب﴾.

روى البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية ﴿كلمت نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ قال: يا كعب خبرني عن تفسيرها فإن صدقت صدقتك وإن كذبت رددت عليك فقال: إن جلد ابن آدم يحرق ويجدد في ساعة مقدار ستة آلاف مرة قال: صدقت.

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» وروي أيضًا عن الحسن وهو البصري قال: «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب».

قال: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا.

الفصل السادس والأربعون في ذكر ماذا يفعل بأنعم أهل الدنيا في النار

أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار ويصبغ في النار صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط هل مر بك نعيم قط فيقول: لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط هل مر بك من شدة قط فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط».

الفصل السابع والأربعون في ذكر الصندوق الذي يوضع فيه الرجل في النار ويقفل عليه بقفل من نار

روى البيهقي موقوفًا بسند حسن عن سويد بن غفلة قال: «إذا أراد الله أن ينسى أهل النار جعل للرجل منهم صندوقًا على قدره من نار لا ينبض منه عرق إلا فيه مسمار من نار ثم تضرم فيه النار ثم يقفل بقفل من نار ثم

يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار ثم يضرم بينهما نار ثم يقفل ثم يُلقى أو يطرح في النار فذلك قوله: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوِّف الله به عباده يا عبادِ فاتقونِ﴾ وذلك قوله: ﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾ قال: فما يرى أن في النار أحدًا غيره».

الفصل الثامن والأربعون في ذكر أن جهنم لا تمتلئ من سكانها أبدا ولا تشبع

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قَطِ قَطِ بعزتك وكرمك».

الفصل التاسع والأربعون في ذكر تكليم الله لبعض أهل النار

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فقال الرب عز وجل: أخرجوهما فلما أخرجا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما قالا: فعلنا ذلك لترحمنا قال: إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها عليه بردًا وسلامًا ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه فيقول له الرب عز وجل: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك فيقول: يا رب إني لأرجو ألا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني فيقول الرب: لك رجاؤك.

الفصل الخمسون في ذكر العنق التي تخرج من النار لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر وبالمصورين».

الفصل الحادي والخمسون في ذكر أن أبا جهل هو فرعون هذه الأمة

ورد في مغازي موسى بن عقبة التي قال فيها مالك رضي الله عنه: مغازي موسى بن عقبة أصح المغازي أن رسول الله (ﷺ) وقف على القتلى - أي في غزوة بدر - والتمس أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه ثم قال: «اللهم لا تعجزني فرعون هذه الأمة» فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه لما قال رسول الله (ﷺ): «من ينظر لنا ما صنع أبو جهل» فانطلق ابن مسعود رضي الله عنه فوجده قد ضربه ابن عفراء حتى برد» ولمسلم «برك» فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل، الحديث قال ابن مسعود: ثم احتززت رأسه.

الفصل الثاني والخمسون في ذكر الزبانية وهم خزنة النار

قال الله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ أي عدد الزبانية وهم خزنة جهنم.

أخرج البزار في «مسنده» من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: يا محمد غُلِبَ أصحابك اليوم فقال: «بأي شي»؟ قال: سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عِدّة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله (ﷺ): «أَفَغُلِبَ قوم يسئلون عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم» عليَّ بأعداء الله لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة» فأرسل إليهم فدعاهم قالوا: يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار؟

قال: «هكذا» وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لاصحابه: «إن سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك» فلما سألوه فأخبرهم بعدة

خزنة أهل النار قال لهم رسول الله (ﷺ): «ما تربة الجنة» فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: خبزة يا أبا القاسم.

فقال: «الخبز من الدرمك».

وكذا رواه الإمام أحمد والترمذي.

الفصل الثالث والخمسون في ذكر سجين وهو سجن في جهنم

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: ﴿وما أدراك ما سجين﴾؟ أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ثم قد قال قائلون هي تحت الأرض السابعة.

وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه الطويل: يقول الله عز وجل في روح الكافر اكتبوا كتابه في سجين وسجين هي تحت الأرض السابعة وقيل: صخرة تحت السابعة خضراء.

وقيل: بئر في جهنم.

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثًا غريبًا منكرًا لا يصح فقال: حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «الفلق جب في جهنم مغطى وأما سجين فمفتوح».

الفصل الرابع والخمسون في ذكر الصراط وهو جسر على النار

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم أحد يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة

بأخذ من أمرت به فمخدوش ناجٍ ومكدوس في النار فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش ومكدوس في نار جهنم ».

وروى البيهقي موقوفًا ومرسلًا عن عبيد بن عمير عن النبي (ﷺ) قال: الصراط على جهنم مثل حرف السيف بجنبتيه الكلاليب والحسك فيركبه الناس فيختطفون والذي نفسي بيده وإنه ليُؤخَذُ بالكُلَّابِ الواحد أكثر من ربيعة ومضر ».

وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه: « والصراط كحد السيف دحض مزلة قال فيمرون على قد نورهم فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الرجل ويرمل رملًا فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدميه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل فتصيب جوانبه النار ».

الفصل الخامس والخمسون في ذكر شفاعته (ﷺ) لأمته وإخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها مؤمن قط

قال الله تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾.

أخرج مسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة ».

وأخرج البخاري في « الرقائق » ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: « يدخل الله أهل الجنة يدخل من يشاء برحمته

ويدخل أهل النار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها حممًا قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية ».

وأخرج أبو داود والترمذي عن جابر رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ».

وأخرج الترمذي عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: « أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا ».

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا ».

الفصل السادس والخمسون في ذكر آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة

أخرج الشيخان البخاري ومسلم عن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): « إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة رجل يخرج من النار حبوًا فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها وإن لك عشرة أمثال الدنيا فيقول: أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملك ». قال: لقد رأيت رسول الله (ﷺ) ضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة.

وروى مسلم عن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: « إني

لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار رجل يخرج منها زحفًا فيقال له: انطلق فادخل الجنة فيذهب فيدخل الجنة فيرى الناس قد أخذوا المنازل فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه فيقول: نعم فيقال له: تمن فيتمنى فيقال له: لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا قال فيقول: أتسخر بي وأنت الملك».

قال: فلقد رأيت رسول الله (ﷺ) ضحك حتى بدت نواجذه.

الفصل السابع والخمسون في ذكر اطلاع المصطفى (ﷺ) على جهنم في ليلة الإسراء والمعراج ومشاهدته لأنواع المعذبين فيها

أخرج الطبراني أنه (ﷺ) أتى على واد فسمع صوتًا منكرًا وريحًا منتنة فقال: «ما هذا يا جبريل»؟

قال: هذا صوت جهنم تقول: رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وعناقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتني بما وعدتني.

قال: لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب.

قالت: قد رضيت.

الفصل الثامن والخمسون في ذكر رؤيته (ﷺ) لآكل الحرام وهو يعذب في جهنم

روى البيهقي عن أبي سعيد: أنه (ﷺ) رأى أخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد وأخرى عليها لحم نتن عليها ناس يأكلون.

قال جبريل: هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام.

الفصل التاسع والخمسون في ذكر رؤيته (ﷺ) لأكلة الربا وهم يعذبون في جهنم

أخرج البيهقي عن أبي سعيد أنه (ﷺ) مر على قوم بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر.

فقال له جبريل : هم أكلة الربا.

الفصل الستون في ذكر رؤيته (ﷺ) للذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً وهم يعذبون في جهنم

أخرج البيهقي عن أبي سعيد أنه (ﷺ) مر بقوم مشافرهم كالإبل يلتقمون جمرًا فيخرج من أسافلهم.

فقال له جبريل : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا.

الفصل الحادي والستون في ذكر رؤيته (ﷺ) للنساء الزواني وهن يعذبن في جهنم

أخرج البيهقي عن أبي سعيد أنه (ﷺ) مر بنساء تعلقن بثديهن.

فقال له جبريل : هؤلاء النساء الزواني.

الفصل الثاني والستون في ذكر رؤيته (ﷺ) للغمازين واللمازين وهم يعذبون في جهنم

أخرج البيهقي عن أبي سعيد أنه (ﷺ) مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون فقال له جبريل : هؤلاء الغمازون اللمازون.

الفصل الثالث والستون في ذكر رؤيته (ﷺ) الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وهم يعذبون في جهنم

أخرج الإمام أحمد في « المسند » وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن جبير

عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم.

فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم.

الفصل الرابع والستون في ذكر رؤيته (ﷺ) للنمامين وهم يعذبون في جهنم

وفي هيئة من مشاهداته (ﷺ) رأى ملكًا وبين يديه آدمي وبيد الملك كلوب من حديد فيضعه في شدقه الأيمن فيشقه حتى ينتهي إلى أذنه ثم يأخذ في الأيسر فيلتئم الأيمن.

فقال: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: أولئك الذين كانوا يمشون بين المؤمنين بالنميمة ليفرقوا بينهم فهم يعذبون بها حتى يصيروا إلى النار.

الفصل الخامس والستون في ذكر رؤيته (ﷺ) لداعي اليهود وداعي النصارى وللدنيا قبل اطلاعه على حقيقة جهنم

أخرج البيهقي عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) قال: دعاني داعٍ عن يميني أنظرني أسألك فلم أجبه ثم دعاني آخر عن يساري كذلك فلم أجبه وفيه: إذا امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى.

فقالت: يا محمد أنظرني أسألك فلم ألتفت إليها وفيه أن جبريل قال له: أما الداعي الأول: فهو داعي اليهود ولو أجبته لتهودت أمتك وأما الثاني: فداعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك وأما المرأة فهي الدنيا.

الخاتمة

اعلم أيدك الله وإياي بنور توفيقه أنه لما كان الغرض الأصلي من وضع هذا المصنف هو ترغيب الناس في الجنة وترهيبهم من النار لذا وجب على العاقل اللبيب والمؤمن الكيس الفطن أن يتذكر دائمًا أنه سوف يموت وهذه حقيقة لا مفر منها وهي من الحقائق الكبرى في علوم الدين وأساس الملة ومن ثم فإنه سوف يلاقي الحق سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله﴾.

هذا ومن ثم يجب على أهل الإيمان وجوبًا ذوقيًا عرفانيًا لا وجوبًا يخرج عن هذا المعنى أن يتذكر أن مصيره سوف يؤول إما إلى جنة أو نار فأين المفر من هذه الحقيقة فليعمل لواحدة منها وليشغل قلبه وفؤاده بالفردوس الأعلى وليعرض بكله وكليته عن النار الكبرى وليسارع قبل أن لا يسارع وليصارع على هذا المقام قبل أن لا يصارع.

والله ولي التوفيق ★

كتاب
اللوح والقرطاس
في فضائل حبر الأمة عبدالله بن عباس
(رضي الله عنه)

الحمد لله الذي أتم الشريعة بظهور شمسها محمد (ﷺ) فأضاء الأكوان بنوره. وعطر الدنيا والآخرة عبيره. ذاك الرسول المجاهد. والنبي الراكع الساجد. هو سلطان الدنيا والآخرة. وإمام الفانية والباقية. كل الأنبياء فيه قد ذابوا. وفي أنوار جماله قد غابوا.

لولاه لما كان الوجود أصلًا. وأنا متمكن من هذا القول لفظًا وفعلًا.

فإنَّ قدرَ رسول الله ليس له حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفم

وصلى الله على أستاذ الوجود. وكعبة أهل الشهود. إمام العالم. وكرسي المعالم. مولانا رسول الله محمد وعلى آله وصحابته وبعد:

فهذا كتابي «اللوح والقرطاس في فضائل حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه».

وقد أودعته صدف المعارف. ورصعته بجواهر تتقاذف فإن علم فضائل صحابة رسول الله علم مشهور. وفقه مأثور. دع البحر والحبر كي يتكلم عن نفسه. ويترجم عن معرفته وقدسه.

هنا تتيه الرجال. وتوزن الخصال. وتفنى الأعمال. ولا قيراط ولا مثقال.

البحر النوري. والمحيط اللدني. ترجمان القرآن وقاموس الإيمان.

ابن عباس ذاك قطب برع وتربع. وفاق وراق. من مثله وقد شهد له الفاروق رضي الله عنه بقوله: «لقد أوتيت علمًا ما أوتيناه».

وقال فيه الإمام الأكبر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «إنه لغواص».

ودعا له النبي (ﷺ) «بالحكمة». ودعا له النبي (ﷺ) وقال: «نعم ترجمان القرآن أنت».

ودعا النبي (ﷺ) وقال: «اللهم احشُ جوفه حكمًا وعلمًا».

ودعا النبي (ﷺ) وقال: «اللهم علمه التأويل». واستبشر النبي (ﷺ) وقال: «لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام».

وأوصى جبريل عليه السلام النبيَّ (ﷺ) به وقال: «إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوصى به خيرًا».

وقال طاووس: «أدركت نحوًا من خمسائة من الصحابة إذا ذاكروا ابن عباس فخالفوه فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله».

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول عن نفسه: «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله».

وكان يفتي جميع أهل الأذواق.

هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الأول في ذكر نسبه

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة ابن عباس رضي الله عنهما في الجزء الثالث:

حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير وأبو العباس عبدالله ابن عم رسول الله (ﷺ) العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد

مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر القرشي الهاشمي المكي الأمير رضي الله عنه.

الفصل الثاني في ذكر كنيته

أجمع المؤرخون على أن كنيته أبو العباس.

قال الخطيب في «تاريخ بغداد»: وكنيته أبو العباس. انتهى

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: وكنيته أبو العباس. انتهى.

وأقر هذه الكنية ابن عبد البر في «الاستيعاب». وأقرها الحافظ ابن حجر في «الإصابة». وترجم له بهذه الكنية يعقوب بن سفيان الفسوي في كتابه «المعرفة والتاريخ» في المجلد الأول.

الفصل الثالث في ذكر مولده

قام الإجماع على أنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. قال الزبير بن بكار: ولد عبدالله بن عباس في الشعب قبل خروج بني هاشم منه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين. انتهى.

وقال الخطيب في «تاريخ بغداد»: ولد بمكة في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين. انتهى.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»: ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. انتهى.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ومولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين. انتهى.

قال الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»:

قال مسلم بن خالد الزنجي المكي عن ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس

قال: لما كان رسول الله (ﷺ) في الشعب جاء أبي إلى رسول الله (ﷺ) فقال له: يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل فقال: «لعل الله أن يقر أعينكم» قال: فلما ولدتني أُتي بي رسول الله (ﷺ) وأنا في خرقة فحنكني بريقه.

قال مجاهد: فلا نعلم أحدًا حنكه رسول الله (ﷺ) بريقه غيره.

وفي رواية أخرى: فقال رسول الله (ﷺ): «لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام» فولدت عبدالله بن عباس.

وعن عمرو بن دينار قال: ولد ابن عباس عام الهجرة وروى الواقدي من طريق شعبة عن ابن عباس أنه قال: ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين في الشعب.

ثم قال الواقدي: وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل العلم واحتج الواقدي بأنه كان قد ناهز الحلم عام حجة الوداع. انتهى كلام الحافظ ابن كثير.

وقال أبو عبدالله بن منده كما نقل عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ولد قبل الهجرة بسنتين. انتهى.

الفصل الرابع في ذكر مقدار عمره

عندما توفي النبي (ﷺ) قال البخاري في «التاريخ الصغير»:

حدثني موسى بن إسماعيل ثنا أبو عَوَانة عن أبي بِشْر عن سعيد بن جبير ابن عباس:

توفي النبي (ﷺ) وأنا ابن عشر سنين. وقال البخاري في «التاريخ الصغير»:

وعن شعبة قال: أخبرني أبو إسحاق سمع سعيد بن جبير عن ابن عباس: توفي النبي (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة والرواية الأولى أصح. انتهى

كلام البخاري في « التاريخ الصغير » .

وروى أبو داود الطيالسي في « مسنده » عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قبض رسول الله (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون. انتهى.

قال ابن كثير في « البداية والنهاية »: وهذا هو الأصح ويؤيده صحة ما ثبت في « الصحيحين » ورواه « مالك » عن الزهري عن عبيدالله عن ابن عباس قال: أقبلت راكبًا على أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ورسول الله (ﷺ) يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار. انتهى.

وأخرج البخاري في « الجامع الصحيح » في الاستئذان في « باب الختان بعد الكبر » من طريق إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس: مثل من أنت حين قبض النبي (ﷺ)؟ قال: أنا يومئذ مختون قال: وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك. انتهى.

قال يعقوب بن سفيان الفسوي في « المعرفة والتاريخ »: حدثنا الربيع بن يحي قال: حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفي رسول الله (ﷺ) وقد قرأت المحكم في القرآن وأنا يومئذ ابن عشر سنين. انتهى.

وروى الحاكم والطبراني وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس قال: توفي رسول الله (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة وأنا ختين. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري »: المحفوظ الصحيح أنه ولد بالشعب وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين فيكون له عند الوفاة النبوية ثلاث عشرة سنة وبذلك قطع أهل السير وصححه ابن عبد البر وأورد بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال: ولدت وبنو هاشم في الشعب وهذا لا ينافي قوله: « ناهزت الاحتلام » ولا قوله: « وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك »

لاحتمال أن يكون أدرك فختن قبل الوفاة النبوية وبعد حجة الوداع وأما قوله «وأنا ابن عشر» فمحمول على إلغاء الكسر ورواية أحمد «وأنا ابن خمس عشرة» يمكن ردها إلى رواية ثلاث عشرة بأن يكون ابن ثلاث عشرة وشيء وولد في أثناء السنة فجبر الكسرين بأن يكون ولد مثلًا في شوال فله من السنة الأولى ثلاثة أشهر فأطلق عليها ستة وقبض النبي (ﷺ) في ربيع فله من السنة الأخيرة ثلاثة أخرى وأكمل بينهما ثلاث عشرة فمن قال: «ثلاث عشرة» ألغى الكسرين ومن قال: «خمس عشرة» جبرهما والله أعلم. انتهى كلام الحافظ في «فتح الباري». ونقل الذهبي في «سير أعلام النبلاء» عن الزبير بن بكار أنه قال: توفي رسول الله (ﷺ) ولابن عباس ثلاث عشرة سنة. انتهى.

الفصل الخامس في ذكر والديه وإخوته

فأما والده فالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله (ﷺ).

قال ابن منده: وأما أمه فهي أم الفضل أخت أم المؤمنين ميمونة. انتهى.

حماد بن سلمة وغيره عن عبدالله بن عثمان بن خُثَيم عن سعيد بن جبير عن عبدالله قال: بت في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي (ﷺ) غُسْلًا فقال: «من وضع هذا»؟ قالوا: عبدالله فقال: «اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين». أخرجه أحمد في «المسند» والحاكم وصححه والفسوي في «تاريخه» وابن سعد في «الطبقات الكبرى».

أخرج «الإسماعيلي» من طريق إسحاق بن موسى عن ابن عيينة عن عبيدالله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين أنا من الولدان وأمي من النساء. وأخرجه البخاري في «صحيحه» من طريق عبدالله بن محمد عن سفيان بن عينية عن عبيدالله قال: سمعت عبدالله بن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين.

وأخرجه البخاري أيضًا والطبري في « تفسيره » من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن عبدالله بن أبي مليكة أن ابن عباس تلا: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا﴾ قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله وهو في « السنن الكبرى » للبيهقي.

قال الذهبي في « سير أعلام النبلا »: وأمه هي أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية من هلال بن عامر. انتهى.

قال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية »: وهو والد الخلفاء العباسيين وهو أخو إخوة عشرة ذكور من أم الفضل للعباس وهو آخرهم مولدًا وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد عن الآخر. انتهى.

وقال ابن كثير في موضع آخر من ترجمته في « البداية والنهاية »: وقد كان بنو العباس عشرة وهم الفضل وعبدالله وعبيدالله ومعبد وقثم وعبد الرحمن وكثير والحارث وعون وتمام وكان أصغرهم تمام ولهذا كان يحمله ويقول:

تمــوا بتمـــام فصـــاروا عشــرة   يـا رب فـاجعلهـم كـرامًـا بـررة
واجعلهم ذكرًا ونم الثمرة

وكلهم مات في بلد بعيد عن الآخر. فأما الفضل فمات بأجنادين شهيدًا وعبدالله بالطائف وعبيدالله باليمن ومعبد وعبد الرحمن بإفريقية وقثم وكثير بينبع وقيل: إن قثمًا مات بسمرقند.

وقد قال مسلم بن حماد المكي مولى بني مخزوم: ما رأيت مثل بني أم واحدة أشراف ولدوا في دار واحدة أبعد قبورًا من بني أم الفضل. انتهى كلام الحافظ ابن كثير.

قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء »: وهو ابن خالة خالد بن الوليد المخزومي. انتهى.

الفصل السادس في ذكر من صحبهم وقرأ عليهم

قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء »:

صحب النبي (ﷺ) نحوًا من ثلاثين شهرًا وحدث عنه بجملة صالحة وعن عمر ومعاذ وعلي ووالده وعبد الرحمن بن عوف وأبي سفيان بن حرب وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وخلق. وقرأ على أُبيّ وزيد . انتهى.

قال الحاكم في « المستدرك »: جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما توفي رسول الله (ﷺ) قلت لرجل من الأنصار: هلُمَّ نسأل أصحاب رسول الله (ﷺ) فإنهم اليوم كثير فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي عليه السلام من ترى؟ فتركت ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح عليَّ التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسألك قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال: هذا الفتى أعقل مني. صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قال ابن سعد في « الطبقات الكبرى »: أنبأ محمد بن عمر حدثني قدامة بن موسى عن أبي سلمة الحضرمي قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله (ﷺ) من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله (ﷺ) وما نزل من القرآن في ذلك وكنت لا آتي أحدًا منهم إلا سر بإتياني إليه لقربي من رسول الله (ﷺ) فجعلت أسأل أبي بن كعب يومًا وكان من الراسخين في العلم - عما نزل من القرآن بالمدينة فقال: نزل سبع وعشرون سورة وسائرها مكي.

وقال الإمام أحمد في « المسند »: عن عبد الرزاق عن معمر قال: عامة علم ابن عباس من ثلاثة: من عمر وعلي وأبي بن كعب.

وقال طاووس: عن ابن عباس أنه قال: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

الفصل السابع في ذكر من رووا عنه وتتلمذوا على يديه

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: قرأ عليه مجاهد وسعيد بن جبير وطائفة.

روى عنه ابنه علي وابن أخيه عبدالله بن مَعْبَد ومواليه عِكْرِمةُ ومِقْسَم وكُرَيب وأبو مَعْبَد نافذ وأنس بن مالك وأبو الطُّفَيل وأبو أُمامة بن سهل وأخوه كَثير بن العباس وعروة بن الزبير وعبيدالله بن عبدالله وطاووس وأبو الشعثاء جابر وعلي بن الحسين وسعيد بن جبير ومجاهد بن جَبْر والقاسم بن محمد وأبو صالح السمان وأبو رجاء العُطَارِدي وأبو العالية وعُبَيد بن عُمَير وابنه عبدالله وعطاء بن يسار وإبراهيم بن عبدالله بن معبد وأَرْبَدة التميمي صاحب التفسير وأبو صالح باذام وطليق بن قيس الحنفي وعطاء بن أبي رباح والشعبي والحسن وابن أبي سيرين ومحمد بن كعب القُرَظي وشَهْرُ بن حَوْشَب وابن أبي مُلَيْكة وعمرو بن دينار وعبيدالله بن أبي يزيد وأبو جَمْرة نصر بن عِمران الضُّبَعِي والضحاك بن مُزاحم وأبو الزبير المكي وبكر بن عبدالله المُزَني وحبيب بن أبي ثابت وسعيد بن أبي الحسن وإسماعيل السُّدِّيُّ وخلق سواهم. انتهى كلام الذهبي.

وفي «التهذيب» من الرواة عنه مائتان سوى ثلاثة أنفس.

الفصل الثامن في ذكر صفته وسمته

قال عماد الدين أبو الفداء الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»:

كان جسيمًا إذا جلس يأخذ مكان رجلين جميلًا له وَفْرَة قد شاب مقدم رأسه وشابت لمته وكان يخضب بالحناء وقيل بالسواد حسن الوجه يلبس حسنًا ويكثر من الطيب بحيث إنه كان إذا مر في الطريق يقول النساء: هذا ابن

عباس أو رجل معه مسك وكان وسيمًا أبيض طويلًا جسيمًا فصيحًا ولما عمي اعترى لونه صفرة يسيرة. انتهى.

قال الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب»: وروى شريك عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق أنه قال: كنت إذا رأيت عبدالله بن عباس قلت: أجمل الناس فإذا تكلم قلت: أفصح الناس وإذا تحدث قلت: أعلم الناس. انتهى.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: كان أبيضَ طويلًا مُشربًا صُفرة جسيمًا وسيمًا صبيح الوجه له وَفْرة يخضب بالحناء دعا له النبي (ﷺ) بالحكمة.

سعيد بن سالم حدثنا ابن جُرَيج قال: كنا جلوسًا مع عطاء في المسجد الحرام فتذاكرنا ابن عباس فقال عطاء: ما رأيت القمر ليلة الرابع عشر إلا ذكرت به ابن عباس. انتهى.

الفصل التاسع في ذكر أولاده ومواليه

قال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: وله جماعة أولاد أكبرهم العباس وبه كان يكنى وعليٌّ أبو الخلفاء وهو أصغرهم والفضل ومحمد وعبيدالله ولُبَابة وأسماء.

وأولاده الفضل ومحمد وعبيدالله ماتوا ولا عقب لهم ولبابة ولها عقب وأولاد من زوجها على بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وبنته الأخرى أسماء وكانت عند ابن عمها عبدالله بن عبيدالله بن العباس فولدت له حسنًا وحسينًا. انتهى.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: وقد كان ابن عباس يلبس الحلة بألف درهم وكان له من الولد العباس وعلي وكان علي يدعى السَّجَاد لكثرة صلاته وكان أجمل قرشي على وجه الأرض وقد قيل: إنه كان يصلي كل يوم

ألف ركعة وهو أبو الخلفاء العباسيين ففي ولده كانت الخلافة العباسية.

وكان له من الموالي: عكرمة وكريب وأبو معبد وشعبة وأبو عمرة وأبو عبيد. انتهى.

الفصل العاشر في ذكر صحبته منذ الصغر لرسول الله (ﷺ) ونشأته في بيت النبوة

فإنه كما مر قد صحب النبي (ﷺ) ثلاثين شهرًا وروى عنه جملة صالحة من المرويات وغير هذا فإن ميمونة زوجة النبي (ﷺ) كانت خالته وغير هذا فإنه كان ابن عم رسول الله (ﷺ) وكما ورد في الحديث قد صحب النبي (ﷺ) قبل بلوغه الحلم وقبل الثالثة عشرة وروي أنه كان يصلي خلف النبي (ﷺ) في آخر الليل وكان ينام عنده في بيته.

قال الإمام أحمد في «المسند»: حدثنا عبدالله بن بكر بن أبي صفرة أبو يونس عن عمرو بن دينار أن كريبًا أخبره أن ابن عباس قال: أتيت رسول الله (ﷺ) من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حذاءه فلما أقبل رسول الله (ﷺ) على صلاته خَنَسْت فصلى رسول الله (ﷺ) فلما انصرف من صلاته قال: «ما شأني أجعلك حذائي فَتَخْنِسُ»؟

فقلت: يا رسول الله أوَيَنْبغي لأحد أن يصلِّي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله عز وجل؟.

قال: فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علمًا وفهمًا قال: ثم رأيت رسول الله (ﷺ) نام حتى سمعت نفخه ثم أتاه بلال فقال: يا رسول الله الصلاة فقام فصلى ما أعاد وضوءًا.

وروى أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: كنت عند رسول الله (ﷺ) فقام إلى سقاء فتوضأ وشرب قائمًا قلت: والله لأفعلن كما فعل النبي (ﷺ) فقمت وتوضأت وشربت قائمًا ثم صففت

خلفه فأشار إليّ لأوازي به أقوم عن يمينه فأبيت فلما قضى صلاته قال: « ما منعك أن لا تكون وازيت بي » قلت: يا رسول الله أنت أجل في عيني وأعز من أن أوازي بك فقال: « اللهم آته الحكمة ».

قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء »:

حِبَّان بن علي عن رِشْدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس قال: أتيت خالتي ميمونة فقلت: إني أريد أن أبيت الليلة عندكم فقالت: وكيف تبيت وإنما الفراش واحد فقلت: لا حاجة لي به أفرش إزاري وأما الوساد فأضع رأسي مع رءوسكما من وراء الوسادة قال: فجاء النبي (ﷺ) فحدثته ميمونة بما قال ابن عباس فقال: « هذا شيخ قريش ».

وأخرج الحاكم في « المستدرك » عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل رسول الله (ﷺ) المخرج وخرج فإذا تَوْرٌ مُغَطّىً قال: « من صنع هذا »؟ فقلت: أنا فقال: « اللهم علمه تأويل القرآن ». وصححه الحاكم.

الفصل الحادي عشر في ذكر رؤيته لجبريل عليه السلام

قال أبو نعيم في « حلية الأولياء »: حدثنا مخلد بن جعفر أبو عيسى الختلي ثنا أحمد بن منصور ثنا سعدان بن جعفر المروزي ـ ثقة أمين ـ عن عبد المؤمن بن خالد قال سمعت عبدالله ابن بريدة يحدث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال: انتهيت إلى النبي (ﷺ) وعنده جبريل عليه السلام فقال له جبريل عليه السلام: إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرًا.

وأخرج أحمد في « المسند وأبو داود الطيالسي والبلاذري والطبراني من طريق حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: كنت مع أبي عند النبي (ﷺ) وكان كالمعرض عن أبي فخرجنا من عنده فقال: ألم تر ابن عمك كالمعرض عني؟ فقلت: إنه كان عنده رجل يناجيه قال: أوكان

عنده أحد ؟ قلت : نعم فرجع إليه فقال : يا رسول الله هل كان عندك أحد ؟ فقال لي : « هل رأيته يا عبدالله ؟ قال : نعم قال : « ذاك جبريل فهو الذي شغلني عنك » .

وأخرج الطبراني عن المنهال بن بحر حدثنا العلاء بن محمد عن الفضل بن حبيب عن فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : مررت برسول الله (ﷺ) وعليه ثياب نقية وهو يناجي دحية بن خليفة الكلبي وهو جبريل وأنا لا أعلم فقال : من هذا ؟ فقال : ابن عمي قال : ما أشد وسخ ثيابه أما إن ذريته ستسود بعده ثم قال لي رسول الله (ﷺ) : « رأيت من يناجيني » ؟ قلت : نعم قال : « أما إنه سيذهب بصرك » .

وقال الدارقطني : حدثنا حمزة بن القاسم الهاشمي وآخرون قالوا : حدثنا العباس بن محمد حدثنا محمد بن مصعب بن أبي مالك النخعي عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : رأيت جبريل مرتين ودعا إليَّ رسول الله (ﷺ) بالحكمة مرتين .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل وعفان المعني قالا : ثنا حماد ثنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : كنت مع أبي عند النبي (ﷺ) وعنده رجل يناجيه قال عفان : وهو كالمعرض عن العباس فخرجنا من عنده فقال العباس : ألم أر ابن عمك كالمعرض عني ؟ فقلت : إنه كان عنده رجل يناجيه قال عفان : قال عباس : أو كان عنده أحد ؟ قلت : نعم فرجع إليه فقال : يا رسول الله هل كان عندك آنفًا ؟ فإن عبدالله أخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك قال : هل رأيته يا عبدالله ؟ قال : قلت نعم قال : ذاك جبريل عليه السلام » وقد روي من حديث المهدي عن آبائه وفيه أن رسول الله (ﷺ) قال له : أما إنك ستصاب في بصرك » وكان كذلك .

الفصل الثانيَ عشر في ذكر أنه قرأ المفصل على عهد رسول الله (ﷺ) وكان ابن بِضْع عشْرة سنة ؟

قال البخاري في « التاريخ الصغير » : حدثنا أحمد بن يونس ثنا أبو بكر عن الأعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس : قرأت على عهد رسول الله (ﷺ) المحكم يعني المفصل وكان ابن بضع عشرة سنة .

قال البخاري في « التاريخ الصغير » : حدثنا محمد بن رافع ثنا ابن آدم ثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن زياد عن أبي العالية عن ابن عباس قال : قرأت المحكم علي عهد رسول الله (ﷺ) وأنا ابن اثنتي عشرة سنة .

وأخرج الطيالسي والطبراني من طريق هيثم عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس قال : جمعت المحكم في عهد رسول الله (ﷺ) وقبض وأنا ابن عشر حجج .

قال الفسوي في « المعرفة والتاريخ » : حدثنا أحمد بن عبدالله قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس قال : قرأت المحكم على عهد رسول الله (ﷺ) ـ يعني المفصل ـ قال : وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة .

الفصل الثالث عشر في ذكر أنه خُتِنَ على عهد رسول الله (ﷺ)

روى البخاري في « الجامع الصحيح » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : توفي رسول الله (ﷺ) وأنا مختون وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم .

وقال شعبة وهشام وابن عوانة : عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : توفي رسول الله (ﷺ) وأنا ابن عشر سنين مختون زاد هشام : وقد جمعت المحكم على عهد رسول الله (ﷺ) قلت : وما المحكم قال : المفصل .

قال أبو داود الطيالسي: عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قبض رسول الله (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون.

وروى الحاكم في «المستدرك»: عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفي رسول الله (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة وأنا ختين. صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وأخرج البخاري في «الجامع الصحيح» في الاستئذان: «باب الختان بعد الكبر» من طريق إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس: مثل من أنت حين قبض النبي (ﷺ)؟ قال: أنا يومئذ مختون قال: وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك.

الفصل الرابع عشر في ذكر تسميته «البحر»

قال أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد»: أخبرنا ابن الفضل قال أنبأنا عبدالله بن جعفر قال نبأنا يعقوب بن سفيان قال نبأنا أبو بكر بن أبي شيبة قال نبأنا أبو أسامة عن الأعمش عن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه.

قال أبو نعيم في «حلية الأولياء»: حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو العباس السراج ثنا عمر بن محمّد بن الحسن ثنا أبي عن شريك عن سعيد بن مسروق عن منذر الثوري عن ابن الحنفية قال: كان ابن عباس حبر هذه الأمة.

وروى في «الحلية»: عن عبد المؤمن بن خالد: عن ابن بريدة عن ابن عباس: انتهيت إلى النبي (ﷺ) وعنده جبريل فقال له جبريل: إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرًا.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: كوثر بن حكيم ـ واه ـ عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا: «إن حبر هذه الأمة ابن عباس».

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو أسامة الأعمش عن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه.

وقال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أبو بكر الحميدي قال: حدثنا عمرو بن دينار قال: قلت لجابر بن زيد: إنهم يزعمون أن رسول الله (ﷺ) نهى عن لحوم الحمر الأهلية قال: أين ذلك البحر -يعني ابن عباس- وقرأ: ﴿قل لا أجد فيما أوحيَ إليَّ محرمًا....﴾ الآية.

الفصل الخامس عشر في ذكر تسميته «ترجمان القرآن»

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثني إسماعيل بن الخليل قال: أخبرنا علي بن مسهر قال: أخبرنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبدالله قال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشَّره منا رجل قال الأعمش: وسمعتهم يتحدثون أن عبدالله قال: ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس.

وقال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثني ابن نمير قال: حدثنا حفص عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: قال عبدالله: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

قال أبو نعيم في «الحلية»: حدثنا أبو بكر الطلحي ثنا جعفر بن أحمد بن عمران ثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي الكوفي ثنا عبدالله بن خراش عن العوام ابن حوشب عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: دعا لي رسول الله (ﷺ) بخير كثير وقال: «نعم ترجمان القرآن أنت».

قال الخطيب في «تاريخ بغداد»: أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي قال نبأنا علي بن إسحاق المادرائي قال نبأنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة قال أنبأنا جعفر بن عون عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبدالله قال: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا رجل قال: وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

قال ابن الأثير في «النهاية»: ما عاشره أي ما بلغ أحد منا عشر علمه وفي المخطوطة: ما عشره وهو خطأ.

الفصل السادس عشر في ذكر تسميته «حبر الأمة»

قال أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو العباس السراج ثنا عمر بن محمد بن الحسن ثنا أبي عن شريك عن سعيد بن مسروق عن منذر الثوري عن ابن الحنفية قال: كان ابن عباس حبر هذه الأمة.

وروى أيضًا أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن ابن عباس قال: انتهيت إلى النبي (ﷺ) وعنده جبريل فقال له جبريل: إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوصِ به خيرًا.

الفصل السابع عشر في ذكر دعاء رسول الله (ﷺ) له بالحكمة

روى البخاري في «الجامع الصحيح» بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمَّني النبي (ﷺ) إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة.

وأخرج الترمذي بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله (ﷺ) أن يؤتيني الحكمة مرتين.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمَّني رسول الله (ﷺ) ثم قال: «اللهم علمه الحكمة».

وأورد أبو عمر ابن عبد البر في «الاستيعاب»: قال مجاهد عن ابن عباس: رأيت جبرئيل عند النبي (ﷺ) مرتين ودعا لي رسول الله (ﷺ) بالحكمة مرتين.

الفصل الثامن عشر في ذكر دعاء النبي (ﷺ) له بالتفقه في الدين

روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) دخل الخلاء فوضعتُ له وضوءًا. فلما خرجَ قال: من وضع هذا ؟ قلتُ: ابنُ عباس قال: « اللهم فقهه ».

وأخرج البخاري في « الجامع الصحيح » في الوضوء: في « باب وضع الماء عند الخلاء » من طريق عبدالله بن محمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ورقاء عن عبيدالله بن أبي يزيد عن ابن عباس قال: وضعت لرسول الله (ﷺ) وضوءًا فقال: « اللهم فقهه في الدين ».

الفصل التاسع عشر في ذكر قول النبي (ﷺ) في حقه « اللهم علّمْهُ التأويل »

قال الإمام أحمد في « المسند »: حدثنا أبو سعيد ثنا سليمان بن بلال ثنا حسين بن عبدالله بن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) قال: « اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعَلِّمْهُ التأويل ».

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله (ﷺ) وضع يده على رأس عبدالله فقال: « اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل »

وأخرج الحاكم في « المستدرك » وصححه: عن ابن عباس قال: دخل رسول الله (ﷺ) المخرج وخرج فإذا تَوْرٌ مُغَطًّى قال: « من صنع هذا »؟ فقلت: أنا فقال: « اللهم علمه تأويل القرآن ».

وأخرج الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن عبدالله قال: بت في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي (ﷺ) غسلًا فقال: « من وضع هذا »؟ قالوا: عبدالله فقال: « اللهم علمه التأويل وفَقِّهْهُ في الدين ».

الفصل العشرون في ذكر قول النبي (ﷺ) فيه: «اللهم احش جوفه حكماً وعلماً»

قال أبو نعيم في «حلية الأولياء»: حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عبدالله بن سعيد الرقي ثنا عامر بن سيار ثنا فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله (ﷺ) وضع يده على رأس عبدالله فقال: «اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل» ووضع يده على صدره فوجد عبدالله بن عباس بردها على ظهره ثم قال: «اللهم احش جوفه حكمًا وعلمًا» فلم يستوحش في نفسه إلى مسألة أحد من الناس ولم يزل حبر هذه الأمة حتى قبضه الله عز وجل.

الفصل الحادي والعشرون في ذكر أنه لم يحنك أحد بريق النبوة سوى ابن عباس رضي الله عنه

روى الطبراني عن ابن عباس قال: لما كان النبي (ﷺ) بالشعب أتى أبي النبي (ﷺ) فقال: يا محمد ما أرى أم الفضل إلا قد اشتملت على حمل قال: لعل الله أن يقر أعيننا بغلام فأتى بي النبي (ﷺ) وأنا في خرقي فحنكني.

قال مجاهد: لا نعلم أحدًا حنك بريق النبوة غيره. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»: رواه الطبراني متصلًا ورجاله وثقوا فيهم ضعف ورواه مختصرًا بإسناد منقطع.

الفصل الثاني والعشرون في ذكر أنه كان أعلم الأمة الإسلامية في عصره

قال الواقدي: حدثني بشر بن أبي سليم عن ابن طاووس عن أبيه قال: كان ابن عباس قد يسبق الناس في العلم كما تسبق النخلة السحوق على الودِيّ الصغار. ـ السحوق: أي الطويلة. والودي: كغني صغار الفسيل.

وأخرج الفسوي في «تاريخه» وابن سعد في «الطبقات»: عن ابن جريج

عن طاووس قال: ما رأيت أورع من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس.

وأخرج البلاذري في «أنساب الأشراف»: من طريق خلف بن هشام البزار حدثنا شريك بن عبدالله عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: كنتُ إذا رأيتُ ابنَ عباس قلتُ: أجمل الناس فإذا نطق قلتُ: أفصح الناس فإذا تحدث قلتُ: أعلم الناس.

قال سفيان بن عيينة: لم يدرك مثل ابن عباس في زمانه ولا مثل الشعبي في زمانه ولا مثل الثوري في زمانه.

وقال ليث بن سليم: قلت لطاووس: لم لزمت هذا الغلام؟ -يعني ابن عباس- وتركت الأكابر من الصحابة؟ فقال: إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله.

وقال طاووس: ما رأيت أفقه منه.

وقال طاووس: وما خالفه أحد قط فتركه حتى يقرره.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: عن أبي أسامة عن الأعمش عن مجاهد قال: كان ابن عباس أمدهم قامة وأعظمهم جفنة وأوسعهم علمًا.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: وكان يلقى عليه المسائل المعضلة فيجيب عنها سريعًا فكان معاوية يقول: ما رأيت أحدًا أحضر جوابًا منه.

وروى الخطيب في «تاريخ بغداد»: عن مسروق عن عبدالله قال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل.

أي ما بلغ معشار علمه أعلم رجل منا.

ومن ألقابه: البحر وحبر الأمة وترجمان القرآن وهي تدل على قوة علمه وغزارة فهمه وتبحره.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: عن عكرمة: سمعت معاوية يقول لي:

مولانا والله أفقه من مات ومن عاش.

وأخرج البلاذري في «أنساب الأشراف»: من طريق عبدالله بن صالح وعمرو عن يحي بن يمان عن عبد الملك بن أبي سليان عن سعيد بن جبير قال: قال عمر لابن عباس: لقد علمت علمًا ما علمناه.

وروى محمد بن سعد في «الطبقات الكبرى»: عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول حين بلغه موت عبدالله بن عباس وصفق بإحدى يديه على الأخرى: مات اليوم أعلم الناس وأحلم الناس وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق.

وروى ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: لما مات ابن عباس قال رافع بن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم.

الفصل الثالث والعشرون في ذكر أن النبي (ﷺ) استبشر بولادته

روى الطبراني: عن ابن عباس قال: لما كان النبي (ﷺ) بالشعب أتى أبي النبي (ﷺ) فقال: يا محمد ما أرى أم الفضل إلا قد اشتملت على حمل قال: «لعل الله أن يقر أعيينا بغلام» فأتي بي النبي (ﷺ) وأنا في خرقي فحنكني.

وفي رواية أخرى: فقال رسول الله (ﷺ): «لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام» فولدت عبدالله بن عباس.

فمن تتبع النصوص وجد قول النبي (ﷺ): «لعل الله أن يقر أعيينا بغلام» وقوله (ﷺ): «لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام» وهذا لم يقله النبي (ﷺ) في مولد سوى ابن عباس رضي الله عنه فيا علمناه وهي من أعظم البشرى له الدالة على علو مقامه من استبشار النبي (ﷺ).

الفصل الرابع والعشرون في ذكر أنه أعلم الصحابة والأمة بعلوم القرآن

أخرج الطبراني في «تفسيره» من طريق عبد الرزاق عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كل القرآن أعلمه إلا ثلاثًا «الرقيم» و«غسلين» و«حنانًا».

وقال أبو معاوية: عن الأعمش عن أبي وائل قال: خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرؤها ويفسرها فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله لو سمعته فارس والروم لأسلمت.

قال ابن عبد البر في «الاستيعاب»: ذكر الحلواني قال: حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش حدثنا شقيق قال: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ولو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت.

وروى الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أبو بكر قال: ثنا سفيان قال: حدثنا عبدالله بن أبي يزيد قال: حدثني ابن أبي مليكة قال: دخلنا على ابن عباس فقال: سلوني عن سورة البقرة وسورة يوسف فإني قرأت القرآن وأنا صغير.

وقد ثبت أنه قرأ المفصل من القرآن وهو ابن عشر حجج كما ورد في روايه أبي داوود الطيالسي.

الفصل الخامس والعشرون في ذكر قول عكرمة : «كان ابن عباس أعلم بالقرآن من علي»

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد عن الزبير بن الخريت قال: قال عكرمة: كان ابن عباس أعلم بالقرآن من

علي وكان علي أعلم بالمبهات من ابن عباس. ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى». انتهى.

قال إسحاق بن راهويه: إنما كان كذلك لأن ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة مع دعاء رسول الله (ﷺ) أن يعلمه الله الكتاب. انتهى.

الفصل السادس والعشرون في ذكر أنه أعلم أهل عصره بالسنة

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: عن ابن عمر أنه قال: ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد (ﷺ).

قال الواقدي: حدثني داود بن هند عن سعيد بن جبير سمعت ابن المسيب يقول: ابن عباس اعلم الناس. وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيدالله بن عتبة قال: كان ابن عباس قد فات الناس بخصال بعلم ما سبق إليه وفقه فيما احتيج إليه من رأيه وحلم ونسب ونائل وما رأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث النبي (ﷺ) منه ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ولا أفقه في رأي منه.

الفصل السابع والعشرون في ذكر علو مقامه عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أخرج البلاذري في «أنساب الأشراف» عن سعيد بن جبير قال: قال عمر لابن عباس: لقد علمتَ علمًا ما علمناه.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» من طريق معمر عن الزهري قال: قال المهاجرون لعمر: ألا تدّعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟ قال: ذاكم فتى الكهول إن له لسانًا سؤولًا وقلبًا عقولًا.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: موسى بن عبيدة عن يعقوب بن زيد

قال: كان عمر يستشير ابن عباس في الأمر إذا أهمه ويقول: غُصْ يا غوّاصُ.

أبو يحيى الحِمّاني: حدثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير قال عمر: لا يلومني أحد على حب ابن عباس.

وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» عن مجالد عن الشّعبيّ قال: قال ابن عباس: قال لي أبي: يا بني إن عمر يدنيك فاحفظ عني ثلاثًا: لا تفشينّ له سرًا ولا تغتابن عنده أحدًا ولا يجربن عليك كذبًا.

وفي «طبقات ابن سعد» الواقدي: حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن سعد عن عامر بن سعد بن أبي وقاص سمعت أبي يقول: ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا ولا أبرّ لُبًّا ولا أكثر علمًا ولا أوسع حلمًا من ابن عباس لقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات فيقول: قد جاءت معضلة ثم لا يجاوز قوله وإن حوله لأهل بدر.

قال ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: الواقدي حدثنا موسى بن حمد التيمي عن أبيه عن مالك بن أبي عامر سمع طلحة بن عبيدالله يقول: لقد أعطي ابن عباس فهمًا ولقنًا وعلمًا ما كنت أرى عمر يقدّم عليه أحدًا.

الفصل الثامن والعشرون في ذكر أنه كان متبحراً في سائر العلوم وكان يفتي كل أرباب العلوم

قال أبو عمر في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»: قرأت على أحمد بن قاسم أن محمد بن معاوية حدثهم قال: حدثنا أحمد بن الحسين الصوفي قال: حدثنا يحيى بن معين قال: حدثنا الحجاج بن محمد عن ابن جريج عن عطاء قال: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب وناس يأتون لأيام الحرب ووقائعها وناس يأتون للعلم والفقه ما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما شاءوا.

وقال أبو عمر في «الاستيعاب»: وقال عمرو بن دينار ما رأيت مجلسًا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس: الحلال والحرام والعربية والأنساب وأحسبه قال: والشعر.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: قال يونس بن بكير: حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب قال: فدخلت عليه وأخبرته بمكانهم على بابه فقال لي: ضع لي وضوءًا قال: فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم ما سألوا عنه أو أكثر ثم قال: إخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ثم قال: إخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثرهم ثم قال: إخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال: إخوانكم فخرجوا.

الفصل التاسع والعشرون في ذكر أنه أول من أسس علم التفسير وأنشأ دعائمه وعرف أصوله وأقام مجالسه وبين غوامضه وأنه أول من نشره في البلدان والأمصار

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: قال محمد بن سعد: ثنا عفان بن مسلم ثنا سليم بن أخضر عن سليمان التيمي ـ وهو من أرسله الحكم بن أديب ـ إلى

الحسن سأله عن أول من جمع بالناس في هذا المسجد يوم عرفة؟ قال: ابن عباس وكان يصعد المنبر فيقرأ سورة البقرة ويفسرها آية آية وقد روي من وجه آخر عن الحسن البصري نحوه.

وقال عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: روى سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال: كان ابن عباس أول من عرَّف بالبصرة صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفًا حرفًا.

وقال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقف عند كل آية فأسأل عنها.

وروي عنه أنه قال: أربع من القرآن لا أدري ما به جيء: الأواه والحنان والرقيم والغسلين وكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع.

الفصل الثلاثون في ذكر أنه كان أعلم الناس بالمناسك والحج

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أبو نعيم قال: ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عبدالله بن سيف قال: قالت عائشة: من جعل على الموسم العام؟ قالوا: ابن عباس. قالت: هو أعلم الناس بالحج.

وروى ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: عن عائشة قالت: أعلم من بقي بالحج ابن عباس.

وكان يحج بأهل المدينة ويكون أمير الحج.

روى ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: عن عمرو بن دينار أن أهل المدينة كلموا ابن عباس أن يحج بهم فدخل على عثمان فأمَّره فحج ثم رجع.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: قال يزيد بن الأصم: خرج معاوية حاجًا معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم.

سليم بن أخضر عن سليمان التيمي قال: أنبأ من أرسله الحكم بن أيوب إلى الحسن فسأله: من أول من جمع الناس في هذا المسجد يوم عرفة؟ فقال: إن أول من جمع ابن عباس. انتهى.

قال الإمام عماد الدين أبو الفداء ابن كثير الحافظ في تاريخه المسمى «البداية والنهاية»:

تولى ابن عباس إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان له وهو محصور وفي غيبته هذه قتل عثمان. انتهى.

وقال ابن كثير في موضع آخر من «البداية والنهاية»: قالت عائشة وأم سلمة حين حج ابن عباس بالناس: هو أعلم الناس بالمناسك. انتهى.

الفصل الحادي والثلاثون في ذكر إعجاب الإمام علي كرم الله وجهه باجتهاده وعلمه

قال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا سليمان بن حرب وأخبرنا جرير عن أيوب عن عكرمة أن عليًا أتى بقوم من الزنادقة أو مرتدين فأمر بهم فحرقوا فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لقتلتهم لقول رسول الله (ﷺ) ولما حرقتهم لنهي رسول الله (ﷺ) قال رسول الله (ﷺ): «من بدل دينه فاقتلوه» فبلغ قول ابن عباس عليًا فقال: ويح ابن أم الفضل إنه لغواص على الهنات.

ورواه الترمذي في الحدود: «فبلغ ذلك عليًا فقال: صدق ابن عباس».

ورواه البلاذري ولفظه: «لله در ابن عباس».

رواه أبو داود في أول الحدود ولفظه: «ويح أم ابن عباس».

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» في ترجمة ابن عباس في الجزء الثامن: وقد كان ابن عباس ينتقد على عليّ في بعض أحكامه فيرجع إليه عليّ في ذلك. انتهى.

الفصل الثاني والثلاثون في ذكر رجوع الصحابة رضوان الله عليهم إلى قوله

عن طاووس قال: أدركت نحوًا من خمس مائة من الصحابة إذا ذاكروا ابن عباس فخالفوه فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله. أورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء».

قال ليث بن سليم: قلت لطاووس: لم لزمت هذا الغلام؟ -يعني ابن عباس- وتركت الأكابر من الصحابة؟

فقال: إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله.

الفصل الثالث والثلاثون في ذكر أنه كان من الراسخين في العلم

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: وقد روينا عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله.

الفصل الرابع والثلاثون في ذكر تأويله للنصوص الغامضة

أخرج البخاري في «الجامع الصحيح» في «المناقب» و«المغازي»: «باب منزل النبي (ﷺ) يوم الفتح» وفي «المغازي»: «باب مرض النبي (ﷺ) ووفاته» وفي «التفسير»: «باب قوله ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾»: من طريقين عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال: ما تقولون في قوله الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ وقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا قال: فما تقول قلت: هو أجل رسول الله (ﷺ) أعلمه له قال: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد

ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

وروى هذا الحديث البلاذري في «أنساب الأشراف» في المجلد الثالث وأخرجه أحمد في «المسند» والترمذي والحاكم في «المستدرك» والطبراني وأبو نعيم في «الحلية» وابن جرير في «تفسيره» في المجلد الثلاثين.

وقد كان عمر رضي الله عنه يعده للمعضلات ولا يقدم عليه أحدًا وكان يسأله عن المشكل الصعب من النصوص وقال له الإمام علي رضي الله عنه: ويح ابن أم الفضل إنه لغوّاص على الهنات.

وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقول له: غص يا غواص.

الفصل الخامس والثلاثون في ذكر تواضعه وحلمه

روى ابن المبارك عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال: لا تفعل يا ابن عم رسول الله (ﷺ)

قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. فقال زيد: أرني يديك؟ فأخرج يديه فقبلها فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

وروى البيهقي والحاكم: عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن يزيد بن هارون عن كهمس عن عبدالله بن بريدة قال: شتم رجل ابن عباس فقال له: إنك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله فأود أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ويحكم بالقسط فأفرح به وأدعو إليه ولعلي لا أقاضي إليه ولا أحاكم أبدًا، وإني لأسمع بالغيث يصيب الأرض من أرض المسلمين فأفرح به وما لي بها من سائمة أبدًا.

الفصل السادس والثلاثون في ذكر شدة كرمه وعظم نفقته

قال أبو بكر بن أبي شيبة: عن أبي أسامة عن الأعمش عن مجاهد قال: كان ابن عباس أمدهم قامة وأعظمهم جفنة وأوسعهم علمًا.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: روى جُوَيبر عن الضحاك قال: ما رأيت بيتًا أكثر خبزًا ولحمًا من بيت ابن عباس.

ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يتخذ الرداء بألف.

مالك بن دينار عن عكرمة: كان ابن عباس يلبس الخَزَّ ويكره المُصْمَتَ.

الخز: ثياب تنسج من صوف وإبريسم، والمصمت هو الذي جميعه إبريسم ولا يخالطه قطن ولا غيره. وقد روي أنه كان يجتمع في داره الناس حتى تمتلئ وتفيض إلى خارجها حتى كان يأمر خادمه فيخرجهم ويأتي بغيرهم ويقول لهم: إخوانكم. وهذا دال على عظم كرمه وجاهه.

وأورد الذهبي في «سير أعلام النبلاء» عن حبيب بن أبي ثابت: أن أبا أيوب الأنصاري أتى معاوية فشكا دينًا فلم يرَ منه ما يحب فقدم البصرة فنزل على ابن عباس ففرَّغ له بيته وقال: لأصنعن بك كما صنعتَ برسول الله (ﷺ) ثم قال: كم دينك؟

قال: عشرون ألفًا فأعطاه أربعين ألفًا وعشرين مملوكًا وكل ما في البيت.

الفصل السابع والثلاثون في ذكر تمسكه بالسنة ومحاربته للبدعة

قال أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»: وقال أبو الزناد عن عبيدالله بن عبدالله قال: ما رأيت أحدًا كان أعلم بالسنة ولا أجل رأيًا ولا أثقب نظرًا من ابن عباس ولقد كان عمر يُعِدُّه للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين.

قال القاسم بن محمد: ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلًا قط.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية»: من طريق أبي بكر بن خلاد عن إسحاق بن إبراهيم الحربي عن عباد بن موسى عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس: قال لي معاوية: أنت على ملة علي؟

قلت: ولا على ملة عثمان أنا على ملة رسول الله (ﷺ).

وأخرج في «الحلية» عن طاووس قال: ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لحرمات الله من ابن عباس.

وأورد ابن كثير في «البداية والنهاية» عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد (ﷺ).

وقال عبيدالله بن عتبة: ما رأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث النبي (ﷺ) منه ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه.

وقال ابن وهب: عن سفيان بن عيينة عن عبيدالله بن أبي يزيد قال: كان ابن عباس إذا سئل عن مسألة فإن كانت في كتاب الله قال بها وإن لم تكن ـ وهي في السنة ـ قال بها فإن لم يقلها رسول الله (ﷺ) ووجدها عن أبي بكر وعمر قال بها وإلا اجتهد رأيه.

أبو عوَانة: عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس أنه لم يكن يدخل الحمام إلا وحده وعليه ثوب صفيق يقول: إني أستحي أن يراني الله في الحمام متجردًا.

أبو عوانة: عن أبي الجويرية قال: رأيت إزار ابن عباس إلى نصف ساقة أو فوق ذلك وعليه قطيفة رومية وهو يصلي.

الفصل الثامن والثلاثون في ذكر زهده وعبادته وورعه

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: قال الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم قال: كان في هذا المكان ـ وأومأ إلى مجرى الدمع من خديه ـ يعني خدي ابن عباس ـ مثل الشراك البالي من البكاء.

وقال غيره: كان يصوم يوم الاثنين والخميس ويقول: أحب أن يرتفع عملي وأنا صائم. انتهى.

وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: قال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس من المدينة إلى مكة وكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن حرفًا حرفًا ويكثر من ذلك النشيج والنحيب ويقرأ: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: وقد أصيبت إحدى عينيه فنحل جسمه فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لحمه فقيل له في ذلك فقال: أصابني ما رأيتم في الأولى شفقة على الأخرى فلما ذهبتا اطمأن قلبي. انتهى.

قال أبو القاسم البغوي: ثنا علي بن الجعد ثنا شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه وقع في عينيه الماء فقال له الطبيب: ننزع من عينيك الماء على أن لا تصلِّي سبعة أيام فقال: لا إنه من ترك الصلاة وهو يقدر عليها لقي الله وهو عليه غضبان.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: معتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم عن أبي رجاء قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء.

عبد الوهاب الخفاق عن أبي أمية بن يعلى عن سعيد بن أبي سعيد قال: كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال: يا ابن عباس كيف صومك؟ قال: أصوم الاثنين والخميس قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم.

وروى أبو نعيم في «الحلية»: عن ابن عباس قال: ذهب الناس وبقي النَّسْنَاس قيل: وما النَّسْنَاس؟ قال: الذين يشبهون الناس وليسوا بناس.

الفصل التاسع والثلاثون في ذكر لباسه

أبو عَوَانة: عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس أنه لم يكن يدخل الحمام إلا وحده وعليه ثوب صفيق يقول: إني أستحي أن يراني الله في الحمام متجردًا.

أبو عَوَانة: عن أبي الجُوَيرية قال: رأيت إزار ابن عباس إلى نصف ساقه أو فوق ذلك وعليه قطيفة رومية وهو يصلي.

رِشْدِين بن كُرَيب: عن أبيه قال: رأيت ابن عباس يعتم بعمامة سوداء فيرخي شبرًا بين كتفيه ومن بين يديه.

ابن جُرَيج: عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يتخذ الرداء بألف.

أبو نُعَيم: حدثنا سلمة بن شابور قال رجل لعصية: ما أضيق كمك قال: كذا كان كم ابن عباس وابن عمر.

مالك بن دينار: عن عكرمة: كان ابن عباس يلبس الخَزَّ ويكره المُصْمَتَ.

الفصل الأربعون في ذكر تبشير النبي (ﷺ) ببني العباس

روى أبو نعيم في «الحلية»: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله (ﷺ) فتلقاه العباس فقال: «ألا أبشرك يا أبا الفضل»؟ قال: بلى يا رسول الله قال: «إن الله عز وجل افتتح بي هذا الأمر وبذريتك يختتمه».

وروى أبو نعيم في «الحلية» من طريق عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «يكون من ولد العباس ملوك يلون أمر أمتي يعز الله بهم الدين».

الفصل الحادي والأربعون في ذكر كراماته

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: قال حسين بن واقد المروزي: حدثنا أبو الزبير قال: لما مات ابن عباس جاء طائر أبيض فدخل في أكفانه. رواها الأجلح عن أبي الزبير فزاده: فكانوا يرون أنه علمه.

وروى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير نحوه وزاد: فما رؤي بعد هذا الطائر.

وروى حماد بن سلمة: عن يعلى بن عطاء عن بجير بن أبي عبيد قال: مات ابن عباس بالطائف فلما خرجوا بنعشه جاء طير عظيم أبيض من قبل وَجٍّ حتى خالط أكفانه ثم لم يروه فكانوا يرون أنه علمه.

وروى في «الحلية» عن ميمون بن مهران قال: شهدت جنازة عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سُوِّي عليه سمعنا صوتًا نسمع صوته ولا نرى شخصه: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

وقال الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: حدثنا أبو نعيم قال: ثنا بسام الصيرفي قال: حدثني عبدالله بن يامين قال: أخبرني أبي: أنه لما مر بجنازة ابن عباس بالجيرة ـ وهو واد ـ جاء طير أبيض يقال له الغرنوق فدخل في النعش فلم يُرَ بعد.

الفصل الثاني والأربعون في ذكر تسميته رباني هذه الأمة

أخرج ابن سعد والبلاذري والحاكم في «المستدرك» أن ابن الحنفية لما دفن ابن عباس قال: اليوم مات رباني هذه الأمة.

الفصل الثالث والأربعون في ذكر وفاته

قال علي بن المديني: توفي ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين.

وقال الواقدي والهيثم وأبو نعيم: سنة ثمان.

وقيل: عاش إحدى وسبعين سنة.

وقال أبو عمر في «الاستيعاب»: ومات عبدالله بن عباس بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وكان ابن الزبير قد أخرجه من مكة إلى

الطائف ومات بها وهو ابن سبعين سنة وقيل: ابن إحدى وسبعين سنة وقيل: ابن أربع وسبعين سنة وصلى عليه محمد بن الحنفية وكبر عليه أربعًا وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة وضرب على قبره فسطاطًا. انتهى.

قال البخاري في «التاريخ الصغير»: حدثني الحسن بن واقع ثنا صخرة قال: مات ابن عباس سنة سبعين بالطائف.

كتاب
علاج الشهوة الجنسية
بالقرآن والسنة المحمدية

المقدمة

الحمد لله في شؤونه العليا. فإنه سبحانه وتعالى ملك الدنيا والآخرة. صاحب العظمة الكلية. والأمجاد الفخرية. سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه. ووصفه وقدسه.

وأصلي وأسلم على عـرش القيامة وساقي الندامى. بكأس مدامة. محمد فخر الوجود. وقطب الشهود. العالي المقام. والكامل الكمال والجمال على التمام. وبعد.

فهذه نبذة سريعة. وعجاله بديعة قد صنفتها لخاصة الشباب في كيفية مقاومة الشهوة الجنسية. على الكتاب والسنة. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الأول في مقاومة الشهوة الجنسية بالزواج

اعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن أعظم ما يقاوم به المرء شهوته هو الزواج فقد أخبرنا الحق تعالى بذلك في محكم آياته عز وجل حيث يقول: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك وجعلنا لهم

أزواجًا﴾. وقد صح في الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) أنه قال: «الزواج نصف الدين».

وأخرج أحمد في مسنده: عن أبي أيوب رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والسِّواك والنكاح».

ولقد عرفنا رسول الله (ﷺ) أن اعتزال النساء بترك الزواج ليس من سنته وأن عين الكمال في اقتفاء سنته الغراء (ﷺ) وحديث الرهط الثلاثة مشهور.

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي (ﷺ) فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي (ﷺ) قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا فجاء رسول الله (ﷺ) إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وورد عند البخاري في صحيحه أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أراد أن يتبتل فنهاه النبي (ﷺ) عن ذلك.

وكان رسول الله (ﷺ) يقول: «حبب إليَّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» أخرجه النسائي والحاكم في المستدرك وأحمد في «المسند».

وكان سليمان بن داود عليه السلام يطوف في الليلة الواحدة على مائة امرأة. أخرج البخاري في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: «لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلامًا يقاتل في سبيل الله» وذكر الحديث.

وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي

(ﷺ) يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما توفي النبي (ﷺ) حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء أخرجه النسائي.

الفصل الثاني في مقاومة الشهوة الجنسية بالجوع

واعلم أيدك الله أن أصل الشهوة الشبع وامتلاء البطن بالطعام الفاخر واللذات والمشتهيات.

وقد صح عن النبي (ﷺ) أنه قال: «ما مُلِيءَ وعاء شر من بطن ابن آدم».

وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان» عن عائشة رضي الله عنها قالت: لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن محمدًا (ﷺ) كان يؤثر على نفسه.

وأخرج الطبراني وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) أنه قال: «إن أهل الجوع هم أهل الشبع في الآخرة».

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما شبع النبي (ﷺ) ثلاثة أيام تباعًا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا».

وقد حكي عن رويم أنه قال: لم يخطر ببالي ذكر الطعام عشرين سنة حتى يحضر.

وحكي عن بشر الحافي أنه رؤي في السوق فسئل عن ذلك فقال: إن نفسي تطالبني منذ سنين بخيارة فمنعتها ورضيت الآن بالنظر إليها فأعطيتها.

وأخرج ابن ماجة في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: تجشأ رجل عند النبي (ﷺ) فقال له: «كفَّ عنا جشأك فأكثرهم شِبَعًا في الدنيا أكثرهم جوعًا يوم القيامة».

وقال يحي بن معاذ: لو كان الجوع يباع في الأسواق لما كان لطلاب الآخرة أن يشتروا سواه.

وقال الحسن البصري رحمه الله: كان بلية آدم في أكله وهي بليتكم إلى يوم القيامة. وقال سهل بن عبدالله التستري: لئن أترك من عشائي لقمة أحب إليّ من إحياء ليلة.

الفصل الثالث في مقاومة الشهوة الجنسية بالصوم

روى البخاري في الصحيح عن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». واعلم أيدك الله أن الصوم هو أحد أساليب تجويع النفس المنتظمة وقد كان يفعله الكثير من أجلاء السلف الصالح وزهادهم.

وفضائل الصوم كما ترى معروفة ومدونة في كتب الحديث.

وقد أورد ابن عطاء الله في «المنن» أن أبا الحسن الشاذلي مكث في مغارة ستة أيام لا يأكل فخرج من المغارة وهو يتعجب فرأى امرأة حسناء تقول: انظروا إلى من جاع ستة أيام فصار يمن على الله وأنا لي ستة أشهر لم آكل.

واعلم أن الولي إنما يصير وليًا إذا هجر مطعمه ومشربه وصام عن كل هذه العوالق صيامًا حسيًا ومعنويًا فحينذاك تطير روحه في الملأ الأعلى مع الروح الشفاف وآنذاك يصح له أن يمشي على الماء وأن يطير في الهواء. وإنما عطل الهيكل الآدمي وأثقله وحجبه وأغلظ حجابه ولم يلطفه شدة تعلقه بالمادة المحسوسة من طعام وشراب ونكاح ومال وعقار رولد.

الفصل الرابع في مقاومة الشهوة الجنسية بغض النظر

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن أعظم الأشياء المفسدة للدين والملة داء النظر وهو زنا العين وهو أول مراتب الزنا وقد تكلمت على هذا الداء

بالتفصيل في كتاب «تكملة الفتوحات المكية».

وقد قال الله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ الآية روى الطبراني والحاكم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) يعني عن ربه عز وجل: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من فتى أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه».

قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة وقال صحيح الإسناد (قال الحافظ): خرجاه من رواية عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو واه.

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه» رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «العينان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني» رواه أحمد بإسناد صحيح والبزار وأبو يعلى.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجل من النساء وويل للنساء من الرجال» رواه ابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) قال: «إياك والخلوة بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ولأن زحم رجل خنزيرًا متلطخًا بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له» حديث غريب رواه الطبراني.

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم أو ليكسفن الله وجوهكم» رواه الطبراني.

الفصل الخامس في مقاومة الشهوة الجنسية بتجنب اختلاط الرجال بالنساء

واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن من أعظم مفاسد الزمان اختلاط الرجال بالنساء في معظم الشؤون في الشوارع والسيارات ومصارع الحكومة والبيوت والحدائق وهذا من أعظم المضار التي حرمها الحق سبحانه وتعالى ورسوله (ﷺ) وقد روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثها الشيطان».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم» رواه البخاري ومسلم.

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينه وبينها محرم».

واعلم أن من أعظم المهيجات اقتراب جنس الرجل بجنس المرأة ألا ترى أن زليخا زوجة العزيز استدرجت نبي الله يوسف عليه السلام كي تخلو به وقالت له: ﴿هيت لك﴾.

فقال على الفور: ﴿معاذ الله إن ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾.

ولقد روي عن أحد أولياء الله الصالحين وعباد المتقين أن امرأة قالت له: إن معي ابنة مريضة في البيت فتعالَ واقرأ لها بعض القرآن فلما دخل معها لم يجد في البيت أحدًا فعلم سوء نيتها فقال لها أعطني موسى دخل بالموسى الحمام وحلق لحيته وشاربه وحاجبه فلما خرج استقذرته وأخرجته فتحقق بهذا يا أخي من شدة مخاطر اختلاط الرجال بالنساء وعظم هذا الشأن. والله يتولى هداك.

الفصل السادس في مقاومة الشهوة الجنسية بذكر الله عز وجل

وإن ذكر الحق عز وجل يعد من أعظم الأسلحة الربانية في مقاومة فساد القلوب وظلمات الذنوب قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾ أي بلا حدود فإن لفظ كثيرًا يقتضي الكثرة المطلقة التي لا حد لها في عالم الأعداد والأرقام فإن الله لا يسأم حتى يسأم العبد.

وورد عن الطبراني في «المعجم» من حديث رسول الله (ﷺ) أنه قال: «أذكر الله حتى يقال إنك مجنون».

وعن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «إذا أذن المؤذن هرب الشيطان من المسجد وله ضراط». واعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أن ذكر الله عز وجل يحرق الشيطان وإذا اقترب الشيطان من الذاكر صعق.

وقد أخبرني خادم مسجد سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ببغداد وكانت له خبرة في استخراج الجان من أجسام الناس قال لي: إن آية الكرسي إذا قرئت على الجان حرقته وجعلته رمادًا رميدًا فيصبح عبارة عن كومة من رماد.

وإن من أعظم الذكر في الأنواع الصلاة على رسول الله (ﷺ) فإن المكثر من الصلاة على رسول الله (ﷺ) لا يقربه شيطان ولا يمسه جان ولا يعرف قلبه معصية من المعاصي قط. هذا الذاكر هو قطب العالم ورحاه الذي ألجأه الذكر إلى الفناء في العين والخروج من الأشباح والألواح والفرار من الهباء إلى عالم القدس الأعظم في النقاء والصفاء.

هناك تهدأ الأرواح. وتصفو الأشباح. فتفر إلى ديار الأفراح. وتستقي بأكؤس الراح. حتى تغرق وتفنى في بحر الارتياح. وتشتغل بالمزاح. ورشف الأقداح.

رسالة
النور السافر
في معرفة حقيقة الشهوة في علمي الباطن والظاهر

اعلم أيدك الله تعالى بمنه وكرمه أنه يكاد يتفق أهل المعرفة والتحقيق على أن أعظم الشهوات الإلهية التي ذاقها هذا الآدمي هي شهوة الفرج وهي من مواطن الصون الإلهي أي الستر الجميل ولذا سميت عورة.

وأمرنا الحق تعالى بسترها في كلا الزوجين الذكر والأنثى لحفظ سر اللذة المصون هذا السر الذي هو بداية لذة أهل الجنة وهو غاية غايات اللذة الآدمية وأعلاها ولا يعلو هذه اللذة لذة وهي فتيل البداية إلى طريق لذة الحقائق الكبرى عند أهل المذاقات.

وكل شيء مقدس مصون يغار الحق تعالى ويدسه في رداء حجب غيرته واتفق على هذا المبدأ أهل الذوق المحض. وما هي كنه اللذة سوى الانجذاب الكلي إلى عين الجمع والانجماع بالحق تعالى فيكون هذا العبد أصلًا في اجتماع مع الحق تعالى نفسه لا مع زوجته هذا إذا كان هو الإنسان الكامل ولذا لما تحقق هذا السر أبو القاسم ذهب وقال: «حبب إليَّ من دنياكم أربع» من جملتها النساء.

إذ أنْ أعظم المواطن التي يتحقق بها العبد من مقام الجمع هو الجماع ولذا حدث فيه لذة عظيمة لا توصف وهو غاية الغايات ولا يتحقق مما أقوله يا ولي الله سوى نبي أو صديق أو ولي ولا يجحده سوى أعمى زنديق.

ومن ثم غار الحق تعالى على هدر مصدر هذه اللذة وبذلها في الحرام فإنّ الحق لا يقبلها وإن التذ بها العبد في شؤون المظاهر فهي باطلة فاسدة.

واعلم يا ولي الله أن أقوى الناس جماعًا وأشدهم رغبة فيه أهل النبوة لم يحبوه وإنما حبب إليهم من قبل حضرة الحق تعالى.

وحقائق الوجود تثبت هذه المقولة الفاضلة وورد الحديث عنه (ﷺ) أنه قال إنه أعطي قوة مائة رجل في الجماع.

وأقول لك يا صفي أي يا ولي إن النبي لا يجامع بجسده وإنما يجامع بروحه ولذا عبر عن طاقة الروح ولم يعبر عن طاقة الجسم فافهم أيدك الله وأطعمك.

وهناك نكتة ظريفة في علم المجاهدة نسيها كثير منهم. ذهبت منهم طائفة وحاربت الشهوة بحواجز وهمية ولم يتطرقوا إلى محاربة الشهوة ومجاهدة الهمة فذاك العارف الأول نظر إلى أعراض الشهوة والثاني ما نظر الأعراض وإن نظرها فما يعرفها وإن عرفها فما أهمه أمرها لكونه غير متعلق بشؤونها ولا وصفها ولا كنهها فافهم. فمثال هذا العارف لو نظر إلى امرأة عارية فكأنه ينظر إلى شاة أو حائط ما يفرق بين العينين لعدم انشغاله أصلًا بالعين قد ماتت فيه البقايا ولم تبق فيه إلا بقية الحق فقط عز وجل.

ومن المتحقق من أسرار مجاهدة الشهوة سوى النبي والرسول والباقي تابعون لهم بحكم الإرث والاستخلاف.

فالنبي والرسول والصديق والولي يطلب سبل الشهوة فيما أحله الله تعالى أكثر من أي مخلوق ويجاهد سبل الشهوة المحرمة أعظم من أي مخلوق آخر.

وقد روينا عن أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه وقدس سره أنه قال: «النكاح ألذ عندي من الذكر» لما تجلبه معانيه من فنون التجليات العرفانية ما لا يوجد في عالم غيره فافهم يا ولي الله.

وانظر إلى يوسف الصديق عليه السلام كيف نُجّي من امرأة العزيز لكونه

لم يلصق وهمه بصورة المرأة وإنما رآها كحائط لا غير فأيد ببرهان الحق تعالى.

ومن نظر إلى تجاسيم الصورة الحسنة وعشقها فهو الساقط الزاني.

وقد أمرنا الشارع ورغبنا في نكاح ذات الدين العاقلة وقد روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «من أراد أن يلقى الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج الحرائر».

وروى الطبراني في الأوسط والحاكم ومن طريقه البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي».

وقد أمر الحق تعالى نساء النبي (ﷺ) أن لا يخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض والخضوع بالقول قد ذكرته في كتابي «تكملة الفتوحات المكية» وهو من أعظم العلل القلبية والقول هو القول الشيطاني والذي يخضع له والتي تخضع له هم شياطين الإنس ولذا حذرت الحضرة الإلهية نساء النبي (ﷺ) من هذا المرض وهو كلمة حق أريد بها باطل.

ولذة المريض ليست كلذة المعافى فهذه اللذة المريضة وهذه اللذة المعافاة فشتان بين الذوقين شتان بين عسل الدنيا وعسل الآخرة. ربما ذاق العسلين المحجوب ولم يفرق بين الطعمين بل ربما فضل الرديء على الجيد أما الخبير بمصطلح أهل الحق فهو الذي يلمح بالإشارة ويكشف ما خبأه الحق تعالى من معاني الوجود في الأكوان. فإن المريض ما هو سوى مريض الذوق لا مريض الحاسة المتذوقة.

ثم إن مرتبة الجمال في الأكوان ربما كانت هي عين الوهم لكون الجمال الحقيقي ليس هو صورة المحسوسات الملموسة التي يراها البصر ولذا كان يوسف أجمل الأنبياء كاهبة في الهيئة المحسوسة ولكنه لم يكن أجملهم في المقام

الغير ملموس بل محمد (ﷺ) وهو أعلاهم مقامًا في هذا الشأن قطبًا ظاهرًا منفردًا.

فالجمال الظاهري قد يكون مغشوشًا متوهمًا لا يرضي ذوق أهل المعرفة الكبار بل الذي أفناهم وجردهم هو جمال المعاني وبهاء الباطن.

ورأينا أقطابًا على صفة يحيي الحصور عليه السلام لم يتزوجوا أصلًا مثل أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه هؤلاء تنفر أرواحهم من شهوة النكاح وهم على صفة عيسى ابن مريم عليه السلام أيضًا.

وهؤلاء الأقطاب لم يغتسلوا من جنابة أصلًا طوال حياتهم وكيف ينزل منهم منيّ وهم أقطاب الحصانة وإمام حضرتهم عيسى ابن مريم عليه السلام.

والحجة الإلهية القائمة على أهل الله تعالى وجود الذوق الكامل في الجماع حسًا ومعنًى فيلتذ في ولي الله كل عرق ووريد وشريان ما لا يجده غيره لقوة طاعة الله في ذاته المتمكنة.

أما أهل العصيان والتمرد فلا يلتذ منهم سوى ظاهرهم وباطنهم لا علاقة له بلذة أصلًا لظلام ذواتهم الطينية وهناك فرقة من أهل المعرفة لا تصلح المريد سوى بالزواج فإذا نصحوه بالزواج وتزوج صلح حاله وأقبلت عليه الآخرة ووضح مقامه بين الخلق.

وهناك من ينقطع عن الزواج ويعتبره شغلًا عن الحق عز وجل وكان من أقطاب هذا المقام بشر الحافي رضي الله عنه. سئل: لماذا لا تتزوج فقال: شغلني الفرض عن السنة. لكونه اعتبر الزواج سنة ومجاهدة النفس فرضًا وهو الجهاد الأكبر الذي ذكره رسول الله (ﷺ).

وقيل لبعض الصالحين: ألا تتزوج؟ فقال: لي نفس لو تمكنت من تطليقها لطلقتها فكيف أضم إليها أخرى؟.

وقال بشر الحافي رضي الله عنه: مكابدة العفة أيسر من مصلحة العيال.

وقال بشر رضي الله عنه: رأيت الصبر عنهن أسهل من الصبر عليهن.

وقال بعضهم: مقاساة العيال عقوبة تنفذ للشهوة الحلال.

والذي به أقول أن هذا المذهب أي مذهب بشر الحافي ليس حجة على أولياء الأمة وجمهور الخواص والعوام لكون الزواج هو فرض وكل صحابة رسول الله (ﷺ) تزوجوا واقتدوا بأبي القاسم (ﷺ) بل إن أحد الصحابة لما ماتت زوجته تزوج في اليوم الثاني فسئل عن سبب هذا الفعل وعدم الحزن على زوجته فقال: خفت أن ألقى الله وأنا عازب. ولما سئل إمام أهل السنة وزاهد وقته عبد القادر الجيلاني عن أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه قال لهم: فقته بشيئين الشيء الأول أنه مات عازبًا وأنا تزوجت والشيء الثاني أنني شريف أنتمي إلى رسول الله (ﷺ) وهو لا ينتمي.

وينبغي للعارف أن لا تشغله زوجته ولا شهوته عن طاعة الله عز وجل حتى لا يكون ممقوتًا وربما ابتلي بموت زوجته اختبارًا له من قبل الحق عز وجل وقد فرق عمر رضي الله عنه بين ابنه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وبين زوجته واستشار عبدالله النبي (ﷺ) في ذلك فقال له: «أَطِعْ أباك». وليحذر العارف من أن تملكه شهوته وتسوء خاتمته فإن شهوة الفرج ألذ الشهوات وأهلكها في آن واحد لهذا الآدمي. ولذا يسلك بها إبليس إلى ثغرة قلوب العباد ويفتنهم بعصا وكتب القوم مليئة بالحكايات.

وهناك مقام التمكين الزائف لا يساوي فلسًا يعرفه إبليس ويشمه عن بعد وله علامات عنده يظن الولي إنه تمكن وأصبح وتدًا ويخفق وقد يخفق عن طريق ثغرات النساء فليعرف القوم التمكين الحقيقي والتمكين المزيف. ولمح الصديق رضي الله عنه للعارفين عن فهم هذا المقام فقال لهم: والله لو كانت إحدى رجليَّ في الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله عز وجل. أي حتى أضع القدمين في داخلها أي حتى أتمكن التمكين الحقيقي لا الآخر.

الإسرا
لتحقيق مقام الصلاة على المصطفى

الحمد لله الأزلي الأبدي. المتين القوي، ملك الملوك، والمتجلي على أهل السلوك.

سبحانه لا أحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى، وتجلى وأبدى، قف على بساط الحضرة وتجرد، وبلا تردد، بل كن بلبل الأفراح المغرد، وغوث الحضرة المعربد، وتقرب، وتحبب.

وأصلي وأسلم على ناموس الأصفياء، وترجمان الأنبياء، وروح حضرة النبآء، الفتى محمد القاسمي، والبرزخ الهاشمي، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد.

فاعلم يا ترجمان الحضرة، وحكيم الإمرة، أن مقام أبي القاسم (ﷺ) اقتضى الصلاة عليه منذ قدم الأزل وحتى الأبد، ولم يُصَلى على نبي ولا ولي قبله ولولاه لما صُلِّيَ على أحد منهم لكون مقام الصلاة خاص به هو عليه الصلاة والسلام، وجعل الحق تعالى أركان الإسلام خمسة من جملتها الصلاة له هو ثم جعل صلاة على محمد اشتقها من صلاتنا له لكن بكيفية أخرى لا قيام فيها ولا ركوع ولا سجود.

وفي هذا سر جليل ذلك لكون حقائق العبودية ثابتة لا يشارك المخلوق فيها الخالق وإن صح له أن يشاركه في المسميات مثل كون الخالق رحمانًا

ورحيمًا والعبد مثله إلا أن العين لا يتدخل فيها العبد فيطلع على حقيقة الرحمة الإلهية وإن اطلع فلا تصح له فيها مشاركة فافهم.

ثم صلى عليه الحق تعالى بنفسه كما صلى له محمد عليه الصلاة والسلام بنفسه وأعطى هذه المرتبة للمؤمنين فصلى عليهم بنفسه عز وجل وقال لهم: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾.

ثم إننا اتضح لنا من هذه الآية علو مقام الآدمية على مقام أصحاب الألوكة. لكونه عز وجل جعل الملائكة تصلي علينا ولم يأمرنا بالصلاة عليهم فافهم. ثم إنه لم يصل على مخلوق سوى جنس الآدمية لا الملائكة ولا الجن. بل أمر الملائكة بالسجود لنا أي لآدم عليه السلام ولم يأمرهم بالسجود لملك ولا جان. وشأن الصلاة عجيب واختصاصه برسول الله (ﷺ) تفريد له في كون الحق به تشريفًا غيره فلأجله قيل لنا: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ ولولاه لما قيل لنا أصلًا هذه المقولة فصلى عليه وعلينا لانفراده وقيامه بمقام فردانية الجمع فهو عين الجمع الأزلية ولذا إليه كان توجه الأمم والعالم يوم القيامة حتى أهل النبوة لا يستطيعون القيام بمقامه في الشفاعة فلا يتوجهون سوى لمحمد عليه السلام وسر هذا المقام نسيان حقوق النفس والذات وقيامه بحقوق الأنفس والذوات الأخرى فيقول: أمتي أمتي لا نفسي نفسي التي يقولها كل الأنبياء فيما عداه. وهذه النفس هي عين الكمالات الإلهية وهي عين الحضرة الإلهية ثم ذهبت هذه النفس المحمدية وصلت على نفسها بنفسها أمر من الحق تعالى لها فقالت بين يدي الحق تعالى: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

ثم إن الحق تعالى جعل ثوابًا للمصلي على محمد (ﷺ) وبالغ في الثواب وطَمَّعَ بأن الحق تعالى سوف يصلي على من يصلي على محمد وسوف يبني له قصرًا في الجنة ويحشره في زمرته ويجعله جليسه ويسقيه من حوضه ومعنى الصلاة الأكبر تكرار الذكر السرمدي ولما انفتحت علينا عين الحضرة بالفتح

الأكبر وجدنا أن محمدًا عليه السلام هو أعظم وأكثر من ذكر في عالم الموجودات فلا عين ذكرت مثله وبالقدر الذي ذكروها به فإن الوجود الزمني مستأنف في ذكره بلا انقطاع مثل الطواف بالكعبة والصلاة والصوم والزكاة والعمرة فلا نفس زمني إلا ويذكر فيه محمد (ﷺ) مثل الحق تعالى فهو قرينه في الذكر فلا لحظة ولا ثانية ولا دقيقة ولا ساعة ولا يوم ولا أسبوع ولا شهر ولا سنة ولا قرن ولا دهر ولا حقب ولا أبد ولا أزل إلا ويذكر فيه الحق تعالى ومعه محمد (ﷺ).

أما العوائد والفوائد الإلهية التي تعود على الكون والوجود والآدمية بذكرهم لمحمد (ﷺ) فكثيرة.

أولها: «النبوة» لما قام آدم من سجوده وجد اسم محمد على ساق العرش فلم ينبأ حتى علم مقامه وصلى عليه وكان محمد نبيًا وآدم بين الروح والجسد.

ثانيها: «الولاية» لا يُوَلى وليّ إلا وينصبه رسول الله (ﷺ) على الوجود وذلك ببركة صلاته عليه.

ثالثها: «دفع البلاء» والنوازل والكوارث والفتن عن الأمة ببركة المصلين عليه (ﷺ).

رابعها: «نبت الزرع» ببركة المصلين عليه (ﷺ).

خامسها: «الفتح الأعظم» في المعارف والعلوم والحقائق وذلك ببركة الصلاة عليه (ﷺ) وهذا مقام جليل نادر في الكون.

سادسها: «دخول الجنة» بكثرة الصلاة عليه (ﷺ).

سابعها: «رؤيته (ﷺ) في النوم واليقظة» ببركة كثرة الصلاة عليه (ﷺ) وانظر كتاب «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك» للسيوطي.

ثامنها: «إظهار الكرامات» بكثرة الصلاة عليه (ﷺ).

تاسعها: «الانتصار في الحروب» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

عاشرها: « النجاة من إبليس ومكائده » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الحادي عشر: « سعة الرزق وكثرته » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثالث عشر: « اكتساب حب الناس وعطفهم » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الرابع عشر: « النجاة من المسيخ الدجال » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

السادس عشر: « النجاة من عذاب القبر وأهواله » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

السابع عشر: « النجاة من بغض الصالحين وكراهيتهم » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثامن عشر: « نزول المطر » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

التاسع عشر: « الموت على التوبة الكاملة » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

العشرون: « حسن الخاتمة والعاقبة » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الحادي والعشرون: « الالتحاق بمقامات الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثاني والعشرون: « الطاعة الكاملة » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثالث والعشرون: « النجاة من الأمراض والآفات المزمنة والمستعصية » ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

الرابع والعشرون: « تولد الحجج والبراهين الساطعة في المناظرة » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الخامس والعشرون: « صدور العلوم الجديدة والمعارف الغريبة والاستنباطات البكر » عن أكابر العارفين من هذه الأمة ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

السادس والعشرون: « كثرة التأليف والتصنيف » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

السابع والعشرون: « قضاء الدَّيْن » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثامن والعشرون: « دخول الكفار والملحدين والمعاندين وأهل الكتاب » ببركة صلاة المصلين عليه (ﷺ).

التاسع والعشرون: « قوة الحفظ » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثلاثون: « الشفاء من الأمراض الحسية واللاحسية والظاهرة والباطنة » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الحادي والثلاثون: « الشرب من حوضه الشريف » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثاني والثلاثون: « النجاة من الصراط وأهواله » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الثالث والثلاثون: « تدوين علم الحديث وحفظه وجمعه والاعتناء به » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الرابع والثلاثون: « الاهتداء إلى معانٍ ومعارف وأسرار التفسير القرآن المجيد » لا يهتدي إليها سوى من يكثر من الصلاة على النبي (ﷺ).

الخامس والثلاثون: « معرفة الاسم الأعظم » ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

السادس والثلاثون: « الفتح المطلق في الحقائق » ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

السابع والثلاثون: « كثرة الصبر في الأزمات والشدائد » ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

الثامن والثلاثون: «الحصول على المطلوب وتحقيق الأماني الشريفة» ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

التاسع والثلاثون: «زيارة المصطفى وتيسير الحجج» ببركة الصلاة عليه (ﷺ).

الأربعون: «الارتقاء إلى مقام الأقطاب والأئمة والأوتاد والأبدال والنجباء والنقباء» ببركة الصلاة على النبي (ﷺ).

كتاب
جنة المأوى

اعلَمْ أنه من شرط هذه الجنة الإيوائية اليُتْم. وهو مقام التفريد. وذاك قوله في الكتاب: ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى﴾. فلما كان عليه السلام يتيم الظاهر. أي فقد الأبوين أو أحدهما فإن يتم الباطن أظهر وأبدع. وذاك أنه يتم مقام. وهذا أولى به. وسره وعجبه. فإن من زُجَّ به في هذا المقام قال وقيل له وعلى لسانه: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم﴾. وهذا صفة الفاني عن الكون لا المكون. وكان ممن حظوا بخلع تشريفات هذا المقام الفتى الطائي شيخي ابن عربي قدس الحق تعالى شمائله. فصفة ذاك اليتيم هو المتحلي بيتم المحاسن والنوادر العوالي. الغوالي. الغواني. فهو عروسها. بل قديسها. ذاك الفتى هو المنحاز عن الوجود. ألا ترى مكونه لا يأوي إليه إلا كل يتيم. أي جوهر عديم. ما له نظير في وجود الكائنات. وشموس الإبداءات. خلع قلبه من جذوره. وأهداه إلى حبيبه على طبق من تبر.

ذاك الذي استحق الإيواء الرباني حبيبه منتظره على باب مأوى ليعلمه قدر ذلك المأوى.

فلما حدج الحق تعالى جمالات الأنبياء رأى السمت المحمدي يتيمًا بينهم أي شمس جمالهم وعين حسنهم. وشعاع سطوهم. هم لولاه ما خلقوا وعداه ما وجدوا. قد ذابوا في دوامة وجوده وتأدبوا على بساط سجوده.

هناك هناك هناك قال له الحق تعالى: أنا المأوى فادخل في مأواي - لا صبر لي عنك ولا صبر لك عني.

فذاك يا صفي هو سر اليتم المحمدي والجوهر القاسمي والحسن الأحمدي فكان كل فتى يتيم على قدم أبي القاسم عليه السلام في هذا المقام المحمود والحوض المورود. ولما فكر الأعمى أبو جهل في حقيقة يتمه عليه السلام. رآه يتيمًا ككل يتيم فإنه رأى يتيم أبي طالب. وحاشا له أن يطلع على أنوار مقامه في يتمه الشريف عليه السلام.

فكانت خزانة يتمه يستخرج منها رحيقًا مختومًا لم يُفَض من قبل إلا له الآن من ختمه يكاد البرق يخطف أبصارهم أو يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار.

فكل من كان له من نصيب مقام يتمه الشريف كان له قطرة من ذلك البحر اللجي هم متنازعون فيها متصارعون عليها وذاك المقام المحمدي لن تتبدى أنوار محاسنه إلا في جنة مأوى. فالكل يعلم هناك أنهم مستمدون من مقام خزانة يتمه الشريف عليه السلام. فيخرج لهم من تلك الخزانة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فافهم يا ولي. ولما آواهم المليك فقد أكرم أهله في دار نعمته وبوأهم مقعد صدق وكان من شأن جنة مأوى أنها غاية الغايات لكون السدرة قد انتهت عندها وكان من زيغ البصر شأن عجيب عند السدرة. فلم يثبت من ذلك الزيغ سواه عليه السلام فقيل له: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ لكون طور الحقائق يختم مشهده عند تلك السدرة فهي نهاية الغايات. فكل صاعد هابط عند السدرة لا ارتقاء إلا لذروة المجد المحمدي حيث قيل هناك للأمير: قف وإلا احترقت. فما فوق السدرة لا يصح أن تتخطاه قدم إلا قدم أبي القاسم عليه السلام ومن هذه الحظيرة تتدلى مكنونات اللطائف المستورة وغرائب المذاقات المضمورة تهبط من أعلى إلى أسفل أهلها. يرون ذلك متدليًا عليهم من العين المحمدية والسدرة القاسمية وما ذاك إلا ليتم جوهرها ونبل معدنها.

فاعلم أيدني الله وإياك بروح القدس أنه ما آواهم إلى كنفه إلا لينقلهم كل طرفة عين من نعيم إلى نعيم ومن تكريم إلى تكريم فيعوضهم في اللحظة الواحدة من النعيم بقدر ما تنعم به كل ملوك الأرض جميعًا من بدء الدنيا إلى منتهاها. حتى أن قبلة الرجل لزوجته تعدل نصف يوم من أيام الآخرة أي خمسمائة عام من أعوام الدنيا فكيف بما لا يخطر على القلوب وما حجب عن الصدور كان أعظم فهذا سر تكريمهم بالإيواء. وكان الغالب على صفة أهل جنة الإيواء التفريد أي اليتم فلا أحد يشبه الآخر أي الأفراد وعلومهم وهم جماعة خارجون عن نظر القطب.

فأهل هذه الجنة غرباء عن بعضهم لكنهم على سرر متقابلين قد جمعوا الأضداد فافهم هذا المعنى أي أن جنتهم قد حوت أبكار المفردين ويتامى المقربين ولذا كانت منتهى الانتهاءات وغاية الغايات والله أعلم.

كتاب
جنة النعيم

فإن جنة التنعيم لها مذاق خلا الجنان الباقيات كلهن إذ كل جنة منهن لها مذاق تفردت به عن أختها. فإذا علمت هذا فاعلم أن بهذه الجنة من النعيم ما لا يوصف بالوصف فلا يحصره عقل أو يحويه قرطاس أو يتوهمه وهم واهم أو عقل عاقل. فإذا نظرت في شاشة التجليات رأيت نعيم الدنيا من بدئها إلى منتهاها نقطة في البحر المحيط الأعظم المتنعم به أهل هذه الجنة. فينعم هناك من غذاء الأرواح بنياشين مقامات الأفراح هناك تقام أفراح الخلود إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين.

هناك تقام أعراس الموحدين يوهبون فيها من خلع الرضا السرمدي فيرضى عليهم المليك فلا يغضب أبدًا بعدها.

هناك تنصب لهم لمناجاة الرحمن كراس من ذهب أو فضة أو زمرد أو عقيق أو لؤلؤ أو مرجان أو زبرجد أو ماس أو مرصعة بالجواهر.

هناك يناجيهم الجميل البديع المليك على الكثيب. فإذا نظروا إلى الوجه نسوا كل ما مضى الدنيا والآخرة. فتتجلى عليهم هابطة كل ذخائر المكنونات من الوجه فلا نعمة كائنة ما كانت أو صائرة ما صارت إلا من وجه ربك ذي الجلال والإكرام.

هناك ترى الأجساد ليست أجسادًا والنعم غير النعم كل شيء عكس ما

مضى ليس إلا الاسم من هذه المسميات.

أما المعاني فشيء غائب كان الله ولا شيء معه فلا تعجب من ذلك التنعم الوهمي الذي مسراه في أبدانهم أدناه مائة ألف أو يزيدون من مسرى الكهرباء في الأبدان فكيف بمنتهاه؟ ألا تراه يحيي الرميم ويزيد العديم؟

هناك الطير بعد أكله يقوم حيًا فيطير. والحوراء بعد نكاحها ترجع بكرًا كلما فضها والولد يتولد قبل أن يرتد إليك طرفك. وكلما قطفت ثمرة عادت مكانها فورًا والغرف يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها. وذاك ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام وأنهارها تجري في غير أخدود وتفجر من جبال المسك. وفي الجنة نهر ينبت الجواري والأبكار أما المختوم فهو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به أعز شرابهم.

وذاك نهر عليه مدينة من المرجان لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة وحظيرة القدس يخرج منها الخمر والحرير ونوادر التحف وعزيزها وأهلها يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يبزقون ولا يتمخطون طعامهم غثاء ورشح كرشح المسك وإنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويًا.

وإن من شجرة إلا أصلها من ذهب وأعلاها من جوهر مكلل بالدر والياقوت ثمرها كثدي الأبكار ألين من الزبد وأحلى من العسل كلما جز منها شيء عاد مكانه ونخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكرانيفها ذهب أحمر وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم ودورها تبنى بالذكر فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء فيقال لهم فيقولون: حتى تأتينا نفقة أي ولي أهل الجنة في شغل فاكهون في افتضاض العذارى وإنَّ شهوة الرجل لتجري في جسد زوجته سبعين عامًا تجد اللذة هذا وإنَّ الرجل ينظر صفاءً إلى وجهه في خد زوجته أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وإنه ليكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك.

وفي الجنة مرج أفيح من الفضة البيضاء في وسط المرج قصر من الذهب الأصفر في وسط القصر قبة من الياقوت الأحمر. في وسط القبة سرير من الذهب والجوهر. يخرج من تحت السرير أربعة أنهار. نهر من ماء غير آمن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من عسل مصفى ونهر من خمر لذة للشاربين وعلى السرير فُرشٌ من السندس والاستبرق وعلى الفرش جارية لو اطلعت على معصمها في ليلة مظلمة لأضاءت الدنيا ومن فيها وإلى جانبها ولي الله على صورة غلام أمرد أغيد على طول آدم وحسن يوسف وسن عيسى وخلق محمد صلّى الله وسلّم عليه وعليهم أجمعين. فيا حسنه مع كعوب لعوب في خلوته وقد هبت الأرياح وعاشت الأرواح وتضاعف الحبور ودام السرور واطمأن في جوار الغفور الشكور.

وفي الجنة شجرة يخرج من أعلاها حُلَلٌ ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مَدُّ البصر فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا.

هناك هناك هناك لا عمر ولا وقت ولا نوم ولا موت ولا تعب ولا حزن ولا قلق ولا ضجر ولا صخب ولا وصب ولا قبح ولا كذب ولا فقر ولا عوز ولا مرض ولا سقم ولا فتور ولا خمول ولا نتن ولا عفن ولا برد ولا حر ولا مالح ولا حامض ولا عقل ولا جنون ولا يأس ولا طيرة ولا عدوى ولا جدوى ولا أول ولا آخر ولا حد ولا مرد ولا صد ولا رد. ولا بداية ولا نهاية. ولا جسم ولا رسم. ولا لؤم ولا شؤم ولا عداوة ولا نفاق ولا تحت ولا فوق. ولا شرق ولا غرب. ولا شمال ولا جنوب. ولا أرض ولا سماء. ولا شمس ولا قمر. ولا نجم ولا كوكب. ولا ليل ولا نهار. ولا دنو ولا اقتراب. ولا جوع ولا سهر. ولا صمت ولا اعتزال. ولا ازدحام ولا اختصام. ولا حسد ولا فقد. ولا رياء ولا ازدراء. ولا انتهاء ولا احتكاك. ولا غل ولا غيظ. ولا شهوة ولا صبوة. ولا نفس ولا روح. ولا إبليس ولا شيطان. ولا جان ولا إنسان. ولا نباح ولا صياح. ولا نقيق ولا

نهيق. ولا نواح ولا عويل. ولا أم ولا أب. ولا ابن ولا بنت. ولا أخ ولا أخت. ولا عم ولا خال. ولا جد ولا جدة. ولا شبع ولا تخمة. ولا رِيّ ولا امتلاء. ولا طير ولا حش. ولا حشرة ولا هوام. ولا ثار ولا عار. ولا نار ولا حار. ولا طمع ولا جشع. ولا جماد ولا عناد. ولا صلاة ولا صوم. ولا زكاة ولا حج. ولا قتال ولا نضال. ولا شرك ولا كفر. ولا عذاب ولا عقاب. ولا فرض ولا سنة. ولا واجب ولا نفل. ولا محظور ولا ممنوع. ولا سيف ولا رمح. ولا ترس ولا مجن. ولا شجاع ولا رعديد. ولا سفينة ولا مركب. ولا مدينة ولا قرية. ولا جبل ولا صحراء. ولا وعر ولا سهل. ولا عالي ولا منخفض. ولا عريض ولا طويل. ولا قصير ولا ضيق. ولا مرفوع ولا محمول. ولا فاني ولا باقي. ولا مستهلك ولا مدكوك. ولا قوي ولا ضعيف. ولا ملك ولا حقير. ولا شيخ ولا مريد ولا عالم ولا متعلم. ولا صالح ولا زنديق. ولا كسرى ولا قيصر. ولا خاقان ولا مقوقس. ولا عزيز ولا أمير. ولا قدري ولا معتزلي. ولا مجسم ولا جهمي. ولا شيعة ولا خوارج. ولا جبري ولا أشعري. ولا مسجد ولا بيعة. ولا كنيسة ولا سقيفة. ولا حداد ولا نجار. ولا خياط ولا حائك. ولا بناء ولا غواص. ولا سمسار ولا تجار. ولا خراز ولا خزاز. ولا صياد ولا طباخ. ولا قصار ولا قصاب. ولا صباغ ولا زراع.

كتاب
جنة الخلد

ما هو الخلود إلا قطعة من الأبدية. لكن غير منفصلة وهي كائنة للمخلوق غير جارٍ على الرب جل جلاله وتعالى سلطانه وهو قطعًا غير تام إلا بالموت والانتقال من حياة إلى حياة ومن نشأة إلى نشأة.

ولكن نزع شرط الوقت من الخلود فكما أن الأبد هو ما سيأتي إلى أبد الآبدين أي استمرار الوجود وفي حقائقنا إلى ما لا نهاية في جانب المستقبل إلا أنه غير مستطاع أن يعبر فيه بعامل الزمن.

وكما أن الأزل هو استمرار الوجود بلا توقف في جانب الماضي إلا أنه غير مستطاع أن يعبر فيه بعامل الزمن وذلك لكون الوجود الإلهي واجب له أزلًا وأبدًا. ووجوده تعالى غير متعلق بمادة الزمن. أما الخلود فهو شطر من إحداهما. أي الأبد والأزل وهذا الشطر هو الأبد لكون الجنة تستقبل للدنيا ولا تستدبر ومن ثم فإن الناظر في شاشة التجليات يرى الخلود ذرة من الأبد الإلهي بل هو مستهلك فيه غير منظور البتة. فإذا كان القدم يوجد اصطلاحه عند الخالق والمخلوق فإن الخلود ليس كذلك ولا يعرفه نظام الخالق المتنزه به فإذا قلنا إن القدم على ثلاثة أنواع: القدم الذاتي والقدم الزماني والقدم الإضافي. فإن الخلود الذاتي غير معروف في علم الصفات أي مجهول لكون الخلود متعلقًا بالزمان والإضافة وهذا مستحيل على الباري جل جلاله.

وهذا كمن قال بالتسلسل وهو تتابع الأشياء واحدًا بعد واحد إلى ما لا

نهاية له في الزمن الماضي. نحو العالم محدث وللمحدث محدث وهكذا إلى ما لا نهاية له من غير دوران ورجوع إلى الأول وهو باطل.

وهذا مذهب إقامة العلة في الخلق وإدخال العلة إلى من خلق وقياس علة الخلق على من خلق وهو باطل لكونهم لا يحيطون بشيء من علمه أو ليس كمثله شيء ولما أراد الباري أن يكرّم العدم وهبه قطرة من كمالاته المستحقة أي ذرة من البحر المحيط الأعظم. فكان الزمن ثم تطور فكان خلودًا وليس من بحر الأبد إلا قطرة من بحره اللجي الأعظم قد ألقيت هذه القطرة في دورة الفلك الدوار.

فالباحث في حقيقة الخلد يراه قطرة من المكنون الأعظم فأهل دار الخلد لا شك ناظرون لتطورات الخلد في النعم المسبوغة عليهم. وإن من نعمة إلا هي مخالفة لأختها في الإبداء الذي يفجؤهم به الحق تعالى.

ومن هنا يتحقق أهل هذه الجنة أن كل لحظة تمر عليهم عكس أختها. وفيها ما دون ما مضى من دورات الخلد وهكذا تتجدد المواهب وتتحقق المآرب فيما لم يعلموه من قبل ولا شموا ذرة من طعمه.

ومن هنا قال أهل الذوق والعرفان أن الحق تعالى لم يتجلَ بتجليين متشابهين قط في الوجود. أزلًا وأبدًا وهذا لا يدرك بالعلم النظري بل هو مكتسب بالمواهب اللدنية. والأذواق الوهبية.

ومن ثم أطلعهم الحق تعالى يقينًا تحقيقيًا على أنه ما دام معهم فهم معه ولا فراق أبد الآبدين ودهر الداهرين. وأعلمهم هذا بعلامة ذبح الموت. فأمات الفرقة وأحيا الصحبة السرمدية الأبدية.

وهذا به أهل الخلد فرحون أعظم من التحف ومن الجنة نفسها لكون النفس أصعب الأمور عليها الفراق. فإذا علمت ألا فراق فكيف يكون فرحها؟ بخلودها إلى جوار محبوبها وقد أعطيت كل ما اشتهته وزيادة ما لم تعلمه من قبل. وهو المخبأ لها الذي تكنه واردات الغيوب الإلهية فافهم.

فكان ما تتمناه النفس من البقاء بقرب من تهوى أعظم من التنعم بكل نعماء الجنة خلال مدة ثم تنقضي المدة. وهذا حسرته أعظم على النفس العاشقة. إذ المحبة تحلو بالصحبة وينغصها الفراق فإن وقع الفراق نسي المحبوب كل ما مضى مهما عظم وطال. فإذا علمت هذا يا ولي فاعلم أن هذا هو علة تسمية هذه الجنة بالخلد. أي الصحبة السرمدية. ومن هذا المعنى تمنى أهل المحبة. أن لو يدخلوا النار لكي يصاحبوا محبوبهم ويكلمهم فيها. وأن لا يبقوا في الجنة بدونه فهي جحيم لا يطاق إن لم يوجد فيها فانظر فرق المعنيين أيدك الله وإياي بدواعي الذوق والفهم عن الحق تعالى.

كتاب
جنة السلام

وسر هذه الجنة يا فتى أهل الولاية وعنوان الدراية والرواية أنها مأمن الخائفين وهي مثاب الحذرين الوجلين فقد سالمهم فيها الحق تعالى. بعدما أفناهم الخوف الإلهي في دار الغرور وبطش بهم عدم القرار إلى شيء من ممتلكاتها. فهنا رحمك الله يأمن الخائف - ويلوذ الوجل. بعد رحلة مديدة. ومسافة عديدة.

وقد ذهب الحق جل شأنه فاشتق لهم هذه الجنة من اسمه السلام أي المسالم لمن حذره والملاطف لمن أمنه فيا فرحتهم لما يعلموا هذا السلام. ونزوع الخوف عنهم وإسباغ الأمان فيقول لهم المليك البديع اللطيف: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك. فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا.

هناك لسان حالهم يقول لهم: سلام عليكم بما صبرتم. أما سر صفة السلامة فهو طرح كل ما يستقبح من الصفة المرذولة غير المأمولة التي هي من صفات الدنيا وأهلها ومنها الغول والنقعي والوكس.

ولما فقد أهل هذه الجنة هذه الصفات المرذولة وهم في الدنيا فقد وصلوا

إلى جنة السلام وهم في الدنيا أيضًا وهذا مقام تحقق العارف بمقامه الجناني وهو في الدنيا كما يرى العبد مقعده سواء في الجنة أو في النار وهو في نزع الموت وهذا التحقق العياني لأهل السلام يقال لهم في دار الدنيا: سلام عليكم بما صبرتم.

وقد كان ﷺ يصلي صلاة الكسوف فانجلت له الجنة ورأى قطف عنب فيها وأخذه بيده.

ومن أهل هذه الجنة من لم يقترف ذنبًا أصلًا طوال إقامته في الدنيا وصفة أهل هذه الجنة رقة الأفئدة ولطافة الروح وبغض الشر وكراهية المعاصي وطول الصبر وعلو اليقين. بحيث لو سأله ربه أفعلت ولو ذنبًا واحدًا في دنياك؟ لقال: لا يا رب ومنهم من لا يجرؤ على قتل ذبابة أو بعوضة. ولا يتحمل رؤية دماء أمام عينيه لشفافية القلب ورقة الفؤاد وهم على قدم أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقد أثر عنه رقة القلب والطبع. وأهل هذه الجنة سرى في أرواحهم ضيق الصفة. فلا تتسع أرواحهم لشر أو غدر أو كذب أو نفاق ولا يكتمون خبثًا أو حقدًا لأحد لكون الصدور لا تستطيع حمل هذا فافهم وإلا انفجرت حوصلة الروح إذا سرى الخبث فيها وعكرها.

كما حكي عن رابعة أنها قيل لها: أتبغضين فلان؟ فضحكت وقالت: حبه ما ترك في قلبي قدر أنملة لبغض أحد. وإن الحق تعالى ليبرز لهم عطايا ذاك السلم في سوق الجنة فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

روى الترمذي عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم. أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من

نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم من دنيء على كثبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا قال أبو هريرة قلت: يا رسول الله وهل نرى ربنا قال: نعم. هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البعد قلنا: لا. قال: كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاصره الله محاصرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم كذا وكذا فيذكرّه ببعض غَدَّارته في الدنيا فيقول: يا رب أفلم تغفر لي فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط ويقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقًا قد حفت به الملائكة لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يُبَاعُ فيها ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا. قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم من دنيء فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها. ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن مرحبًا وأهلًا لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه. فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا.

فطوبى يا ولي لأهل هذه الجنة لما يلقون فيها من مداعبة الجميل. وسلم الجميل وظرف الجميل وابتداع الجميل ورقة الجميل وجمال الجميل وكرم الجميل. وذوق الجميل وغنج الجميل.

كتاب
جنة القرار

اعلم أيدني الحق وإياك بروح القدس أن جنة القرار هي جنة القاع أي القعر وهي أصل الجنان وأمها لكونها قرار الجنات تعبيرًا عن قرار البحر أي قاعه وحضيضه.

وفي هذه الجنة يستقر بهم المقر مع الحق تعالى فلا انفصال إلى خلد الخلود ودهر الدهور. وأبد الآباد. ألا تراهم سعداء في أم الجنان وعينها قد ولت الأتراح وتوالت الأفراح وحلى المزاح وطاب المراح واهتزت الأرواح وصفت الأشباح ووجه المحبوب تجلى ولاح وعرف الجنان فاح وتنوعت النعماء من فواكه وحور وولدان وتفاح.

فهنا ولجت الأرواح وانتهى بها المطاف إلى القرار الأخير والنعيم القرير إلى لا خروج في المقر الإلهي. قد قروا بالوجه الإلهي يناغونه ويناغيهم ويناجونه ويناجيهم يحقق لهم الآمال وكل ما خطر بالبال. وما لم يخطر تراه قد أسفر ورفعهم إلى ذهول التحقيق ومقعد تصديق فطوبى للرب وحاشيته في ذاك العرس الإلهي والمشهد الخيالي.

هناك يريح المحبوب عناءهم ويغسل أدرانهم ويخاطبهم بأحلى بيان وأعز تبيان: أن تمنوا عليَّ وتمنوا عليَّ أنا كلي لكم وكلكم لي. فهنيئًا لكم لي وهنيئًا لي بكم. هنا تنبعث روح الريح الإلهية فتمر في الأشباح المجوفة

فتصطفق بها فتغادرها جوهرًا مصقولًا ولؤلؤًا إكسيرا فيقع الاستعداد في اللطيفة الرحمانية والقنينة اللاهوتية والنطفة الناسوتية. فهينئًا لهم في مقام جمع الجمع حيث لا حقيقة ولا شرع إلا نقطة واحدة منفردة متجردة تلمع وفي سماء الحقيقة تشعشع لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

هنا تزبد الأبصار وتحرق الأستار لا حجاب الجميل وأهله لا غير الأخصاء الأدلاء في دائرته إلى أبد الآبدين معًا. ما الجنة بدونه إلا جحيم. ما التفاح ما المزاح ما الأفراح ما المراح كله هباء منثور غرور في غرور.

ما الزبانية ما جهنم ما النار الكبرى ما غسلين ما سجين ما لظى ما الحطمة إلا الجنة الكبرى. والفردوس العظمى إذا وجدت فيها أنت أيها المليك الحسن والملك البديع ذو القام الرفيع.

هنا تنصب لهم القلوب للمناجاة. فهي الكراسي والجبال الرواسي. أيها المليك ما أجملك في جنة قرار فأنا بك قرير. لا بجنتك وحورك وولدانك وخمرك وتفاحك كل هذا لا يعنيني بشيء إلا أنت حيث كنت في جنة أو نار.

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

أي قراري كيف استقبالك يكون لملوك الخرقة وأرباب الحرفة يا له من لقاء تسكب فيه الأشواق وتفنى فيه الأعمار وتحرق فيه القلوب يا له من منظر ما له وصف وكيف يوصف الذوق المستحيل على أهل هذه الدار بل لا يتذوق إلا في دار القرار كل ما مضى هان من أجلك أنت أنت أنت لا من أجل غيرك ومن غيرك يكون حبيب؟ والغير شرك محض يا أبي وأمي وأخي وأختي ومالي وولدي وديني ودنياي وأخراي وعقباي وأحشائي وكبدي وقلبي ولبي وسمعي ونظري ويدي ورجلي وعقلي وروعي.

كتاب
جنة عدن

لو علم العالم صفة هذه الجنة لعلم علم يقين أنَّ دنياه هي جهنم وما نعيمها بقرب نعيم عدن سوى نار الأنيار الكبرى. ولما تمثلت لنا هذه الجنة رأينا فيها العجب العجاب عنقود العنب يكفي مدينة فهو أصناف فمنه الياقوتي ومنه اللؤلؤي ومنه المرجاني. ومنه الذهبي ومنه الفضي لو فتحت الحبة الواحدة من ذاك العنقود لخرج منها ماء لو شاء لأجرى جدولًا أو نهرًا من أنهار الدنيا. فإذا فتحت حبة أخرى رأيت لها مذاقًا لا يجاري مذاق أختها فكل حبة لها من المذاق ما لا يكون إلا لها هي. ولا تتكرر مذاقات ما دام أهل الجنة في الجنة مكوثًا فيها ورأيت حبة العنب لها باب ففتحته ودخلت فإذا قصر في داخلها لم ترَ العيون مثله قط. فخرجت من ذاك القصر وقفلت الباب وأكلت حبة العنب كأن لم يكن بها قصر به سبعون ألف حجرة وسبعون ألف قبة وسبعون ألف سرير وسبعون ألف حورية وسبعون ألف مائدة وسبعون ألف غلام أمرد وسبعون ألف شجرة عنب كل شجرة تتمايز عن أختها ورأيت الرياح كلما هبت فإنها لا تسير الأنهار بل رأيت سفائن أهل الجنة يسيرها ضحكهم وانبساطهم فعلى قدر الأفراح تسير سفينة الرجل ولا يتوقف جريان سفينة في أنهار الجنة أصلًا لكون سرورهم متصلًا بلا انقطاع. فإن الحق تعالى قد حظر الأحزان والهموم عنهم.

ورأيت شجرة قمتها عند العرش ومتدلية منها أراجيح يتأرجح بها أهل

الجنان وهم يناجون الحق تعالى فإذا ناجوه وهم على تلك الأراجيح أعطوا من ذخائر التحف والهدايا ما لا ينطق به لسان ولا يصفه بيان فطوبى لهم وإذا تلك الأراجيح حبال ضفائرها من الذهب بنهايتها محفة من الياقوت الأحمر أو الزمرد الأخضر يجلس عليها فإذا تأرجحوا صعد كل رجل على قدر مقامه وارتقى. فربما ارتقى رجل واستوى مع الرحمن على عرشه. وأتيت على شاطىء بحر فنظرت في وسطه فإذا قصر من اللؤلؤ الأبيض والماء يجري من حوله ومن تحته ومن فوقه وإذا ذاك القصر راح يطفو في الماء وينتقل به صاحبه حيث شاء فما أغمضت جفني ورددته حتى رأيت القصر زبرجدًا أخضر ومن ثم صار يتغير مع كل خاطر إلى معانٍ شتى فمرة لؤلؤ أبيض ومرة ياقوت أحمر ومرة مرجان ومرة ذهب إبريز. وهذا التغير على قدر همم أصحاب الجنة فكل يغير ما يشاء بهمته فمشيت على الشاطىء قدر فرسخ فرأيت ذاك القصر بعينه انتقل في أرض لم تر العيون مثلها تربتها المسك الأزفر وحصباؤها اللؤلؤ والمرجان وقد انتقل القصر من البحر إلى البر بهمة صاحبه فولجت ذاك القصر وتوسطت صحنه فإذا فوق رأسي قبة وإن سقفها لعرش الرحمن ولا يدرك بصر علو تلك القبة. وإذا ملائكة لهم أجسام بديعة طائرون في سمائها وهم يقولون: سلام عليكم أهل الجنة لكم ما تشاؤون فاطلبوا ما تشتهون وإذا حوراء أسفل القبة في صحن القصر تغني بغناء لو سمعه فرعون لبعث نبيًا في وقت ولحظة لما فيه من إنعاش اليقين. وشعر رأس تلك الحوراء يجر وراءها على الأرض قدر فرسخ وهو ضفائر من سبائك ذهبية الشعرة الواحدة منه تساوي الدنيا وما فيها. ورأيت رجلًا مستلقيًا على سرير وهو طائر به في جو الجنة وبجواره على السرير سبعون من الحور العين منهن من تروحه بمروحة ومنهن من تكبس بحنان له بدنه ومنهن من تغني له ومنهن من تسقيه بكفها بكأس السلسبيل وهن يتراقصن ويمرحن حوله في حبور عظيم.

وقدمنا فرأينا جبلًا عظيمًا لم تَرَ العيون مثله اسمه جبل العطايا. وهذا الجبل يقدم إليه أهل الجنة في جوقة عظيمة فيأخذون منه ما يشتهون كل

جمعة ويتجلى لهم الحق تعالى من فوق ذاك الجبل. فلا يرون عطية أعظم من وجه ربهم ووردنا سوق الصور فإذا أراد الرجل تغيير وجهه ذهب إلى ذاك السوق فاختار صورة تعجبه فما يتم خاطر الاختيار. حتى يرى نفسه في مرآة عظيمة في تلك الصورة التي أعجبته. فيزداد عشق زوجاته له ورأيت رجلًا في أصابعه مائتا خاتم في أشكال لم تر العيون مثلها فنزع خاتمًا فصار قصرًا بديعًا في وسط روضة فيحاء. فلبسه فانمحى القصر فخلع آخر فصار قصرًا أعظم من الأول فكلما نزع خاتمًا صار قصرًا ليس له شبيه. فإذا لبس الخاتم انمحى وهكذا كلما اشتهى قصرًا بعينه حالّا خلع خاتمه فإذا سأمه غيَّره ولبس خاتمه وأبدله بقصر آخر فيخلع حالّا خاتمه ورأيت في هذا الشأن عجبًا من تصرف أهل الجنة بالهمة. فهم متصرفون فيما يمتلكون ولا سلطان لهم في ملك غيرهم وأقل أهل الجنة مقامًا من يملك عشرة أمثال الدنيا فالرجل منهم متصرف بكل خاطر يخطر على قلبه. ولا يخطر إلا خاطر إلهي محض. إذ لا مكان في هذه الدار لخواطر النفس والشيطان فكل ما يتمناه متحقق له على قدر همته كتمنيه أن يجري نهر من عسل في أرضه أو قصر في وسط بحر أو حوراء لم ير مثلها أو أن يطير بفرس.

وإذا جامع الرجل إحدى زوجاته أحس باقي زوجاته بلذة الجماع وسرى في أوصالهن الجماع كما لو كان يجامعهن أما لذة جماعها فتعدل لذة جماع أهل الدنيا ألف ألف مرة. وكلما جامعها وجدها بكرًا عذراء كأن لم يقرب فرجها من قبل ووجد معنى لم يره من قبل في الجماع ولا يتكرر معنى واحد بعينه في الجنة فلا يتجلى الحق تعالى بمعنيين قط لأهل الجنة لاستحالة العجز في قدرته. ويذهب أهل الجنة إلى أرض فإذا وطأوها غاصوا فيها فلا يخرجون حتى تروى أجسادهم من أجزاء تلك الأرض ويتلذذون بنعيم فيها لا يطاق. وكل على أصدقه.

كتاب
جنة الفردوس

شأن هذه الجنة أنها أم الجنان وسقفها العرش الإلهي المجيد وهي مقر النبيين وذوي الدرجات العلى وبها أعلى عليين ونهايات أقدام العارفين ولما وردنا هذه الجنة رأيت عالم ما فوق طور السمع والبصر والعقل والخيال. أي اللاوصف هناك استحالت علوم الدنيا نقطة في البحر المحيط الأعظم الخاضع للتجليات الإلهية المتعلقة بجنة الفردوس.

وأحسست في ذاك العالم الجناني أنني أشم بكل أعضائي وأسمع بكل أعضائي وأبصر بكل أعضائي ورأيت شجرة في هذه الجنة طرحها وجوه الحور الحسان.

وهذه الشجرة تنبت الحور لأهل الجنة. فينتقون ما يشاؤون من صورهن ويتخذونهن أخدانًا لهم.

وخمر هذه الجنة يشربه أهلها في حظيرة فإذا استقر في أجوافهم نقلهم إلى عالم معنوي لم يتذوقوه من قبل. ولم يعلموا طعمه قبل ذلك قط. فتصفى الأرواح وتزداد الأفراح ورأيت مكتبة هذه الجنة فيها من الكتب ما لا يحمله عشرة أمثال الدنيا وكل ما علمه أهل الدنيا من بدئها إلى منتهاها ما هو إلا نقطة من علوم هذه المكتبة ويدخل الرجل فيحفظ من هذا العلم على قدر مقامه فربما دخل هذه المكتبة نبي فحفظها في طرفة عين ومجلداتها مغلفة

بصفائح الذهب المطعمة بالجواهر وورق كتبها فيه من الذهب الإبريز وفيه صنف من فضة ولو أخرج مجلد إلى الدنيا من هذه المكتبة لما حملته الدنيا وكل علوم أهل الجنة كائنة ما كانت محتواة في هذه المكتبة ولكن الحق تعالى يزودها بعلوم متجددة جدت عليها ليست فيها فتحمل الملائكة هذه العلوم في هيئة كتب وتضعها في تلك المكتبة فيردها الوارد فإذا رأى ما جدّ من المجلدات فيها وقرأها تحقق أنه لم يدخلها من قبل وإن كان يحفظها عن ظهر قلب. وهذا سر الإعجاز الإلهي في علم الإبداء السرمدي الذي لا يكرر شيئًا قط.

ووردت البحار السبعة وهي البحر الأزرق والبحر الأحمر والبحر الأصفر والبحر الأخضر والبحر الأبيض والبحر الذهبي والبحر الفضي. ومن أتى على شواطىء هذه البحار رأى العجائب أما من سبح فيها فيرى أكثر.

وأهل الجنة لا يضرهم الغوص في الماء فربما غاص الرجل ومكث مائة عام من أعوام الآخرة وهو تحت الماء فيسيح هناك ويرى العجائب ثم يخرج ويقدم إلى أهله. وقد ازداد وضاءة.

وغصت في البحر الأزرق ومكثت يومًا من أيام الآخرة أي ألف عام من سنيّ الدنيا فرأيت مدينة تحت الماء اسمها مدينة الياقوت وكل شيء فيها ياقوت حتى أهلها أجسامهم من الياقوت وبهذه المدينة يمتنع أن يدخلها أي شيء غير ياقوتي كشيء ذهبي أو مرجاني.

ورأيت نافورة تضخ الماء الأزرق في وسط هذا البحر فتصعده إلى سقف هذه الجنة عند العرش وحول مائها طيور زرق تغرد بأعذب ألحان وجوار يمرحن في الماء وهن يقلن:

نحـــن المنعـــمات فـــلا نبــــأس   نحـــن المـدلـلات فـــلا نشقـــى

ولو شاء رجل أن يرشف ثغر حوراء منهن لاجتمعت له لذة تعدل لذة الدنيا من أولها إلى آخرها عشرين مرة. ويذهب أهل الجنة للاغتسال في جبل

شاهق. قمته العرش والماء في شلال منحدر عليهم من قمته. وهم في أسفل ذاك الجبل فإذا لامس ماءه أبدانهم غيرها وغير صورهم إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فينقلبون إلى أشكال بديعة فتكاد تنشق أفئدتهم من السرور بصورهم وربما سبحوا في الماء لمدة عام حتى يحمل الماء الرجل إلى أهله وهو على سرير مستلقٍ يطفو به وقد تجدد شبابه.

وهناك مجتمع للحور في بحيرة الحور يسبحن فيها ولا يسبح معهن رجال لكونهن مقصورات في الخيام فيزيدهن ماء هذه البحيرة رقة وعذوبة. ويزداد تعلق أزواجهن بهن ومن اغتسلت في نهر اللبن ازداد بياضها وتجدد شبابها ومن اغتسلت من بحر العسل عذب حسنها وازداد استطعام زوجها لها ومن اغتسلت في بحر الخمر سحرت زوجها وعظم شغفه بها وهن يذهبن لهذه الأغراض.

ديوان
نوح العندليب
من هجر الحبيب

الحمد لله، الذي جعل من البيان سحرًا ومن الشعر حكمة فأنعم على أمة العرب وحدها بهذا المنوال. وبهذه الخصيصة والصلاة والسلام على أفصح العرب أهل البلاغة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإن لنا غرامًا بأشعار ليلى وسلمى ومي والرباب وزينب. والكل في عرف المحبة واحد لا غير ألا وهو المحبوب الأعظم الحق تعالى.

فكل محب للحق تعالى كنى عنه بزينب والرباب ومي ولبنى وليلى وسلمى.

وأشعار القوم المتصوفين نجدها أرقى الأشعار لكونها نبعت من عين قلبهم الصافي بمحبة الحق تعالى وعلى هذا المنوال أتى أقوام كابن عربي والحلاج وابن الفارض فطاروا إلى جنان الخلد بأشعارهم وصرحوا وباحوا والصوفي القائل للشعر إنما يقوله وجدًا وتشوقًا إلى دار النعيم وروح الروح وقدس القدس وعين العين وسدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى إذْ يغشى السدرة ما يغشى.

فتعالَ معي إلى هذه الروضة الغناء والحديقة الفيحاء. وكنت قد رأيت أمير الشعراء أحمد شوقي باشا في رؤيا منامية وهي يقول لي: أسمعنى شيئًا من شعرك في سنة ألف وأربعمائة وواحد من الهجرة. فاستبشرت خيرًا والله الموفق وهو يقول الحق ويهدي السبيل.

١ - إنعام المحبوب على المحب بالتعذيب

حكم الهوى دومًا على عشاقه ... بتوارث الأحزان في أحكامه
ورضي لهم كل المهالك جلة ... حتى المرارة حلوة بنظامه
وجرى بذاك الحكم في ألواحه ... ختم الكتاب وصين من أقلامه
ورأى بذاك العاشقون ملاحة ... هي سلوة العشاق من أسقامه
وتوارث العشاق ميراث الهوى ... من قبض سقم كان من أوهامه
وتزاور العشاق طوافًا بنا ... عليّ أشاهد حسنه بتمامه
وحياة خلّي كم أبوح فلا أجد ... إلا الصدود وهذا من إنعامه
حكم الهوى دومًا على عشاقه ... بقصير عمر الوصل في أعوامه
وجنى علينا في هواه تعلقًا ... ملك الفؤاد به ولبَّ صيامه
فغدى به الجسم النحيل مولهًا ... ورأى نحول الجسم كل طعامه
وسلاني محبوبي فما أدري أنا ... ماذا ارتكبت فزاد من إضرامه
وقضى إلينا الوصل أن مذاقه ... حلو فهل نشقى بمر مدامه
وتعشق الروح اللطيف خياله ... وغدا جمال الكون طوع زمامه
وجفوت كل الخلق حتى مهجتي ... وهي التي للجسم كل قوامه
وغدوت من فرط الصبابة ناحلًا ... حتى العظام تحدثت بغرامه
ومررت في حي الهوى متنقلًا ... فتنكر القاسي بسد خيامه
فبكيت وحدي من صريح صدوده ... ما ذنب خل قد بلى بهيامه
وسلبت لبي جد فرد عقولنا ... فالقلب ضاع ولم يفِ بغرامه
وصبرت صبرًا في هواه تجملًا ... لولاه لم أرض بكل سقامه
وملكتني روحًا وعقلًا والحشى ... ورضى سقامًا أنشئت بسهامه

٢ - تجني المحبوب على المحب

وما الحبُّ إلا أن تموت متيمًا ... بحب الذي تهوى وإن كان جانيا
فكل محب فالفناء حياته ... وبالموتِ قد يرضى وإن ظل صاحيا

وما مات عشاقٌ بطولِ فنائهم ... ولو بقيت روحي لكنت مماريا
فقوما خليلي لكيما نميته ... بكأس فناء لست فيه مغاليا
أماري هواها عند أهلي وجيرتي ... وأطلق آهاتي إذا صرت خاليا
وكلّي نيران لها الصدر قد حوى ... وقلبي مدفون بنار غراميا
وما أنا إلا من يلذ له الفنا ... ففيه لجسمي نغمة ستداويا
وتلك ديار قد تركت حسانها ... ولذت بسلمى وهي كل مراديا
قتلت بسهم من سهام لحاظها ... فغبت صريعًا لا أجد من يداويا
سليمى تداوي كل سقم بطرفها ... ولو حركت لحظًا لأحييت حياتيا
وفيها لأرباب الهوى كل مذهب ... ومذهبي فيها خفى منافيا
فبح بالحب خلي والغرام ومت به ... فكتمانه ذنب أراه تجافيا
ولو أبدت الألحاظ سلمى لناظر ... لكان لزامًا أن يموت مقاسيا
ولو قيل لي وصل لسلمى ساعة ... أحب أم الدنيا ووصل الغوانيا
لقلت وصال من سليمى ساعة ... أحب إلى روحي ليطفىء ناريا
وكل مرادي أن أموت بقربها ... لنحيا حياة في جنان عواليا
وحبي سليمى ليس حبًا لوصلها ... ففيها جمال الروح أغلى الأمانيا
ففيها جمال لا أُطيق دلاله ... ولو يرفض الصب الدلال تجافيا
وما أنا إلا ميت طوع حسنها ... تخاطبني دومًا بطرف يناجيا
وكلّي مملوك كأني نسمة ... تروح وتغدو أن تطيل ندائيا
وما هزني إلا فراق أحبّتي ... وتلك دموعي كالدماء مرائيا
وما الحب إلا أن تذل لوصلها ... فذل الفتى عز أراه تعاليا
وكل الذي تهوى فسلمى بعينه ... وكل جمال راقني متناهيا
ولكن جمالًا قد حواه أحارني ... فما هو متناهٍ ولست مماريا
فيا ربة الحسن البديع ترفقي ... بكل سقيم لا يجد من يداويا
فلا تلم العشاق واغفر ذنوبهم ... فذلهم ذل على الرأس جاثيا
وها هي روحي قد ملكت زمامها ... فخذني أسيرًا قد رضيت هوانيا

٣ - تذكُّر الأيام الخالية[1]

دعْ عنك أحوالَ الصبابة كلها ... وتعالَ فانهل من صفاء مودتي

لو ذقتَ كأسًا من صفاء عيونها ... قدرَ القلامةِ غبت عن إنسيتي

وتعالَ نسري في بحار رحيقها ... ونغوص غوصًا لا خروج لمهجتي

وترقَ فاكْتَلْ من نوادر نثره ... من غير كيل فالترقي ناقتي

وتهنَّ وحدَك في حنان وصالها ... فالكل صعقوا من شهود حقيقتي

والخلق جُنوا من ظواهر فعلنا ... وبواطن الأفعال لب قضيتي

فإذا نزلتَ بحيٍّ من أهواهم ... فاترك سلامًا قد يذكر لوعتي

لو جلتَ قسطًا في زجاجة صفوهم ... لصفوت صفوًا بعد طول الغربةِ

لو نلت حظًا من بقية شربهم ... لبلغت منها العرش جنة منتي

وصفاء نفس الخل صعبٌ وصفه ... موت لعمرك في نفوس أحبتي

أرواحنا جمرات نار سعرت ... والماء يسري فوقها بالخلةِ

خطرات أنس قد يطير شعاعها ... فتطير روح من جمود الطينةِ

فهواها أضحى لا محالة مهجتي ... فهل الجسم غنية عن مهجتي

وظللت أسعى في هواها جاهدًا ... كيما أفوز بنظرة عن خلسةِ

فعرفت أن هواها لم يك صورة ... ملموسة أو قبلة عن شهوةِ

لكنه ألطاف صب قد خفى ... لم يخف إلا من تعاقب غمةِ

لو نلت ريقًا من نمير لعابها ... لغدوت كأسًا بارقًا في الظلمةِ

أوجاع جسمي لا تزال شواهدًا ... بمداد وسعك خطه لم ينعتِ

ودواء جسمي أن ينحله الهوى ... من غير ريشٍ قد سكنت بمهجتي

وحجاب قلبك فاسع في تمزيقه ... من غير سكين فنصحك منيتي

وإذا رأيتهم عرفت خصالهم ... من غير سقم بالنزاهة عفتِ

كم من محب قد شكى من بعدكم ... إلا أننا إني رضيت بقسمتي

لو كنت صبًا صادقًا لقصدتنا ... فالقصد عندهم افتقار القوةِ

---

(١) عورضت بهذه القصيدة «تائية» ابن الفارض.

وغذاء روحي أن يرى محبوبه   في كل طرف إنْ بصرتُ بمقلتي

ورثوا الكمال عن الكمال محمد   وكمال طه صرفه لأحبتي

ومن المشوق وقد ظللت ببابهم   أخطو الرقاب فلم أصل من زلتي

لولا افتقاري من خصالك نقطة   لرضيت عني بعد تلك القسوةِ

كم قد تجافى ثم أدنو سائلا   أين الحبيب لقد نأى عن وجهتي

جفو الأحبة ما يكون بفضحهم   بين الدنا ترضيك طول الذلة

كم من محب قد تفتت كبده   وجماد صخر قد يحن فيخبتِ

ماذا أقول وقد حوتك أضالعي   وأراك تنأى ثم تأخذ بضعتي

أنفاسهم ريح السموم إذا طغت   وصفاؤها ماء النسيم بسحرةِ

وإذا الأحبة جاهروا بعتابهم   أفشوا سرائر وصلهم عن غلظةِ

لكن عُتبي ما يكون لغيرنا   بيني وبينك سره عن خلوةِ

حتى إذا مت وماتت سيرتي   نسي الخلائق سرنا يا منيتي

قف ثم عرج نحو درب أحبتي   وانسَ همومي ثم ضِفْ لها حرقتي

واذكرني عندهم ولو في خطرة   خطرت ببالك علني قد أبختِ

أنت الذي أسقمتني وهجرتني   وتركت سقمك في العظام يفتت

أغريتني بدنو وصل رمته   فسلبتني حق الوفا واحسرتي

ما هكذا يزجي الشغوف دلاله   فدلاله حرق الصفا فو غلوتي

لولاك لم أصبر فدع لي منيتي   تحيا بها بين الخلائق صورتي

وخرست من لحظ الصنائع قدرة   يسري بها الملكوت طوع إرادةِ

من شاهد السريان أمسى ميتا   من وقع أقدار بواطن حكمةِ

خفيت على الثقلين - رحمة ربهم -   وبواطن الأحكام نفس النية

قد أظهرت في طور موسى لحظة   لم يحتمل إظهارها مع رأفة

وقد اكتست من روح أحمد هيكلا   جلت عن المعنى المحاط بخطرة

يا من براني والغرام مهتكي   وأزال ستري فالعواذل تشمتِ

وتغنى خليّ من لحون دلالهم   فلحونهم خمر حلال النكهة

فالخمر عندكم زوال الصحوة   والخمر عندهم صفاء اللذة

والخلق خمرٌ قد تخمر فكرهم ... ونقائص الأغيار لجة فتنة
والأولياء سفينة في لجة ... خلصوا إلى برِ رقيق الموجةِ
ماذا أقول وأنت وصفك تائه ... عن كل مدركة وحائط فكرةِ
فجمال وصلك قد أحاط جمالنا ... وجمالنا نقص مكمل وقعةِ
فجمالك الباقي ونحن كواسب ... وجمالنا اللحظى لحظة متعةِ
تفًّا على صب يخاطر نفسه ... بجمال غيرك لذة في خلوةِ
لولاك لم تحط العقول بشهوة ... ودلال حبك حاشه من شهوةِ
والعاشقون ملاحة لجمالكم ... وغرامهم سلك برى من حبةِ
والخلق قد رأوا النقائص زينة ... ورأوك حسنًا دون وصل الحلقةِ
عرفوك نقصًا في إحاطة وهمهم ... أوهامهم وهم أحاط بشبهةِ
لا أنت مرفوع فدونك محدث ... أو أنت مخفوض نزهت برفعةِ
أو أنت محمول فعجزك بيِّنٌ ... بل أنت قيوم بآية قوةِ
أو أنت محجوز فنورك محجب ... أو أنت مفروق أحطت بخفيةِ
أو أنت ملموس فغيرك قد خفي ... سحقًا لطين إذْ يصفك بخطرةِ

٤ ـ الشفوف

ما بال مية في الحرير تسجفت ... وتغورت فيها العيون فأضمرتْ
هل حجب مية من محب قد نأى ... هلك المحب بهجره ان قد عنتْ
إذْ جسم مية كالشفوف لطافةً ... فترى صفاءً في القلوب إذا صفتْ
فترى القلوب زجاجة درية ... ماء الصفا هو زيتها إن أسرجتْ
نفسي بشوق للديار وأهلها ... يسري الحنين إلى الديار وإن نأتْ
فحديث مية قد يطول لذاذة ... حتى كأن الصبح قبلتها مضتْ

٥ ـ التعذيب المقبول المرفوض

عذابي كان من أجلك ... وذلي من جني وصلكْ
وشوقي لم يفارقني ... وروحي كل ما أملكْ

كفى ما كان يا أملي فإني سئمت من ملكْ
ألا تكفيك آلامي وجرحي كان من سهمكْ
ألا تكفيك أوجاعي وبرء الجسم من طبكْ
ألا يكفيك إبعادي وبعدي كان من عطفكْ
أنا أهواك يا أملي وعين رضاي من صدكْ
فمن ذا يصد من جفوك وأصل الحب من جفوكْ
حرام أن تفارقنا فتنزع روحي عن روحكْ
وكم من ليلة فاتت وذقت المر من كأسكْ
وكم من دمعة ذرفت تصب العتب في كأسكْ
لمن أشكوك يا أملي ومن ينصفني من صدكْ
وأنت القاضي تجفونا وكل الحكم من حكمكْ
أأشكو القاضي من حكمه وهذا الجور من عدلكْ
أنا أنفقت أيامي وشوقي ذاب في شوقكْ
أنا ضيعت أحلامي وحلمي كان من حلمكْ
أأنت تصدُّ من وصلي فإني أموت من صدكْ
حبيبي كيف تنساني وليس الغدر من طبعكْ
تراني لن أفارقكم وإنْ أثقلت من ذلكْ
سواد العين يا قلبي جمال الكون من أصلكْ
شعاع الشمس من ثغرك بدور التم من حسنكْ
لكم تدعوني في قربك وكم تقتلني من صدكْ
جميل كل تعذيبك أراه يلذ من فعلكْ
تعالَ حبيبي عذبني فكلي كلي في ملككْ
خذ الأنفاس ما خرجت أراني أعيش من نَفَسِكْ
خذ الأحشاء واتركني تراني فنيت في نَفْسِكْ

٦ - الفجر

فلما تبين ضوء الفجر قلت مودعًا ... سلام على العشاق إذا انبلج الفجرُ
فقالت فبالله صبرًا إذْ أردت وِصالكم ... فلا تقطعونا وإن أذن الظهرُ
فقلت نعم كل الغرام مقطع ... وتلك سما الواصلين ولا جبرُ
فأرخت ذيول الذل تبغي وصاليا ... فقلت لها كفى فقد قُضيَ الأمرُ
فمالت تكفكف دمعها بيمينها ... وتحدر دمعًا في تغلبه العبرُ
وأشرق نور الفجر يرسل روحه ... ويفضح ستر العاشقين فما الخبرُ؟
فهام جوى الأرواح ينشد نوره ... بأن تسدل الأستار في الوصل يا فجرُ
فغصنا بحارًا من صفا نميرها ... وطفنا رياضًا لا يحيط بها البصرُ
هناك استرحنا من وئيد عنائها ... ببرد رباها واستقام لنا الدهرُ

٧ - القصيدة اللغزية

حبكم يا آل ليلى ... في الفؤاد قد التهبْ
فالضلوع في صراع ... لا تطق خزن اللهبْ
فالفؤاد من الحنين ... ظل دهرًا قد سلبْ
فارحموا يا آل ليلى ... لبا قيس قد ذهب
هام وجدًا كل وادٍ ... والصحارى فاغترب
قد براه العشق بريًا ... وهو صب لم يتب
قد رماه الدهر قصدًا ... من فؤاد قد غلب
فاستزاد الدهر رميًا ... كي يكون له أدب
واستلذ النار جسمي ... فيكم يحلو الطرب
واستحل الخمر روحي ... خمركم حان القرب
حبكم كالماء يغلي ... في العروق بلا ريب
خمركم تحيي الرميم ... وهي ليست من عنب
حبكم عين الجهال ... والجهال به انسكبْ
حبكم يأبى الخيال ... ما له أبدًا سببْ

وصلكـم صعـب المنـال كالفصـوص مـن الذهـبْ
مثـل أطيـار الجنـان ضِعْـن فـي بلـد خـربْ
حبكـم يُنسي النفـوس اسمهـا وذا عجـب
سـل بحـار العشق خـلى أيـن كـأس قـد سكـبْ؟
أنتـم روح المعـاني والحيـاة بكـم تصـب
لـو حجبتم طـرفـة مـت وانقطـع النسـبْ
أنتم لا شـك روحـي والفـؤاد إذا اضطـربْ
أنـتـم طعـم الحيـاة أنـتـم لـب الأربْ
أنـتـم روح الوجـود أنـتـم عيـن الطلـبْ
كـل مـا قلنـاه مـدحًـا فهـو منكـم منسكـب
مثـل مـاء فـي بحـار حـدهـا قـد احتجـب
مهما قلت من مـديـح فهـو بعـض مـا نسـب
أنـتـم فـوق المديـح فـوق كـرسي الأدب
تحتكـم كـل المديـح وهـو عبـدٌ في النسـبْ

٨ - الصبوة

صبـان في الحب زادا مـن دلالها فقل بربك من يـرجى لـوصلها
والحـب دومًـا لـه دلٌ يـدللـه فخـذ دلالي وزده فـي دلالهـا
من ذا يـزيـد دلالًا مـن ملاحتـه حتـى يصـد دلالًا مـن جمالها
هلّا يروق لقـاضي الحب هجـرها حتى يسـن قـانـونًـا في جـذالها
والصد صعبٌ على الخلان لو عرفوا أن الصـدود يـزيـن كـل دلها
أقسيـت قلبي يـا روحـي ولم أدرِ معنى القسـاوة حسـنٌ من كمالها
أفنيت نفسي في نفسـك بلا فـرق فكـم أذوب فنـاءً في خصـالها
أحييتم القلـب بعـد دوام جفـوتـه وكـل رقيـق جفـاء مـن جلالها
جـددتم الحب بعـد عفـاء بهجتـه فاهتز روحـان هبـا من أصولها
والحب حـال لـه وجـد يحركـه فكـم أقـاسي بعـادًا مـن فضـولها

والوجد حالي جفاني منذ فرقتكم فخذ بربسك أحشاي لأجلها
فكيف يحلو لي حالي وقد بعدا وكل قلبّى آلام لأجلها
وكيف أشكو لخل لا أُفارقه دعني ألاقي هواني في سبيلها
ومن يلاقي هواني في محبته إلا فتى عشقٍ أُذِلَ في وصالها
والطرف أمسى غزيرًا في مدامعه حتى ذرفت دمائي في حصولها
وكل ذلي حلال في محبته فمن يبلغ جوابي عن سؤالها
ولو سألتم سؤالًا عن مدى حبي لكان رد يجبكم من رسولها
روحي وعقلي وقلبي تحت حكمكم جفوي ووصلي وذلي من نوالها
إني أكن عتابي أن أصارحه وهل أصرح بعتبٍ حال عذلها
يا من يعز علينا أن نفارقه إني وهبتك روحي خذها لأجلها

٩ ـ الفناء

خليلي قوما فاسقيا كل عاشق محب لسلمى قد فتنه الصبابةُ
وبثا حديثًا قد يطول كلامه لحين القيامة لا تحطه المقالةُ
وبثا اشتياقًا من فؤاد متيم لكل فؤاد رقفته اللطافةُ
وصبا كؤوسًا فالكؤوس فوارغٌ لنسقي محبًا قد علته الجلالةُ
وطوفا بأرض الذكريات وعرجا على أرض سلمى قد تزول المسافةُ
وما أنا إلا عبدها طوع حسنها أقبل نعليها ففيه الإباحةُ
وما لي لا أفخر بتقبيل نعلها لكون الأصابع في النعال مقامة
ديار بها كانت أقاصيص حبنا فهل ينسى إلا من حوته الخساسة
وكيف أداري حبها وهو ناطق وما كتمت سر الحبيب الإشارة
فبالله إنْ جزت الخيام فبح به ولا تنسى ولهانًا فتنه الصبابةُ
وصبا لسلمى في الكؤوس دموعنا ودمع سليمى فالدموع مباحةُ
وكم من سليمى قد هجرت لياليًا كأن دموعي مالهن غزارة
ولم تغفر الذنب القديم تعطفا كأن ذنوبي كالجبال مقامة
ولم تدرِ أن الله يغفر ما يشا وأن ذنوب العشق رغمًا براءةُ

وأن ذنـــوب العـــاشقين ملاحـــة   وإن لم يذنب الصب اقتضته الإساءةُ

١٠ ـ الجفون المريضة

زدني غـرامًـــا فـــوق هـــذا إنني   صـب بـراه العشـــق وهـــو سقيمُ
قد قرحت تلك الجفون وما شكى   بلـواه كـــي يحنـــو عليـــه رؤومُ
مـاذا أقـول وقـــد سلبــت بقيتي   حتى المـــرارة زدتهـــا لتـــــدومُ
مـاذا أقـول لأضلـــع مـــزقتهـــا   وتـــركتهـــا تحـــت الجلـــود تقيمُ
يـا قـاضيَ العشـاق زدني لـوعـــة   إن البكـــاء بـــدربنـــا معلـــومُ
مـاذا ذكـرتم مـن أســاطير الهوى   إلا أثـــارة مـــن هـــواي تـــدومُ
مالي أرى الدنيـا تـروق بقـربكـم   وإذا بعـــدتم حلـــوهـــا مســـومُ
سل إن شككتَ نجوم ليلى سحـرة   مـاذا تجيـــك ودمعهـــا مسجـــوم
يا زينـة الدنيـا لصفـوك لا أجـد   إلا العكـارة صفـوهـا مـــذمـــومُ
كلي إليـــك وإن تفـــرق بعضنـــا   فـالـروح يجمـع والهوى المقســـوم
زدني عـذابًـــا فـــوق هـــذا إنني   طـوع العـذاب فـذلكـــم تكـريم
زدني بعـادًا دون قـــربـــك منيتي   بعــــد الأحبـــــة إنـــــه لنعيم
زدني انضمامًـا نحو صـدرك كـــي   أذوق لبن الحنـان فـإنـــه معـــدوم
زدني ائتنـاسًـا في ليـــالي غـــربتي   هجـر الأحبـة غـــربـــة ستـــدوم
زدني وزدني في هـــــواك تصبرًا   فهواك أضحـــى في الحشـا مكتـوم
زدني دلالًا في بعـــادك سيـــــدي   أمشي اختيـــالًا في الحريـــر مقيم
أمشي عـــلى كـل الرؤوس تبخترًا   في حـــب صـــب والرؤوس نجوم
والشمس في وسط النجوم عروسهـا   أخفـت ضيـاء الكـون وهـي زعيم
فإذا أضاءت فـالنجـوم خـوافـت   وإذا تجلـــت فـــالضيـــاء عـــديمُ

١١ ـ ذوب الخل من دلال الخليل

وإذا المليحة في الدروب   تهـــز أعطـافًـا ملاحـا
فاضرب بلحظك ناظمًا   تلـــك السفـــوحـــا

واخشَ التذوب أنْ تميع فلا تلوحا
إن الصبابة أن تذوق فلا تبوحا
أهل الصبابة ليلهم يشكو الصباحا
قبح الوجوه بعرفهم ليس افتضاحا

١٢ - الروح

سألوا عن الروح فقلت أخا الهوى ضاقت عقول العالمين بفضحها
قوم إلى الأنوار ذهبوا لنسبها سدرت نقول الواصفين بلمسها
والآخرون مع الهواء قد اصطفوا خلطت حدود المنصفين بحدها
وهناك قوم بالكشوف تيقنوا أن النفوس هي القلوب بروحها
ومن العجيب الشك أنك روحي إنَّ التعين مذهبي في عرفها
ومن الفلاسفة البغاة تكنهوا كل النعيم على الجسوم بمحضها
جهل الفلاسفة التذوق بالصفا قحط الصفاء من القلوب بقفلها
ورأوا إلى الروح اثنتين وفضلوا أن الحدوث لسالب من حقها
ركنوا إلى أن التقادم عهدها خلد الجنان بقية من خلدها
سكنوا إلى خلد الجنان بأنسهم ماتوا جميعًا من تنعم عينها

١٣ - النفس

ما للنفوس هزال في معادنها إذًا ما اكتنها نَزَرٌ من الغلب
فالنفس كالمعدن المصقول إنْ صدأتْ سَخِمتْ زبدةُ اللب
والنفس قارعة الخطوب فإن هوت فصعودها سير إلى العطب
والنفس مرغابةُ الخنا في آن حوبتها وفي تارة تطب
والنفس غمر مسحاح إذا محلت غبرؤها فالزرع يحتطب
فحينذاك قد سدرت أزمتها وساجها الشيطان أسوارًا من العجب
فحينذاك لا تسري بها همم في أي فعل فالأسوار تحتجب
والبحث في كنه النفوس مثاله يمّ تغورَ ماؤه لا ينضب

والبحث في حكم الحياة سآمة ... كالجان يلسبُ دارجًا يتقلبِ
والنفس كالتمر أصباغٌ مقسمة ... تراك تفرقها كالحشف والرطبِ
والنفس قتالةٌ للخير ما ضربت ... في أبحر غزر درارة الذنَبِ
والعقل لا يحذو إذا شططت ... بل يلحظ لو هنها آية العجب
والقلب لا يغفو لردتها دومًا ... يكر عليها قالب السببِ
والنفس كالسيل مكساح لما يرمِ ... إلا إذا انتهى بالشاطىء العذبِ
والنفس كالحبل إن تجذبه تحزمه ... وإن ترخو فالنفس في غلَبِ
هذه الأنامل لو دققت عروقها ... لضاقت الأنفاس في الأشلاء والقَلْبِ
وإذا سألت النوى عن شر نائبة ... سدروا وسكعوا والنفس تنتقبِ
يا لائمي في النفس هل تدروا لما ... خلقت إلا لظى تصلى أوجنة الأربِ

١٤ - الربوع الخالية

سليمى لا تنسى معالمنا ... وحبًا دهرنا صانا
وذكري في ربوعهم ... وخلًا قلها خانا
وعهدًا طالما وثقا ... وصبًا دهره عانى
سُلَيمى طالما مزحت ... بحب مره زانا
وكأسُ الوصلِ إنْ صدقا ... فمر الحب قد هانا
ونجد كل ربعهم ... وكل الرسم وافانا
ووجهُ الصبح إنْ سفرا ... تباوحنا شكايانا
وذرف الدمع هماع ... وطول الصبر أبلانا
وحين النأي أشجان ... وطير البين فتانا
قصدت القاضي ينصفنا ... وينصر كل من عانى
أقاضِ إنني آتٍ ... لأشكوك رزايانا
فقال النأي مذهبنا ... دواء النأي داوانا

١٥ ـ البريد الخفي

قد كان لي في حب ليلى مغرم | واليوم أمسى حبها مفقودا
جاءت تراودني بسحر جفونها | وتقول هاكَ إلى الفؤاد بريدا
إنْ كنتِ تدرينَ البريدَ فإنه | شر البريد بعثته مقصودا
قالت تخادعني بكل فتونها | تأبى الوصالَ صَرمتُه موقودا
قلتُ: اكتويتُ من الجمار فهلْ لكِ | صدق الوصال نشدته مفؤدا
قالت منحناكَ الوصالَ بنهرنا | فانهل لنول نوالك المعقودا
فذهبت استسقي بري صفائها | فأبت من الري الصفي ورودا
فقربت ذاك النهر أبغي وصلها | فحدجت في الري الصفي حسودا
ضحكتْ: لدغتَ من الهوى بجهالةٍ | إنا وجدنا في هواك جمودا

١٦ ـ فتاة الحي

أحب فتاة الحي كلي بجملتي | وأخضع إذلالىء اليها وعزتي
وأرضى بذلي في هواها ومنيتي | أذيقت عذابًا في هواها استحقتِ
ونفسيَ تهواها فتاة خليعة | أراها استقامت في خصال خليعةِ
ولم أرَ منها في حياتيَ راحة | سوى قبض عيش في هواها استحلتِ
وكلّ أراه من جميل خصالها | يوافي بديعًا فيه كل صبابتي
ولست مقرًا من بديع بديعها | سوى قبض عيش في هوانا استلذتِ
تراني أموت حسرة من جمالها | لفرط دلال قد أذل جلالتي
أسائل عنها في ديار بعيدة | فأطوي الفيافي كي أفوز بنظرةِ

١٧ ـ المقام الحسيني

وروضة غناء تحكي بزهرها | نجومَ سماء برقشتْ بالملائكِ
فأضحتْ كثوبٍ من حريرٍ مطرزٍ | أجادته عذراء بإبرةِ حائكِ
فأغلت حريرًا من رخيص قماشها | فأضحى يغالي كل صنف محبكِ
وصاغت زهورًا من صنوف خيوطها | يحاكي لجُيَنّا أسبكنَ بالمسابكِ

فحاكت بديعًا من رقيق خيالها يحاكي بدورًا أشرقن بالحوالك
كأن الثريا أطمست من جمالها فأضحت عروسًا قلدت بالسبائك
تراها هلالًا من بعيد وإنما شعاعُ شموس نزهت عن مدارك
ورق نسيم من حفيف غصونها ففاح شذاها عبر كل المسالك
فغرد قمري على غصن بانة وصب شجاه فوق تلك المناسك

١٨ - الأحزان المتوالية

أنا أضناني الحب فلم يترك لنا فرحا
وكل الناس أعدائي وكل القبح قد ملحا
وفي صدري يئن القلب فيكويني وقد قرحا
فيلقيني صريع الوجد وللكي قد انشرحا
ويشويني لظى الجمرات فوا شجنًا ويا فرحا
وينهلني عذاب الوصل وبالنأي لقد جرحا
فيسلبني عن المحبوب وبالعين قد اتشحا
فأين الصب يا عيني لقد ذاب وما لمحا
وكل الكل قد هلكوا هوى المحبوب قد ذبحا
وروح الروح إنْ لاحا فوصل الوصل قد طرحا
وأرواح تمنحنا وإذْ شئنا فلا منحا
وحب لي ينائيني ويبسطني وقد فضحا
وقرب الأنس إنْ منحا فلا أنس ولا بوحا
ونور الفجر إن سطعا فخمر الدن قد نضحا
إذا الخلان قد غابوا فجمع الجمع قد نفحا
وأسرار إذا لغزت فبالمفتاح فافتتحا
وأستار تهتكنا وصدق الخرس لا بوحا
أنا أنشدت آلامي ومني الجفن قد قرحا
وكل الذل إحساسي على الرأس لقد جمحا

١٩ - الديار البلقع

يا ليت شعري سَلْ تجبك مدامعـي ومدامعي نَضِبتْ فـأيـن مـدامعـي
من ذكرِ قومـي إذْ تُـرِكْـتُ متيّما أَشكو الديارَ وقـد خلـونَ ببلقعِ
قد أمرضتْ جسمي لحاظٌ قد قستْ لم تعرف العطفَ ولـو للمُـرْضَّعِ
تلقى علينا من نسـائمِ وَجْدهـا فـإذا سَكِـرْنــا تَسلبنَّ فتلمـعِ
وتروح ترقي في سحائـب قـدسـه فــإذا تحنــن تخبتن وأدمعــي
وإذا غــرقنــا في زلال نميرهـــا صرنـا صفـاء كــالنجــوم وألمعِ
سل في الديار إذا خلوت بـرسمهـا عن رحل قوم قد نأمـى بمجـامعِ
ولقد مـررت على الديـار تشـوقًـا أبغى الحبيب فلم يكن سوى ملوعـي
فجعلـت أسلــوه الزمــان تصبرًا فيـزيـد هجـرانًـا فيضرم أجمعـي
مـاء الوداد غـذوتـه مـن أصبعـي وتراه ينكر كـل رضـع مـرضـعِ
فـذهبـت أشكـوه ليعـرف قـدره فظلمـت مـن كـل الخلائـق أجمعِ
أيـن الصفــاء لقــد تغير طعمـــه كتغـير المـاء الصفــي المنبـــعِ
والعـاشقـون تـذوبـوا في صبرهـم فترى من الصبر الشكـايـة تـرفـعِ
قد ذوبوا الصبر الصبور بشـوقهـم فتراهـم نـارًا بـداخــل أضلـعِ
من ذكر ليلى قـد تقـرح محجـري فتراه ينـزف بـالـدمــاء فيهمــعِ
وتظل ليلى في القلـوب وإن قسـت فهــي الفــؤاد ولبــه لا ينــزعِ
فإذا سئمت العذل فاهجـر دِربنـا وتسـلَ عـن ذكـر الهوى لا تـدعِ
أيـن الهوى هيهـات أيـن رحـالـه سئـم الديـار فـأعـرضـن ليسرعِ
وأموت وجدًا إن نظـرت جمالكـم وأذوب وحدي من تساكـب أدمعي
وأهيم تيهًــا في الديـــار تبركًـــا فــأرى الديـــارَ تبثني مــا يجزعِ
ماذا أقول وأنـت كلـك سـاكـن بـين الحشـا وجـوانحي والأضلـعِ
وقد اغتدى جسمي كثوب قـد بلى مـن طول هجـركم وحـر الأدمعِ
وصـددتم خلًا يكـابــد لــوعــة تصلي الجسوم بجمـرهـا لا تشبعِ
وتــركتمـوني في الفـــراش معطلًا فأبـث شكـواي الفـراش فيسمعِ
ورميتمـوني بـالصـدود وبـالجفـا وتـركتم جسمـي النحيــل يلــوعِ

إني سئمـــت أن أبـــوح لغيركم فتعطفــوا نحوي ولــو بتشفــعِ
ووكـــزتم قلبي المعـــل بجرحكـــم فـأضـفتم جـرح الفـؤادِ ليجـــزعِ
إني وإن قلـت العتـاب وإنْ قسى فالعُتْـبُ مـرفـوعٌ وإنْ لم يـرفـعِ
فتلطفـوا في صـــدكم يـــا ســادة ملكوا الفؤاد ومـا سـواهـم ينفـعِ
وحديثكم عـذب لـديَّ إذا سرى ملـك الفـؤاد ولطَفَـنَّ مسـامعـي
وإذا تـرقـرقـت النفـوس كمائـــه حشم الحيـاء وصـــده مـــا يمنـعِ
وإذا تلطفـت النفـوس مـن الهوى سكن الفؤاد من اضطراب المفـزعِ
كم قـد أغـار على حبيـب مثلكـــم أشفـى النفـوس بشربـة لا تنـزعِ
ولمسـت أنفـاسًـا تعبـق نشرهـــا فصفا النسيم ونـاغـى مني مسمعـي
وأراكَ تنـأى إن قـربـت تلطفًـــا وأراك تـدنـو إن بعـدت لتطمـعِ
ويطول دهري في رضاكَ وإن نـأت عنـــى الديـــار تصبرًا في مطمـــعِ
ويضل وصفي إن وصفت جمالكـم فهـــو الكـمال بـــل الكـمال لمدعِ
وأنــــوحُ ليلى إن أنســـت بغيركم أنَّى يكونُ وقد زَهِدتُ مضاجعـي
وتغـــار نفسي إن تيقـــن لبهـــا في حـــب إنس دون حبي يسرعِ
ويكل طرفي إن لحظـت صفـاتكـم قَطْعٌ وحُسْـنٌ مـن تصرفِ مبـدعِ
وإذا تقدست الصفـات عـن الهوى حسب ابن آدم أن يضيء كأشمـع
وأحن شوقًـا مـن تلهـب صبـوتي وأبـوح سري إن بـرقـت لتلمـعِ
ويديم شـوقـي في رضـاكَ حميـدةً ملكـتْ فـؤادًا شـوقـه لا يجمـعِ

٢٠ ـ تسلية أهل البلاء

أهـــل البلاء إذا حللتم دربنـــــا لا تحملــوا شيئًـــا مـــن الأوزارِ
وتجرعوا غصـص البلاء بكـأسكـم وتصبــــبـوا ببلائـــه البتـــار
وتلطفـوا بنفـوسكـم وتـرحموا فنفوسكـم خـرقـت مـن الأصرارِ
وإذا تـدلهم ليلكـم فتـزينـوا وتلـــذذوا بعـــذابـــه النشـــارِ
لو جرعت كل الكؤوس لقبضكـم لقبضتم بسـط البـاسـط الكـارِ
وتـذكـروا ليلى ومـا كـانـت بـه قيسًـا بـراهـا فـاضـح الأبكـارِ

وتذللوا أبدًا لوصل حبيبكم ... فعذابه يحلو ولو بالنار
وإذا تثاقل جفو من واليتم ... فجفاؤه صبب بال إخبار
وإذا تخلصت النفوس من الهوى ... نقت النفوس بخفة الأوزار
وتحملوا نار العذاب وجمرها ... فأحل هذا في الكتاب وجار
وتلذذوا فوق الجمار بكيكم ... فلحومكم نضجت على الأنيار
فالله قد خزن البلاء لأهله ... وغلاه غليًا للفتى الصبار
وأراك تحلو إنْ منيت بجفوة ... وألوم نفسي إن بسطت إزاري
وأرى الجلود تيبست في صبرها ... حتى بلت في صبرها المدرار
وأراك تغلو في عروقي منيتي ... علي القدور الراسيات بنار
أنت الدماء الساريات لتحيني ... أنت الضياء وسحركم إبصاري
أنت اللسان إذا تركب نطقه ... أنت السماع إذا صفت أوتاري
وأبث شجوى إن لحظت دلالكم ... فيموت قصدي قد وهت أوطاري
وأموت وجدًا إنْ حجبتم طرفة ... وأعود حيًا إنْ أزيل ستاري

٢١ - وصف نملة

سَلْ نملةً جمعت تقاطيعَ البراعة خلقةً ... عجبًا لهذا الحسنِ كيف خلقتها؟
فمزجتها عينًا ورأسًا ضاعا بها ... لطفًا لوسع اليد حين قدرتها
فكأنها مثقالُ حبة خردل ... ويحًا لَصغرِ الحجمِ كيف جمعتها
ذهب المصورُ كي يكبّر جسمَها ... جهلُ الخلائقِ قلدوك بخلقها
وتحملت أثقال قوت وحدها ... ضعفًا على الجرمِ الصغير بعزمها؟

٢٢ - وصف خنفساء

إنْ سألت الخنفساء عن معنى التخفي ... لا تجبك الخنفساء من شيء يدني
دَعْ فنفس الخنفساء مثقلة عيوبا ... طينة مطلية زفتًا معنى
إنْ طلبت الجنس فيها فهي عبدٌ ... حقرته الخلق في خلق ولون
أو كرأس نصفه في جوف مغفر ... خطوْها من غير مشى بالتأني

قالوا دومًا خلقها من غير نفع أخفقوا في نفعها من غير فن

٢٣ - الجرح القديم

إذا اشتد ضيقي جئت زحفًا لبابكم أحن إلى شيء يفرج عن همي
عسى الله أن يطوي صحافًا قديمة تؤد على الظهر الكثير من السقم
فإن تعفو فإني في انتظار لعفوكم أحن كما تحنو الظباء على الرئم
فهل تذكروني طرف لحظ بجانكم؟ فيخبر روحي الجسم خبرًا بلا كتم
حديثكم عذب عذلتم ولم ندرِ تهون نفوس العز رغمًا على الخطم
فوالله لا أبرح ديارًا بمهجتي ديارًا بها الذكرى تذكر في الحكم
فهجركم حرق لروحي وهيكلي وكيف يقر الخل حرقًا من القوم
حرام على قوم بجسم جسومهم وأرواحهم شتى والكل في الجسم

٢٤ - القصيدة العقالية

أستاذي الجليل يا راحة الصدور يا قبلة العلوم يا بلسم العليل
بجبة صوفية قفطانها جرير مثقلة الجسوم تقسو على النحيل
حزامك المشد كعلمك المتين كأبحر غزار درارة النقول
عمامة محيطة كالعش بالفراخ كانفة لكنز من أثمن اللآلي
يا قدوة الأناسي يا غرة الدهور يسيل منك الجنب من علمك الجزيل
فنورك البدور ومجدك الثريا وعلمك المحيط يطغى على العقول
وحلك العويص في المشكل الغويص تعنى به الركبان ونائي الرحال
رأتيك الكمال ونطقك الجمال يا مدني البعيد وملمس الخيال

٢٥ - الأنفاس البغدادية

بغداد عن تلك المعاهد خبرينا واسردي من كل ذخر تذكرينا
وإنْ تبكِ فصب كأس ذوبٍ فشوق الخل قد يسلي الحزينا
ونفحينا ذكر أيام الرشيد بنفح المسك هلا تعطرينا

بنيـة السفـاح إنْ يخفـي الكلام فعهد أبيك قـد يسلى السـنيـنـا
أمـن خبـطٍ رثيـث قـد سلـوتِ سلـوَ المعـرض المزدان لينـا
وردنـا مـاء دجلـة فـاستقينـا مـن العلم المصـون ألا انهلينـا
دفـائـن علمـك المخـزون تبكـي تراب الدهـر قـد ركـب المتونـا
فـأنـت أمنـا منـكِ رضعنـا بلاد العـرب ولـد تكنفينـا
فهلا تـذكـريـن ليـوث غـاب تـربـوا في الحديـد مظفـرينـا
تعـالى فضفضي كـل العتـاب فخـزن العتـب سم تخزيننـا
وفتـك رجـال علم بـالمطـايـا وإن عـدمـت أتـوك راجلينـا
فهـذا الشـافعـي وسيبـويـه وشعـر المتنبـيء تحفظينـا
حـديـث محمد أعني البخـاري لآلـؤه الصحـاح فحـدثينـا
وهـذان الكسـائـي والخليـل وابـن سينـا بـالـدواء فطببينـا
ملـوك للفصـاحـة خلـدوك بـألسنـة البيـان تفـردينـا
فقـاهـرة المعـز تكـون بنتًـا أبغـداد القـديمة تشهـدينـا
سقـاك الله مـن صـوب الوفـاء بكـأس الود صرفًـا تشربينـا
أبغـداد العلـوم أراكِ حسرى عـروس الشرق تبكين السنينـا
فكيـف بكـاؤك أخـت الثريـا نجوم سنـاك عقـدًا تطـرزينـا
فسطـر يـراعتي ومضـاء سيفـي بـذكـراك الهتـون تعجـزينـا

٢٦ ـ نساء العصر

عجبًـا لهذا العصر كـل نسـائـه يـأبين إلا الخلـع يـا حسراتي
هـذه الصـبيـة والبلـوغ حليفهـا خلعـت عـذار حيـائهـا بثبـاتِ
فوحـقّ مَـنْ سمـك السماء ببطشـه فلأرفعـن تلـك السفـور بـذاتي
ولأبطشـن بكـل مـن رام الخنـا وبغـى لتلـك الخالعـات مـآتِ
حتى العجـوز إذا أرادت حليـة نظرت إلى تلـك الصفـات هبـاتِ
فتراهـا تنثر حـب كـل فضيلـة بيـد الخبـال وتلـك أصـل أفـاتِ
راحـت تـوشم حمرة في خـدهـا والدهر أكسـب وجههـا الحفـراتِ

فترى التجاعيد التي في وجهها تشكو إلى هذا الزمان شكاةِ

تلك الكواعب هن في أكنافها ورقيقُ ثوبٍ غير ساتر شاةِ

شمطاءُ قد حزمتْ بها روحُ الضنى وهوت تزخ إلى العماء صفاتِ

وبنات فِهْرٍ قد سَقمنَ بعلة وقرون عاد قد كنفن بناتي

وترى الشبيبةَ لب كل قبيلة ردوا المجون وهذا شر نباتِ

ونساء قوم قد وضعن بحطة وطرقن بابًا جامعًا لشتات

وهزلن في كل الصعاب وليتهن يعقلن خطبًا آيلًا لمماتِ

وخضعن بالقول المحلل حرمه ووأدن كل جواهر الحسنات

شبت قبيحة طمست قسماتها بدسيم زبد أحيت الوجناتِ

هلك الرجال الغبر شسع نعالهم داس هندام الزمان العاتي

والله لو حدجوا الجهال لما اغتدوا عن ظل حور سحن في جنات

كتاب
أنس الموحدين
برب العالمين

فإنَّ صفة الآنس بربه من لا يرى في الكون المكون سواه. فلا يرى مع مولاه شيئاً يراه لكونه أنيسهم. وجليسهم في ساحات الرضوان. ومراتع الإحسان. فإن فطرة الآنس غالب عليها هذا المشرب البهي والمنظر العلوي.

فإذا خلصت الفكرة وتحررت الفطرة من مسالك الركض. وعلمت صحة النقل من الفرض. علمت ذاك الأنس ومداه وما يجب على النفس حين تتفرغ له من الإرادات والموافقات.

فإذا سلك الآنس قبل ذلك في قفار الخلق أذهله ما يعاملونه به من غلظة ونفرة وحظوظ نفس وتخلي كل مخلوق بنفسه دون المجموع الآدمي الكلي وهو قوله: نفسي نفسي.

فإذا عامل المخلوق علم أنه صنم لا يغير ولا ينفع حتى شيخه داخل في ذاك المجموع. لكون الشيخ متلق لآلاء الحق تعالى ناظراً إليها دون تحكم فيها واستحكام.

فإذا أوقفت ذاك الآدمي بجوار الخالق في الائتناس به فقد أخفقت.

وإذا رأى الشاهد أنَّ حَظَّ الشيخ في فكرته انشغاله بنفسه وأهله فلا يلومن إلا نفسه لكونه أنس به دون الحق تعالى. وكان الشيخ وسيلة لا غاية. فمن تعلق به وأعطاه فوق مرتبته فقد أنس بالمخلوق ونفى الأنس عن الخالق.

وإذا غلب المشرب القهري على النفس بتعلقها بالشيخ فَلْتَسْعَ على زحزحته بعيداً عن ساحتها حتى تهدأ.

ألا ترى أن الصديق أبا بكر قال بعد قبض رسول الله (ﷺ) من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

فذاك اللبيب الذي أودع قلبه الحظ الأكبر مع من لا يموت. فإذا غاب أو مات المخلوق فهو الآنس على الدوام.

فإذا انعقد القلب على عقدة واحدة انحطت رقبته. فوجب عليه أن يودعه عدة عقد في المرتبة. ومن هنا كانوا لا يأمنون مكر الحق تعالى. لكونه يبتلي في مثل هذا المقام. فهو يبتلي مقامه بالخلق. حتى يميز الخبيث من الطيب.

فإذا رأيت الباحث في الرتبة رأيت أقلاء من أقوياء هذا المقام. لضعف الفطرة.

ولتعلق الروح بما حولها وانجذابها إلى الماديات أصلاً. فهي مجذوبة قهراً.

فحال هذا الآنس أنه نافي عن المادة الجامدة والأرواح بجملتها شريفها وحقيرها.

أما الأرواح الشريفة فهي كغاية ساقطة إلا إذا كانت وسيلة. لذا أمرنا النبي (ﷺ) بمحبته وقرنها الباري بمحبته وذاك قوله: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحبِبْكُمُ الله﴾**.

فجعل الوسيلة هي الاتباع والغاية هي المحبة الإلهية لا محبته هو عليه السلام وإلا لتساوت رتبة الخالق بالمخلوق وهذا مذهب فاسد.

ولا يغيب عن المحبوب المخلوق المتخذ في الوسيلة أنه وسيلة لذا يأمر أن لا نفرط في محبته ونعطيه أكبر من طاقته في رتبة المحبة حتى نتخذه غاية. والواصل إلى مشارف هذا المقام يصارع نفسه. ليدحض عنها بمقام الفرقان.

وفي كلا الأمرين فإن حب الغاية لازم له حب الوسيلة حتى يصل المحب

إلى غايته ومعه أيضاً حب الوسيلة التي أوصلته إلى غايته فلا بد من الاقتران.

ويقرن المخلوق ليدل على حب الخالق هو والوسيلة من قبله سبحانه. ويأتي على المريد زمن يطلب من نفسه الاستغناء عن الشيخ لدخوله في هذا المقام.

فالشيخ يدَّعي الاقتراب والمريد بفطرته نافر لكون الشيخ قد فطمه.

فإذا تعين رتبة الأنس على ما ذكرنا فلا مخلوق في الأنس بل الحق. ولا نزول أو وجود معه. بل لا يعبأ بالوجود.

ولا مناسبة لضيق المجال بين الرب والمربوب. ولا يتحدث عن هذا إلا الكرم والكرامة التي أكرم بها الحق تعالى العماء المحض الذي جعله مخلوقاً مكرماً عارفاً معرفاً.

وذاك الآنس إذا دخل لا يحمل إلا على قدر ما يحمل من أوزان الأنس. لكونه مستهلكًا في جلال الحق تعالى وجماله. ويشترط عليهم أن لا يأنسوا به حتى يأنسوا بغيره فإذا ذاقوا الأنسين علموا صحة المقامين وصحة الدعوى في الخلق والخالق. والمربوب والرب والعابد والمعبود.

ويشترط عليهم أن لا يأنسوا به حتى يخدموا غيره. وإنما خدموه هو أصلاً لا غيره فمن أنس بالوسيلة فكأنه أنس بالغاية. ومن تأدب مع الوسيلة فكأنه خدم الغاية. وآية هذا المقام قوله: ﴿**وأن إلى ربك المنتهى**﴾.

وقل من يستحضر مقام الأنس الإلهي دوماً وهذا لا يستجمعه إلا قلة من رؤوس الأشهاد. وهذا يحكى عن إبراهيم الخواص لما كان في البادية والأسد رابض بجواره فلما كان في اليوم الثاني اقترب من طيور على الأرض ففرت فطارت لما رأته.

فعجب من ذلك فسمع نـداءً يقول له: البارحة كنت آنساً بنا واليوم أنست بنفسك. فانظر يا أخي صحة المقامين.

ومن ثم تجد الفرقان قائمًا بين الأنس بالمخلوقين.

فلا تجد كل المخلوقين يؤتنس بهم سواء. بل منهم من لا يؤتنس به أصلاً بل ينفر منه. وينفر عنه. وهذا صفة الفارين في الجبال والصحاري. الذين قتلهم سلطان المجاهدات. وأعياهم السير المجد.

ومن هنا تأتي نكتة شريفة في كون الواصل لو أنس بمخلوق مثله. فإنه لا بد له أن يتراجع يوماً وينفر عنه قهراً. لكونه ليس هو الغاية في هذا الباب فافهم.

واعلم أيدني الحق وإياك بروح منه أنه تعالى برأ الأعيان منه وإليه لكن لما انقطع اتصالهم به فإنهم لم يعلموا حقيقة إنسهم به على التحقيق لكون أنه لا مناسبة بين الخالق والمخلوق في باب معرفة الهوية والإنيّة. إلا من باب التنازل في رتبة الواحدية.

لذا فإنه تعالى انفرد في إنسه بنفسه تحققاً مقامياً محضاً. وهم أنسوا به أضغاث أحلام أو سراب بقيعة. ولذا قال: ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾. وعلى قدر العلم كان الأنس. فالعلم الإلهي له أنس لا يدركه العلم المحدث.

لكن من جعل أنسه به على قدر طوقه وطاقته فقد أفلح في علمه وتميز في تقديره لنفسه لكون هذا غاية الإرادات في الذوق. ولم يعلم الفتى المحقق أن مقام الأنس أعلى من مقام البسط. فجعل يخلط بين أمرين في لون واحد مع اختلاف المشربين. فذاك الآنس تراه لا يرد إلا بإذن مولاه مسلوب مستهلك بلا رجوع لا تلوث في ترتبه. أنس بعد صبر طويل. ورضى جليل. هو في أنسه سلطان وقته. وفتى فنه عنده كل لحظة من لحظات هذا الأنس تعدل الدنيا والآخرة.

أما ذاك صاحب البسط فقد يكون صاحب تلوين ممزوجًا بقبض هو ليس في فرحته بربه كذاك الآنس. فذاك يشرب العسل المصفى وهذا يشرب المشرب. فشتان بين حقيقتين.

ومن هنا علم جوقة أهل التحقيق وعصابة الفريق أن الولي لا يأنس حتى

ينسبط ولا أنس بدون مروره على البسط. وهذا كمن لا يصح إخلاصه بدون صدقه فلا إخلاص بدون صدق.

وخير الأنس ما برز من الجناب الإلهي على غير موعد. فذاك أعلى مراقيه. لكونه من كنوز الحق تعالى المخبأة التي يوعد بها أهل السعادة والتحف والأناقة.

وذاك لكون تصنع الأنس ليس من علامات الأنس فافهم يا أخي.

واعلم أن حقيقة الأنس الفناء في المأنوس به أياً كان خالقاً أم مخلوقاً. وإذا كان غير هذا فهو في مقام أهون من الأنس كالبسط.

أما الفناء في المخلوق فلا فائدة يتحصل من نفوذها. أي فناء الناسوت في الناسوت.

وصل

- فإذا قيل لنا ما حقيقة الأنس؟

قلت: هو قطع العلائق بدواعي الشوق.

أو هو الانفراد مع الديمومية.

أو هو استحواذك عليه واستحواذه عليك.

أو هو أمن مكره أبان قهره.

أو هو الخلاص منه إليه. والفرار منه إليه.

أو هو الفرار من رسوم الجمود. إلى بساط الشهود.

أو هو الاغتسال من أدران الحجاب. بسلسبيل الرضاب.

أو هو فناء العاشق في المعشوق

أو هو الاغتسال في إناء واحد.

أو هو التروي من ريه. والنزول عند رأيه

أو هو شفوف الستور. وزوال الخدور.

أو هو رفع الأدب بالأدب.

أو هو المزاح بغير مزاح.

أو هو انفراد الأحبة في منازل القربة.
أو هو التناجي بغير كلام
أو هو إقامة الأفراح على الدوام لزوال دواعي الأتراح
أو هو نسيان الكل لأجله.
أو هو الانقطاع إلى ساحته لاستيلاء راحته.
أو هو أن تنسى نفسك معه.
أو هو استخلاصه لك فلا ينازعك فيه أحد.
أو هو تطليق ما سواه.

مخاطبة عبد أوقف للعتاب

أي عبد أهرب وأنس به. وأفخر به وتلذذ به. واقترب به وتطهر به. وصلِّ به. وصم به. وحج به. واذكر به. فأنت بغيره لن تصلح ولن تفلح.

فأنت قديماً في عالم البدء به بطشت وبه مشيت وبه شهدت على نفسك وبه أنت الآن تترجم عن نفسك. وتحقق له المقولة الأولى.

أي عبد ألا ترى المادة طغت واستحكمت وملكت وتملكت. وأغرت واستحوذت ألا ترى الجماد يعبد من دون الله. الواحد القهار الملك الجبار قال إبليس بلسانه: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾.

أين الأنس بالمعنى دون المادة؟ أين الفرار إلى الخالق دون المخلوق؟ أين الأنس الصافي دون الجمود الجافي؟.

جوارحك تترجم أنها لا استغناء لها عن الركون إلى الصانع. والزهد بالشرع دون الشارع.

حبيبي اسجد واقترب وتخشع وانتصب. من أنت في ملكه ذرة رمل. أو خطرة عقل؟ ما أضعفك بقوتك. وما أقواك بقوته؟ فكن ضميره ولا تكن ضميرك هو أرجأك بحلمه. وعرفك رجاءه لما حجبك عن حقيقة جلاله.

وخوفك بعلمه وعرفك خوفه لما حجبك عن حقيقة جماله.

فكن عبد المعنى ولا تكن عبد الحس. حينذاك تفهم لغة المليك. وإلا فأنت المحجوب بعينه ألا تفهم يا ضعيف.

غَابتْ رسومُ شواهدي لما رأيتُ خيامهمْ
وفنيتُ عن بشريّتي لما سمعت كلامهم
وعدِمتُ رسم حقيقتي لما شربتُ مدامهم

وصل غرامي

أين الأنس لا أنس. ما الأنس ما أدراك ما الأنس؟

ليس الأنس في الخلوة أو الجلوة أو الفكرة أو العبرة أو النظرة بل ربما في أضداد هذه المعاني. أو أنغام تلك المغاني.

دعنا من كل هذا. ولا تقل لماذا؟ ولا تبحث عن السبب. وتكثر العجب. فهنا يضيع النسب. ويلغى الأدب.

فإن كنت من أهل العناية. والدراية والرواية فاثقب العذراء. وكن جوهراً محضاً. لا عرضاً صرفاً. وتكلم بالمعنى لا اللفظ حتى لا تسقط من نظرنا فتخرج عن مرامي فهمنا. فمن تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

لو علموا حقيقة الأنس لما أنسوا. أيها الآنس يا أنيس الجليس. إلى متى تشرب وأنت لم تزل ظمآن. غير ريان. وإلى متى تناجي يا قمر الزمان. وإلى متى في شهودك على بساط إنسه سكران. تمتع وعلى بساط الأنس تربع. أنت في مقعد صدق عند مليك مقتدر يقال لك: ﴿ **إنك اليوم لدينا مكين أمين** ﴾.

أراكَ تزيدُ في عيني جمالا وأعشقُ كلَّ يومٍ منك حالا
تزيد مَلاحة وأزيد عشقاً فحالي فيك ينتقل انتقالا

مخاطبة من روح القدس

من الأنيس يا ترى ومن المأنوس به؟ أنت أم هو؟ هو أم أنت؟ دعنا من الوصف والموصوف. والرصف والمرصوف. ليتني لم أعرفه حياءً منه. وليتني لم أخلق. ليتني كنت قشة. أو تبنة أو لبنة. أو صخرة منسية في فلاة مهجورة.

أي روحي بل روح الروح إن فخري بك كبير وفخرك بي أكبر. أي أنسي وأنيسي وملكي ومليكي فلا تفخر إلا بي.

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا   وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

إلى متى يا عبد وأنت في وادي الهجر شارد عنه هو يدعوك إليه أن أقبل يا عبد مرحى طوبى لا أنساك وإن كنت أنت الناسي. لا أجفوك وإن كنت أنت الجافي القاسي.

ما هكذا عهدتك. وما هكذا عهدتني. فارجع يا مغاضب. أنا قادر عليك قد تركتك بإرادتي تغاضبني.

أيها الرباني الفرداني تزعم أنك بعت النفس لي. وفنيت فيَّ. فأين بيعك وقد وجب الشراء. إذا لم تسأم فإني لا أسأم. ولا أمل حتى تمل.

أي عبدي لو أطلعتك على كبريائي وعلو شأني وسلطاني. لكنت محقاً محقاً. فأين تكبرك فيَّ وعليّ.

شوقي إليك مجاوزٌ وَصْفي   وظهور وجدي دون ما أُخفي
يا ليت جسميَ كلُّهُ حَدَقٌ   حتى أراك وليته يكفي
ما دار ذكر منك في خَلَدي   إلا طرفتُ بدمعتي طَرْفي

فناء الآنس في المأنوس

لعمري سل الآنس من هو؟ وسل المأنوس به من هو؟ لأجاب الكل

بلسان الآخر. نحن شيء واحد.

ألا تقف أيها الخل الشجي. والحبيب القدسي. على بحار الرقة. فتنهل بذوق فريد. وطعم شهيد. من سلسبيل وحيد. هناك يطيب المزاج. ويقال لهم على لسان المأنوس به المتكلم بلسان الحضرة: ﴿سيهديهم ويصلح بالهم﴾.

ويقول لهم: أي شيء تريدون. وأي أمنية تتمنون. ألم أبيض وجوهكم وأوفى بعهودكم. ولم أخلف الميعاد معكم. وأعطيتكم الحسني وزيادة. والكلام معي والنظر إلى والتروي من جلال وجهي. وها أنتم خلود بلا موت فأي عطاء أكبر بعد هذا.

أي أحبائي إنَّ شوقي لكم مزيد طال انتظاري لكم. وبأي شيء ألقاكم إلا برضاي عنكم فلا أغضب عليكم بعد اليوم. في دار كرامتي. فتعالوا الآن فاشهدوا أفراحي. وشدة ارتياحي. وتنعموا بمحض الصفاء. وخالص النقاء لأقيمن لكم عرساً تحضره كل الأملاك. وتزينه كل الأفلاك. فافتحوا في قصور الجنان كل شباك.

ألا ترى يا صفي كل الجنان بقدومك تهتز طرباً. وأهل الحضرة سجدوا لك أدباً. والطيور الخضر قد خرجت من قناديل الذهب. وغردت وغنت من الطرب. هنا لا سجود لا ركوع لا قيام لا صلاة لا صوم. هنا دار كرامتي. خذ اللذة الخالصة. بلا تعب أو وصب أو كبد. فتعال حتى أناجيك على الكثيب. لتشهد ما لم تشهده في الدنيا والآخرة. بعد كشف الغطاء فتعال كلمني ناغني. واهمس في أذني. وأسمعني خُبْر تلك الأيام الخوالي. لأحقق لك الأماني. وقل فقد أذنت لك ولا تخجل:

لِمَ لا أُعرِّضُ باسم عَزّةَ إنّها أخذتْ عليّ مواثقاً وعهودا
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها خروا لعَزّةَ رُكّعاً وسُجودا

مخاطبة كاس فاض مما به

أيها الكاس قد فضت مما بك. وطفحت من حواليك. أيها الفخار الآني. والصلصال المتداني. يا عنوان الحق أيها اللاهوت والناسوت. لو علمت حق الأنس به لما كنت لغيره. وهربت منه إلى سواه. وتلذذت بلذة دونه. وتروحت براحة غيره. هو يدعوك بلسان أنس أنت لا تعرفه. ولن تفقه لسانًا من نفحات كنوز القدس. وخفايا الأنس هو يدعوك بصفاء لن تصفو به. حتى يرفعك إليه فترى معنى هذا الصفاء ومعادن مكنون النقاء.

أيها الخل الخفي. يا فائض مما تخفى فكفى إخفاءً. فقد انكشف المستور. ووضح المغمور. الست أنت القائل: الهجر أهون من عذابي في قربك. كي لا أرى يوماً أشقى فيه بحبك.

فتعال كي آخذ ثأر عشقي منك فأخلص كل الأيام الخوالي في ليلة واحدة. أي روحي ومالي روح. أنا أخاطبك الآن وأنا معك فيك. أسري في ذاتك وكلك لا غنى لي عنك ولا غنى لك عني. فتعال حتى نكون شيئاً واحداً بغير امتزاج. ونتحد بلا ازدواج.

خذوا حِذركُم من ساحرِ الطرفِ أغيد	فكم قتل العشاق عمداً ولا يدري
ولا تردوا ماءً بمدين حُبّه	فليس بها ما ينفع الهائم الصَّدي
ولمّا نزلنا واديَ الودّ لم أزل	أبلُّ ثراهُ لاثماً بتودّدِ
ونادى كليمُ الشوق مولاه ربه	فلما تجلى دُكَّ طُورُ تَجَلّدي
وخَرَّ فؤادي صاعقاً لم أفِق لما	بدا من سنا ذاك الجمال المحمدي
سألتكما يا أهل نجدٍ وحاجرٍ	على جمرات الوجد مَن هو مُنجدي
وكَمْ لَيلة أفْنَيتُ بالرشفِ ثغره	وبت وإيّاهُ كحرف مُشدّدِ

مناجاة الفردانية

ولما أوقفني في الفردانية على بساط شهوده شاهدته يناجيّ في فردانيته

فردانيتي فرد يناجي فرداً فقال لي: أنت المراد من بين الكثرة ولا عبرة بكثرة أنت الطالب والمطلوب والراغب والمرغوب فاعجب أنست عيني ودائرة شهودي. كنت معي في الأزل. وستكون معي إلى الأبد. أبد الآبدين ودهر الداهرين وخلود الخالدين. أنت فرد الوجود بهي الشهود. ليس في الوجود مثلك ثان. ولن يكررك زماني. فاحكم بحكمي وتكلم بلساني. وعظهم ببياني. الكل منطمس فيك. ذائب في عينك. أفخر ولا فخر فهو مقامك. ومن مقامك تفخر. تعالى حدثني عنك. وعن طويل جهادك وعزيز آلامك. وسهرك وجوعك وعطشك وتشردك في البلاد وغربتك. فلأغسلن تلك الآلام. ولأنسفنَّ خوالي الأوهام. فلا يشاركني فيك أحد. ولا يحكم فيك فرد بأخذ ورد. أنت شيخ الأحراز وأمير الأسرار. أي فردي ما لي أراك نحيفاً نحيلاً. ألا تأكل وتشرب وتهنأ وتمرأ. أنا أدرى أنك مجنون بي. مهووس في محبتي. مستهلك في مرادي. فانٍ في ودادي. فلأعوضنك بعوض ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أنا أدري أنك تعبت كثيراً. وتحملتني طويلاً ولم تشكُ لأحد. بل كتمت. وتجلدت فحقاً أنت من أهل القربة. فهنيئاً لك تلك الشربة. كم صمدت لاختبارات. وتصديت لابتلاءات. وضحكت في المعضلات.

فحقاً أنت الفرد الجامع. الجدير بهذا المقام. القادر على ارتقاء وظائف النظام. فعرض أو صرح ووضح أو لوح.

أنا معك في كل لحظة. وخطرة من البدء إلى المنتهى. وأنا الكلمة والمعنى. والغناء والمغنى. وكل ما خطر ببالك فأنا دون ذلك وأنا ما سوى الكل بل أنا ما دون العالم. لم تسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلبك. أتراك الآن يقنت هذا السر. ومفهوم النهي والأمر؟ حيرتك بالتنزيه فنزهتني بالتشبيه. ولا يرضيني تشبيه. فما نزهتني إلا بتشبيه. وهو عين التنزيه. وإلا فأنت إن لم تشبه تكن في مجاهل الأحدية. وألباس ذاتي الصمدية. فنزهني كيف شئت. وشبهني بحسن ظنك. فأنا عند حسن ظنك بي.

تجلت لنا الأنوار من وجهها الأسنى فشاهدتها سلمى وشاهدتها لبنى
وشاهدتها عيني ولم أك غيرها ولا عينها والكل من ذلك المعنى
ظهرنا بها فرقاً وجمعاً بنا بدت وهذا هو التحقيق والمشرب الأهنى
ولله أوقات حبتني شهودها بعلم وذوق أظهر بعض ما اكتنا
وما ثم غير باعتبار ظهورها فدعها بنا تبقى ودعنا بها نغنى
أخي أثبت الأعيان وانف وجودها وذق وحدة راقت لمن قد علا يهوى
ونزه وشبه واعرف الكل كي ترى عرائس جمع الجمع في الشهد الأسنى

عود إلى البدء

قال الشيخ رضي الله عنه ولما عدنا إلى بدء أنشدت على لسان الآنسين:

طاب وقت السماع يا ذا المغني وبه أثمرت غروس التمني
روّق القول كم تثير غرامي إنما أنت بالغنا تمتحني
كل ما في الوجود يرقص شوقاً وبه السوق نحو روض التهني
صاح إن غبت عن وجودي اشتياقاً وانزعاجاً وحرقة لا تلمني
إن شأن السماع والله شان قل لشانيه لست من أهل فني
إن ترد وصف فعله فهو نور مدهش مقلق ومغن ومدني
يجعل الكل بالشهود حيارى يا لها حيرة خلت عن تعن
حبذا أهله لديه نشاوى بل سكارى من غير خمرة دن
يا أسارى الغرام في كل واد ما أنا معرب ولست بمبني
مشرب المحو في العروج هجيري حضرة الجمع مشهدي وهي حصني
فاحتسوا خمرها على كل حال واخرجوا من خيال حال المثنى
وجرى بيننا قديم حديث لم أصرح به ولكن أكني
وهو والسر واحد يا مريدي مسفر عن وجوه سر التثني
وأديرت كؤوس خمر اتحاد في انطلاق والقيد قد طاح مني
يا لها حالة تجلى سناها حيث لا حيث بعد ذات لا تسلني

بـل أعني بـذكـر سلمى ولبنـى وبمن حـل في الربـا مـن أغنّـي

وبــذكــر الطـلا ونقــرات دف وحـديـث الغـرام في كــل فــن

وبـروق الحمــى وسكــان سلــع وبسجـع الحمام مـن فـوق غصــن

وابتسـام الزهـور والغيـث يبكــي وارو عنـد الكـرام مـا صـح عني

وإذا ذقــت مــن شرابي نصيبــاً فهو عين القبـول فـارقـص وغـن

لا تخــف بعــده ألـيم افــتراق فلـك الوصـل والوصـول اللــدني

محاكمة العساكر
الإلهية
«لتقي الدين بن تيمية»

الحمد لله في الآخرة والأولى مولى كل مولى.

أحمده على كل منة. وأستعيذ به من كل نقمة. سبحانه تجلى وترقى. وتحلى وتعلى. ملك لا نهاية لبدايته. ولا بداية لنهايته. إذا رضي عنك فأنت جميل فافعل ما شئت لكونك محل جماله. وقد قبل هذا الوصف فيك.

ألا ترى يا ولي الله بحار الشوق فاضت وغاضت وما فاضت. أهلاً بأهل الوداد. أصحاب النادي. فهذا ميدانهم فليجولوا ويصولوا. فهاهنا ساحة المحبوب. فهنا يعتدل المقلوب. ويتأوه المغلوب.

هنا تصح المكاشفات وتطيب المنادمات وتلذ المجالسات.

وتحلو مناغاه الحبيب. وإنشاد النسيب. وصلى الله على فتى الوجود وجمال الشهود. وعلى آله وصحبه وبعد.

فلما تجنى ابن تيمية على السادة الصوفية. وبقية الفرقة الربانية. أحببت أن أذب وأهب وأورد وأصد وأكد وأفي فجعلت ذلك في محاكمات والله ولي التوفيق.

المحاكمة الأولى

قوله: بمنع إهداء الثواب إلى حضرة النبي (ﷺ).

قلت: لعمري ما علمت من منع ذلك قبله من مشايخ الإسلام. ومن منع هذا من أتباعه استندوا إلى وجوه:

الوجه الأول: اعتقادهم أن النبي (ﷺ) صار لا تأثير له. كما حكى الحصني في كتابه الذي رَدَّ فيه على ابن تيمية أنَّ ابن أخيه سمع رجلاً يقول يا جاه محمد فقال له واحد من أتباع ابن تيمية لا تقول يا جاه محمد فإنه قد صار قفة عظام بالية.

وحياته وتأثيره في العوالم (ﷺ) غير محتاجة إلى إثبات نقلاً وكشفاً وذوقاً وعقلاً.

وأتباعه من الوهابية اليوم بأرض الحجاز ينكرون حياته (ﷺ) ويقول الرجل منهم للآخر أنت إذا اجتهدت وصليت وصمت صرت مثل محمد.

الوجه الثاني: اعتقادهم أن جانبه الرفيع (ﷺ) لا يتجرأ عليه إلا بما أذن فيه وهو الصلاة عليه وسؤال الوسيلة له.

وهذا قول ابن تيمية بلفظه. وهذه حماقة لكونه (ﷺ) غني عن ثواب العالمين.

أما مقامه عليه السلام ففي غني عن ثواب أهل الأرض جميعاً من بدء الساعة حتى منتهى الدنيا وثواب المثابين في كل هذه المدة لا يعدل ثواب ركعة صلاها رسول الله (ﷺ).

فإذا أهدى المهدي فإنما يهدي لنفسه لا غير عن طريق الحضرة. فيرتفع مقام المهدي لا مقامه (ﷺ) ببركته عليه السلام لكونه مطلعاً على صعود الأعمال.

فإذا استحضر المهدي حضرته كان خيراً من عدم الاستحضار.

فمثل هذا لا يحتاج إلى إذن خاص فهذا عبدالله بن عمر اعتمر عنه (ﷺ) عُمَراً بعد موته من غير وصية.

فهذا ابن الموفق حج عن النبي (ﷺ) سبعين حجة وهو من طبقة أبي القاسم الجنيد.

وهذا ابن السراج ختم عن حضرته (ﷺ) أكثر من عشرة آلاف ختمة وضحى كذلك.

واعلم يا ولي الله أيدني الحق وإياك بروح القدس أنه (ﷺ) مفاخر لا محالة يوم القيامة النبيين والمرسلين بما أهدى إليه فخر مقامهم لا مقامه. وهو مرفوع بهم وهم مرفوعون به لعزته وعزتهم عند الله. لكونه أكرم نبي ورد على الحق تعالى وهم أكرم أمة وردت ساحة الحق تعالى. قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾. فلعمري لا ينكر فضل الهدية إلى حضرته إلا محجوب. وهذا ما بلغ ذوقنا في مقام الهدية.

المحاكمة الثانية

قوله: بإثبات جهة الفوقية للحق تعالى ومن أتباعه من يثبتها له ولا زالوا.

قلت: استدل ابن تيمية في ذلك هو وابن عبد الوهاب بحديث الجارية.

فقالوا: هو فوق العرش مستوٍ حقيقةً بذاته حتى قال لي أحدُ أتباعهم في قاهرة المعز: إنَّ الله بذاته في السماء كما يقول شيخنا ابن تيمية وإذا كان هذا رأي ابن تيمية وابن عبد الوهاب فهم كفار لكونهم فصلوا الذات عن الصفات. وفرقوا الحق تعالى عن مستحقاته. وهذا لم يقل به أحدٌ من أئمة الشرع لا سلفاً ولا خلفاً.

بل هو تعالى موجود معنا في كل مكان بذاته وصفاته. وهذا مذهب السلف والخلف. وقد حكى الأشعري من العجائب ما يذهل في كتابه «مقالات الإسلاميين».

وما علمت من فصل الذات عن الصفة قط سواهم. واعلم أيدني الله وإياك

بروح القدس أن الدليل العقلي قائم في المخلوقات دون الخالق على عدم انفصال ذواتهم عن صفاتهم. لكون الصفة عين الموصوف ولها تعلق بها لا ينفك. وهذا معلوم لنا بالذوق فهل يثبت جمالك إلا ذاتك ووجهك. وهل يثبت كرمك إلا ذاتك ويداك. فكيف تنفك الصفة في الخالق الأعظم عن الذات. فالخالق أولى من المخلوق.

ومن النكات البديعة في هذا الشأن أقرب المواطن للحق. فكيف يكون أقرب المواطن إليه تعالى في جهة سفلى. وهذا يعلمنا به جل جلاله كونه موجوداً في كل مكان بذاته وصفاته. ويبرهن به أنه لم يكن موجوداً في العلو أكثر من الهبوط. بل الأمر سيان.

المحاكمة الثالثة

قوله: بتقسيم النزول إلى ثلاثة أنواع:

«الأول»: نزول مقيد بأنه من الله.

«الثاني»: نزول مقيد بأنه من السماء.

«الثالث»: النزول المطلق غير المقيد بمبدأ.

وقوله: إن نزول الرب يجب أن يحمل على حقيقته لا مجازه لإنكاره المجاز.

وقوله: إن العرب تستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أحد أنزل النبات ولا أنزل المرعى وإنما استعمل ذلك فيما خلق في محل عال وأنزله الله من ذلك المحل إلى السفل كإنزاله الحديد من أعالي الجبال وكإنزال الأنعام من بطون الأمهات.

ومن ثم ربط ابن تيمية النزول اللغوي بالنزول الإلهي.

قلت: أورد هذا ابن تيمية في رسالته المسماة «التبيان في نزول القرآن»

وفي رسالة «شرح حديث النزول». وما علمت أحداً في السلف والخلف قسم التنزل الإلهي سواه.

وفصل نزوله عن إنزاله. وإذا تم الفصل بطلت القدرة لكون اللغة ليست حجة على خالقها. فهو علمها لآدم. فليست اللغة حجة على صاحب اللغة.

وإذا حملنا النزول على حقيقة النزول اللغوي المربوط بالأجسام وأزلنا المجاز فقد كفرنا كفراً صريحاً.

ولكننا نحن ننزهه سبحانه وتعالى. فعوالم نزوله جل جلاله عوالم تتيه فيها معاني اللغة. وأرباب اللغة في هذا الميدان لا صول ولا حول لهم. إلا إذا حكموا البصيرة النافذة. هناك يسري السر ويعلمون حقيقة النزول المطلق المتحقق.

واعلم يا ولي الله أن الحق تعالى لو كشف لنا عن حقيقة نزوله لكشف لنا عن حقائق ذاته ونفسه وهذا لا ينبغي لنا في هذه الدار.

وكل خوض بغير تنزيه له فهو جهل محض.

ولو كانت الأرض ككرة وبداخلها رجل لاستطاع إنزال أي شيء من أي جهة سواء فوق أو تحت لكون الأرض كروية وتدور حول نفسها ومحورها كل أربعة وعشرين ساعة مرة فينقلب النظام العالي والسافل بدورانها ولكن لا شعور لنا بدورتها. ولا بجهة التغير. والمعبر عن ذلك الفصول والليل والنهار. وقد اقتضت الطبيعة المخلوقة جنس النزول ولكن لم يفقه ذلك أهل الحجاب.

فلما كان الزرع لا ينبت إلا في الأرض لم يطلق عليه أهل الطبيعة أثبتت اللغة ولكن ذلك ليس محالاً في لغة الحق تعالى الباطنية. كونه ينزل من السماء زرعاً ونباتاً. وجهل هؤلاء هذا المقام وقاسوه بالعلو والهبوط. ولو فقه المتكلم في شؤون الحق تعالى اللغة لما قاس بها ربَّ اللغة. بل يثبت الحق تعالى بما استطاع منها لكونها حقائق إثباتية له لا تعارض قدرته وإلا سقطت نعمته. لكون قدرته أعظم منها. فهي جزء من قدرته تعالى. لا قدرته جزء منها.

ولذلك وجب إثبات المجاز في اللغة حقاً في أمورها الكنهية. وإلا سقطت قدرتها وفصاحتها. وعظم جمودها وانحصارها.

المحاكمة الرابعة

قوله: بإنكار المجاز من اللغة والقرآن.

قلت: لم نرَ من أنكر مجاز اللغة سلفاً ولا خلفاً وإنما لم يقسم السلف اللغة إلى حقيقة ومجاز. كما أنهم لم يكونوا يعرفون النحو حتى وضعه لهم أبو الأسود.

وكما أنهم لم يكونوا يعرفون العروض حتى وضعه لهم الخليل. فالاستحداث ليس مستنكراً. وقد صنف أبو عبيدة كتابه « مجاز القرآن ». وتحدث الشافعي في رسالته عند قوله تعالى ﴿**واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر**﴾ فلما قال إذ يعدون في السبت دل على أنه إنما أراد أهل القرية لأن القرية لا تكون عادية.

وتكلم أحمد بن حنبل في كتابه « الرد على الجهمية » على قوله تعالى: « إنا، نحن » الواردة في القرآن فقال: إن هذا من مجاز اللغة كما يقول الرجل: إنا سنعطيك كذا أو إنا سنفعل كذا. وهو يتحدث عن نفسه.

واحتج به أبو يعلى وابن عقيل من أتباعه أنه أول وقال بالمجاز. وقد قام الإجماع على أن اللغة تحوي المجاز والحقيقة.

ووضع الزمخشري جار الله كتابه « أساس البلاغة » وذكر فيه المجاز. ووضع ابن حجر كتابه « غراس الأساس » وذكر فيه المجاز ومجازات أخرى دون التي ذكرها الزمخشري هو أضافها. قال السيوطي في كتابه « الإتقان في علوم القرآن »: إنَّ المجاز لو سقط من القرآن لسقط منه شطر الحسن فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب حذف التوكيد والاستعارة والكناية والتشبيه. وألف سلطان العلماء ابن

عبد السلام كتابه المشهور الذي يعترف فيه بالمجاز ولخصه السيوطي وسماه «مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن». وبالجملة لو أنكر أهل الأدب المجاز في القرآن. لما اشتقوا منه البلاغات والبديع المحشوة بها كتبهم كالجرجاني وأسامة بن منقذ والسكاكي والخطيب القزويني وابن سنان والتفتازاني وابن رشيق القيرواني وأبي هلال العسكري وقدامة بن جعفر وأبي علي القالي وغيرهم.

قال ابن تيمية في كتابه المسمى كتاب «الإيمان»: تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من الأئمة الأربعة وإن هذا التقسيم إنما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة وما علمته موجوداً في المائة الثانية اللّهم إلا أن يكون موجوداً في أواخره. انتهى.

وهذا قياسه باطل لكون الصحابة لم يظهروا كثيراً مما أظهره السلف من التابعين كإظهارهم لتدوين الحديث وعلم النحو والعروض وعلم الرجال والجرح. وإلا كانت هذه العلوم كلها باطلة لكون النبي (ﷺ) لم يظهرها هو وصحابته. وأظهرها من بعده من التابعين.

أي ولي الله. ولو أنكرنا المجاز لأنكره موسى النبي الولي الصديق. لما جاء إلى الخضر. فعلمه من مقاصد المجاز ما حيره فذاك قول الحق تعالى فيه: ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾. لكون المظاهر خادعات. فالصبر على ما بطن من معاني المجاز شاق لكونه من علم الباطن.

لهذا كان موسى يتكلم على الظاهر والخضر يؤوّل له ما لا يخطر ببال. فأين الحقيقة من المجاز يا ولي. وقد فصلنا هذا في كتابنا المسمى «تكملة الفتوحات المكية».

وهل النبي له من مقاصد المجاز كالولي أو كالصحابي وإلا تساوى الكل في ميدان الفهم القرآني ويرى كلاً يستمد على قدر تسليمه الذوقي. فيستخرج

من المظاهر دلائل المجاز المحيرة. وبطائن المجاز التي هي للمظاهر مغيرة.

المحاكمة الخامسة

قوله: بإنكار التأويل في القرآن.

قلت: والتأويل القرآني لو أنكر لصار القرآن جامداً لا جمال فيه. وهذا يا أخي لكون التأويل يحرك الجامد. ويظهر المخبىء من الجمالات والكمالات. التي لا تتم إلا به.

لهذا صار المحجوب لا ظاهر له في هذا الفن. لجمود حسه ومعناه. لذا قال شيخنا الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي قدس سره: فظاهر الشرع ليس إلا نصيب العامة من الناس وأصحاب النظر الفكري كما أن الأنبياء إنما خاطبوا عوام الخلق بلسان الظاهر في حين أنهم يرمزون إلى أهل الكشف والعرفان بأن وراء هذا الظاهر باطناً خاصاً لهم وحدهم. اهـ.

وقال في موضع آخر: وأهل الظاهر لسانهم ليس لساننا وأن المعرفة التي يهبها الحق تعالى لمن شاء من عباده يهبها الحق تعالى لمن شاء من عباده لا يستقل العقل بإدراكها بفكرة ولكن يقبلها ولا يقوم عليها دليل ولا برهان لأنها وراء طور مدارك العقل. اهـ.

ورأيت من ابن تيمية عجباً هو وأتباعه في رفضهم للتأويل. ولا بد لهم من تأويل رغم أنفهم وإلا دخلوا في دائرة الكفر. فإذا قرأ قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ وجب عليه أن يؤوّل اليد بالقدرة وإلا لو حملها على ظاهرها وقال هو له يد من لحم ودم كيد البشر لكفر.

ولو قرأ قوله تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ ولم يؤوّل وقال له وجه كوجهنا لكفر. وقد كان جماعة من الحنابلة وأصحاب الحديث كابن خزيمة في كتابه «التوحيد» يحملون ظاهر نصوص التوحيد بدون تأويل.

وقد هاجمهم ورد عليهم الحافظ ابن الجوزي في كتاب «رد التشبيه بأكف التنزيه» فمن جملة أقوال بعض متأخري الحنابلة: إثبات الوجه للحق تعالى بدون تأويل. إثبات اليد للحق تعالى بدون تأويل. إثبات الأصابع للحق تعالى بدون تأويل. إثبات القدم للحق تعالى بدون تأويل.

وهذا كله يعارض مذهب السلف والخلف في التنزيه. ورأيت أهل الفصاحة كلهم يؤوّل وقلَّ منهم من ينكره حتى أن تلاميذ ابن تيمية أثبتوا التأويل.

فهذا ابن كثير وهو تلميذه يقول: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿قال يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل﴾.

الثاني: التأويل بمعنى التفسير والبيان كقوله تعالى: ﴿نبئنا بتأويله﴾ يعني تفسيره. اهـ.

المحاكمة السادسة

قوله بإنكار زيارة الرسول (ﷺ) وشد الرحال إليها. لمجرد الزيارة.

قلت: وهذا القول والفجور أول من اخترعه في تاريخ الإسلام ابن تيمية وهذه جرأة منه على حرمة رسول الله (ﷺ). وأظنه قد جوزي بها. حتى أن المعتزلة والمجسمة والجهمية والمرجئة لم يقولوا بما قال هو به. وكفى أن حرمته ميتاً كحرمته حياً بل ظهر لنا من دلائل مقامه بعد موته (ﷺ) من مقامه وبركاته أعظم.

وقد روى الدارقطني وابن ماجة عن النبي (ﷺ) أنه قال: «من زار قبري بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي».

وقد ورد عن ابن تيمية أنه قال: وأما ما يذكره بعض الناس من قوله (ﷺ): «من حج ولم يزرني فقد جفاني» فلم يورده أحد من العلماء. اهـ.

فقد خرج هذا الحديث أبو سعيد النيسابوري في كتابه « شرف المصطفى » من حديث علي رضي الله عنه.

ورواه ابن النجار في « الدرة الثمينة ». ولو أنه (ﷺ) حي الآن فهل زيارته حرام. وقد كان يذهب إليه الذاهب من أقصى اليمن حتى يسأله وقد جاء إليه أبو ذر من بلاد بعيدة وأسلم على يديه. ورجع إلى أهله.

وجاءه أبو موسى الأشعري من أقصى الجزيرة وأسلم. وجاءه عدي بن حاتم الطائي من بني طي وأسلم. وشدَّ الرحال إليه عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة ولحق به.

ولا زالت الوفود تشد الرحال إلى حضرته الشريفة وهو حي ولم ينكر عليهم شيئاً حتى توفاه الحق تعالى. وكتب السيرة مليئة بأخبار الوفود التي كانت تسير إليه (ﷺ) من أقصى الجزيرة العربية.

فإذا كانت حرمته (ﷺ) ميتاً كحرمته وهو حي. فشد الرحال بالنسبة إليه وهو ميت كشده إليه وهو حيٌّ لا غير.

ولم أعلم من حرم شدَّ الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين. ولكن حرم بعضهم كالجويني شد الرحال إلى زيارة القبور مطلقاً لا الصالحين على التعيين ومن ذلك قول ابن تيمية: إن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله (ﷺ) ولا استحبَّ ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولإجماع الأمة. اهـ.

وهذا القول ما قاله أحد سوى ابن تيمية من قبل. وعلى منهاجه أتباعه.

وقد روى ابن عساكر والحافظ عبد الغني المقدسي في كتابه « الإكمال » في ترجمة بلال خبر زيارة بلال للقبر النبوي وسفره من الشام إلى المدينة لأجل الزيارة.

قال الحافظ المِزي: وسبب سفر بلال رضي الله عنه لزيارة قبر النبي (ﷺ) أنه رأى النبي (ﷺ) في المنام فقال له: «ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورني يا بلال»؟ فانتبه من نومه حزيناً فقعد على راحلته من حينه وقصد المدينة فأتى قبره (ﷺ) فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما إليه فجعل يضمهما ويقبلهما، ثم قالا: يا بلال نشتهي أن نسمع آذانك الذي كنت تؤذن للنبي (ﷺ) في المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فلما أن قال الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا أبعث رسول الله (ﷺ) فما روي يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله (ﷺ) من ذلك اليوم.

المحاكمة السابعة

قوله: بأن القرآن حادث.

قلت: وقد تجنى ابن تيمية وقال إن كلامَ الله حادثُ الأفراد وليس قدمه إلا بالنوع أي أن كل فرد منه حادث وقبله حادث وقبله حادث وهكذا فهو مجموع حوادث لا أول لها. والقول بأنَّ الكون قديم النوع حادث الآحاد لا يعرف في الكتاب ولا في السنة ولا عن الصحابة ولا التابعين وأول من قال ذلك الفلاسفة من اليونان الذين ينكرون التدبير الإلهي والعياذ بالله من الكفر وهم الضالون. فإن الحادث لا بد له من محدث وبالضرورة لا بد له من انتهاء سلسلة الحوادث إلى القديم غير المحدث ولا بد من تقديم القديم على مجموع السلسلة مهما طالت تقدماً ذاتياً لا يتقيد بزمن وفي قولهم بحوادث لا أول لها تضارب حيث جمعوا بين الحدوث والقدم في واد واحد فوقعوا في التناقض.

وهذا الرجل المفتتن المغرور حمل راية بدعة القول بحوادث لا أول لها بين

المسلمين وزعم أن القرآن حادث والإنجيل حادث والتوراة حادثة وعلى هذا القول الباطل فالكتاب المنزل فرد حادث من سلسلة حوادث لا أول لها في زعمه وقد ضل به كثيرون وقلدوه تقليداً أعمى للاسم الذي يغرّ به الناس وهو أنه يتبع السلف وهو في الحقيقة يستدبر السلف.

وقد رأيت في كتاب قرره قوم في بلاد غير مصر في مدارسهم الرسمية هذه العقيدة يدرسها الطلبة في السنة الثانية وهم يعادون الإمام الغزالي لأنه نص على كفر الفلاسفة في ثلاثة أمور: (إنكار العلم بالجزئيات والقول بحوادث لا أول لها وإنكار حشر الأجساد) والصورة التي وصفها ابن تيمية في كلام الحق تبارك وتعالى هي أنه قادر على الكلام ويتكلم بكلام حادث ويسكت وهذا هو عين الجهل بالله فإن البشر كذلك ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾. وقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾. أي بالنسبة لهم فإنهم لم يعلموه من قبل ومستحيل أن يكون محدثاً بالنسبة له سبحانه وقد أجمع السلف على ضلال ابن دؤاد وهو سلفهم في الاستدلال.

ومن جرأة ابن تيمية أن ينسب هذا القول إلى أصحاب الرسول (ﷺ) وهم منه بريئون وقد كذب على رسول الله (ﷺ) ولا شك أنه مكذوب عليهم رضي الله عنهم وقد كتب قوم من الحنابلة مثل ابن الجوزي في تبرئة الإمام أحمد من التشبيه وغيره. وليس من المعقول أن السلف لا يفرقون بين الكلام القديم والحادث.

والقول بالقدم النوعي كلام تافه يدل على نفاق في أهله فإنه ينطبق على كلام الخلق.

المحاكمة الثامنة

قوله: بفتاوى فقهية من المفردات والغرائب التي حوكم بسبب بعضها وسجن ومات لأجلها وقد ذكرها ابن عبد الهادي في «العقود الدرية».

قلت: وقد خالف ابن تيمية بكثير من فتاويه الأئمة الأربعة جميعاً بل قد يخالف أحياناً القوم سلفاً وخلفاً مدعياً الاجتهاد المطلق. وأحياناً يخالف إمام مذهبه أحمد بن حنبل فيما خالف فيه:

«القول» بقصر الصلاة في كل ما يسمى سفراً طويلاً كان أو قصيراً كما هو مذهب الظاهرية.

«القول» بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة كما هو في حق القارن والمفرد.

«القول» باستبراء المختلعة بحيضة وكذلك الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث تطليقات.

«القول» بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين أي مثل إماء أهل الكتاب.

«القول» بجواز التيمم مع وجود الماء لمن خاف فوات العيد والجمعة أو وقت صلاة أخرى من المكتوبة إذا استعمل الماء.

«القول» بتوريث المسلم من الكافر الذمي.

«القول» بعدم وقوع الطلاق بالحلف به إذا حنث وليس على الحالف حينئذ إلا كفارة اليمين. وقد وقعت له بلايا لأجل هذا القول حتى سجن.

«القول» بأن طلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع إلا واحدة.

«القول» بأن المرأة التي لا يمكنها الاغتسال في البيت أو شق عليها النزول إلى الحمام لها أن تتيمم وتصلي.

«القول» بأن تارك الصلاة عمداً لا قضاء عليه ولا يشرع له القضاء بل عليه الإكثار من النوافل رجاء غفران الله له.

«القول» بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلّي وغيره كالخاتم ونحوه بالفضة متفاضلاً وجعل الزيادة في الثمن في مقابل الصنعة.

« القول » بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير قليلاً كان أو كثيراً.

قال ابن القيم تلميذ ابن تيمية في « زاد المعاد » لما تعرض لمسألة الطلاق:

وهذا لم يقل به أحد من الصحابة ولا الأئمة الأربعة. اهـ.

وقال الصنعاني صاحب « سبل السلام »: رأى ابن تيمية مخالف للأئمة الأربعة وكبار المجتهدين. انتهى.

المحاكمة التاسعة

قوله: بانقسام التوحيد إلى قسمين:

« النوع الأول »: توحيد الربوبية

« النوع الثاني »: توحيد الألوهية.

قلت: ما علمت منذ بعث نبينا (ﷺ) حتى يومنا هذا من قسم التوحيد إلى صنفين من التوحيد إلا ابن تيمية وأتباعه. وهذه بدعة صريحة لم ينطق بها رسول الله (ﷺ) ولا كتاب الله. حتى قال قائلهم إن النوع الأول وهو توحيد الربوبية بمعنى أنه صانع العالم واحد لا شريك له. وهذا التوحيد كان معروفاً لدى مشركي العرب. ويحتج بقول الحق تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ ثم يقول قائلهم وأما توحيد الألوهية هو ألا يعبد مع الله غيره. وهو يتضمن النوع الأول. فكل توحيد للألوهية هو توحيد للربوبية.

ثم يدَّعي مدعيهم أن هذين النوعين من التوحيد لم يهتد إليهما إلا ابن تيمية دون أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً.

وأن القوم كانوا في جهل عن توحيد الألوهية قبل وقت ابن تيمية. وهذا لب التوحيد وجوهره.

قال ابن تيمية بلسانه في كتابه «منهاج السنة»: وأدلة المتكلمين على الوحدانية لا ترقى بحال إلى تقرير هذا النوع من التوحيد الذي هو مناط الإيمان بالله والذي هو غاية التوحيد الذي أراده الله ورسوله. اهـ.

وهل يا ابن تيمية أخفى نبينا شيئاً من أصول التوحيد على الصحابة حتى جئت أنت فكشفت هذا الكنز الثمين.

وهل نطق أحد من الصحابة والسلف الذين تدّعي أصلك منهم وهم من مذهبك برآء بأن التوحيد نوعان إلا سواك.

ومن عجيب الأقوال أن التوحيد واحد عند الله ورسوله والصحابة والتابعين وأئمة أهل السنة. ولم يجعلوا نوعاً للمشركين ونوعاً للمسلمين.

ولمَ سُمِّيَ توحيداً إذا كان شيء منه للكفار؟. وهل الكافر موحد؟ أم يسمى في عرف أهل الكلام إقراراً دون فعل؟ فهل يكمل توحيد إلا بإقرار وعمل؟ أم أنت تفصل الكلام والإقرار عن العمل؟. وجعلت يا ابن تيمية توحيد الربوبية أصغر في المقام من توحيد الألهية.

وهل توحيد فيه أصغر وأعلى في النوع أم في المقام.

ولما قال شيخنا محي الدين بن عربي بإيمان فرعون كذبه أحد أتباعك وكذبته أنت فقد كذبك إذن وكذبت نفسك ونحن ما علمنا أن التوحيد إلا نوعاً واحداً وهو توحيد رسول الله الذي جاء به والرسل من قبله أما مقامات الموحدين فلا حَصْرَ لها كل على قدر عمله ويقينه وإخلاصه.

المحاكمة العاشرة

قوله: بمنع التوسل بالنبي (ﷺ) وكل من مات من صحابي وولي.

قلت: والذي نفسي بيده ما علمت من تجرأ على الحضرة النبوية الشريفة

في تاريخ الإسلام سوى هذا الرجل.

وقد بحثت في التواريخ وطالعت ما ينوف على عشرين ألف كتاب وما رأيت من حرم هذا الفعل الشريف. وأظن أنَّ هذا الرجل قد أتلفه الله بتجرُّؤه على المقام النبوي المصون. ولا زالوا أتباعه في ديار الإسلام ينشرون هذا المذهب الفاسد. ويفرحون به أيما فرح لعنهم الله. إن كان هذا مذهبهم.

ولا زال كبار المحدثين والفقهاء والمجتهدين على زيارته والتوسل به (ﷺ) حتى أحدث هذا القول ابن تيمية. والذي يحير أنَّ من يتبع هذا الرجل فتية صغار لا علم لهم بالدين فيضلون برأيه. ويضلون العامة.

حتى يقول قائلهم: أنت إذا اجتهدت صار مقامك مثل مقام النبي وصحابته. ولعمري صدق الغزالي عندما قال: اللهم ارزقنا إيماناً كإيمان العوام.

وقد هاجم كثير من العلماء القدامى ابن تيمية وتبرأوا منه أمام الله لعداوته لرسول الله (ﷺ) وإنقاص قدره الشريف منهم إمام عصره وشيخ ابن تيمية تقي الدين السبكي وعز الدين بن عبد السلام والسيوطي وابن حجر الهيثمي والإمام تقي الدين الحصني والشعراني وابن دقيق العيد. وغيرهم كثير.

ولا يلاقي هذا الرجل كل يوم إلا كراهية أعظم في صدور الربانيين.

وقد ألف أحمد تيمور باشا كتاب «الآثار النبوية» وتكلم فيه على النعل النبوية. وذكر تقبيل الحفاظ لها واستشفاء العامة بها. قال هذه النعل توجد بدار الحديث الأشرفية بدمشق.

وذكر كثيراً من أشعار الحفاظ والمجتهدين في النعل. ووضعها على أعينهم والاستشفاء بها وحملهم لها ووضعها على رؤوسهم.

ونحن مذهبنا التوسل لا بالنبي فقط بل بآثاره كذلك كنعله ومكحلته وبردته وثوبه وعمامته وأظن أن نعل النبي (ﷺ) يفيد في الوسيلة خيراً من

مائة ألف رجل حي كابن تيمية أو يزيدون.

ومذهبنا التوسل إلى الله بكل أثر شريف عن أي ولي مات أو صحابي. فكيف بالنبي. وقد كان إذا توضأ وتناثر ماء وضوئه اقتتل الصحابة عليه وعلى الفضلة.

وقد جمعت أم هانىء عرقه المبارك في قارورة فكان أعظم في رائحته من رائحة المسك. وكانت تستشفي به من بعده.

وكان الصحابة يقتتلون على شعره المحلوق إذا حلق (ﷺ) شعره. وشرب معاوية دمه كما ورد في الحديث وقد أقسم الحق بحياة النبي (ﷺ).

قال القرطبي في تفسيره: وقد أجمع أهل التفسير أن الحق تعالى أقسم بحياة النبي (ﷺ) تشريفاً له. وإذا أقسم الله تعالى بحياة نبيه فإنما أراد بيان التصريح لنا أنه يجوز لنا أن نحلف بحياته.

واستدل أيضاً من جوّز ذلك بأن أيمان المسلمين جرت منذ العهد النبوي إلى يومنا هذا أن يحلفوا بالنبي (ﷺ) حتى أن أهل صاحبه قال: احلف لي بحق ما حواه هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر يعني بالنبي (ﷺ) وكذلك بالحرم والمشاهد العظام والركن والمقام والمحراب وما يُتْلى فيه. انتهى قول القرطبي في تفسيره.

المحاكمة الحادية عشرة

قوله: بعدم تأثير النبي أو الولي أو الصحابي بعد موته في العوالم.

قلت: وهذا ما قاله إلا لقوة حجابه وانطماس بصيرته. وإلا فلمَ ينكر التوسل بالنبي والولي. إذا ماتا.

وهذا وقع لظنه وقوع الموت على الروح إذا الروح النبوي الشريف متصرف في العوالم من بعده. والدلائل تثبت أكثر مما تحصى.

ومن هذا الدلائل خروج اليد الشريفة للشيخ أحمد الرفاعي ومصافحة النبي له أمام جمهور الحجاج. حتى قال أبو الفرج بن الجوزي: إنَّ من ينكر الكرامة لا يستطيع إنكار ما وقع للشيخ الرفاعي لوقوعها أمام الحجيج.

وقال سلطان العلماء ابن عبد السلام: لم تثبت عندنا كرامة في تاريخ الإسلام مثل كرامة الشيخ أحمد الرفاعي. لكون الشاهد فيها أكثر من واحد. اهـ.

وقد رأيت الحنابلة أكثر الطوائف إنكاراً للكرامات إلا هذه الكرامة لتواترها. ومعلوم أن منكر الكرامة كافر. ولا يشترط عند جمهور أهل السنة وقوعها على يد حي بل ربما وقعت للميت. وكذا المعجزة كما وقع للعزير ولأصحاب الكهف. وكانوا في حالة موت.

وقد قيل لأحد مشايخي إنَّ هناك من ينكر الحياة النبوية؟. فقال هذا جهل لكون القرآن أثبتها للشهيد من بعد موته فكيف بالنبي. قال الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾.

ولما جمدت البصيرة في هؤلاء فقد ظنوا أنَّ جمودَ الجسد عند الموت يعني جمود الروح. بل هي أعظم تحرراً ونشاطاً لكون الغطاء قد انكشف والبصر قد صار حديداً ألا ترى أن النبي عليه السلام كيف خاطب أهل القليب فقال: يا أهل القليب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام واستمر يذكر من في القليب واحداً بعد واحد حتى قال يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً.

قال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً جيَّفوا فقال (ﷺ): ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

ولو علم حضرته (ﷺ) عدم تأثير الروح في العوالم لما خاطبهم. وعرّفَ

الحيَّ أنَّ الميت أسمع وأبصر وأقوى أثراً من الحي. فهذا سر المخاطبة النبوية يا ولي الله.

المحاكمة الثانية عشرة

قوله: بنفي المجاز جعله لا يؤوّل. وعدم تأويله جعله يضع الظرفية المتعلقة بالحق تعالى على ظاهرها. وكذا المجيء والذهاب الإلهي. وكذا الجهة الظاهرية المتعلقة بالحق تعالى. وكذا الاستواء. وجعله يعرف الصفات على ظاهرها.

وكذا صرف الاستواء على ظاهره وفصل الصفات عن الذات وكونه تعالى يوجد في مكان دون آخر. أي ليس موجوداً في كل مكان.

وجعله يصرف العلو والنزول والصعود الإلهي على ظاهره.

قلت: وهذا صريح مذهب ابن تيمية وَلْيطالع المطالع كتبه وَلْيَرَ العجائب: ودليل هذا ما يتمسك به الآن متبعوه من هذه الأقوال. حتى قال لي أحدهم: إن الله في السماء فقط لكونه قال عن نفسه: ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ وهذه الأقوال لا ترد إلى صريح مذهب أهل السنة إلا بالتأويل التنزيهي للجناب الإلهي. وقلَّ من يؤوّل من أتباعه بل هم عبيد المظاهر. أفراخ الحجاب. قد قتلهم العجب بشيخهم ابن تيمية.

وقد وردت في الحديث النبوي الشريف ألفاظ إذا لم تؤوَّلْ فقد كفر من حملها على ظاهرها. مثل لفظ: (المرض والجوع والعطش والضحك والتعجب والفرح).

ومذهب الأئمة الأربعة التأويل. دون الوقوف على ظاهر النص.

ولو سألت العامي عن هذه القاعدة لنزه وأول بفطرته وقال بالمجاز فيها. ولا يحملها على ظاهرها.

وبالجملة فمذهب التيمية والوهابية مذهب فاسد. لا يصلح لعوام المسلمين.

لخرقه وخروجه عن صحة مذهب أهل السنة والحق.

خاتمة

أما تعريض ابن تيمية لحرمة ساداتنا من الصوفية والقوم فحدث عنه ولا حرج. وقد دخل في النزاع معهم بلا ذوق ولا فهم لأصول مذهبهم. وأنكر عليهم في جملة من دقائق مذهبهم. هلك بسببها. والمنكرون على القوم قبله قليل جداً. ولم ينكر على الصوفية فيما علمناه ولا تجرأ عليهم رجل مثلما أنكر هو في تاريخ الإسلام.

ولا زال أتباعه إلى يومنا هذا أشد الناس عداوة للمتصوفة وحقدًا عليهم. ولكن وجدنا أن الحق تعالى لم يزل ناصراً لهذه الطائفة الربانية على مر السنين والدهور على من عاداهم.

ولما جهل المحجوب أسرار الصوفية فقد خاض فيما لا يعنيه. وتطفل على أسرار الخرقة فدخل دائرة الزندقة بجهله وعناده. إذ أن هذه الطائفة لها أسرار ورموز أخفت بها مواجيدها. ومعدن وصولها ووصالها.

ولا يفك طلاسمَ هذه الرموز إلا واحد شرب ما شربوه وتربى على موائد أحوالهم ومقاماتهم. فافهم.

أما من عتب على هذه الطائفة من حيث الظاهر فهو متطفل لا غير. منازع لهم دون جدوى. ولسان الحال يتكلم عن هذا الوصف. ولو فقه الفقيه منهم ما حوته «الرسالة القشيرية» وهي ألف باء التصوف ومصطلحه الشرعي والتحقيقي لعلم ذكاء القوم. أما من حارب المدعي المتصوف فقد حق له أن يحاربه ببدعة شرعية.

وأما محاربة الولي الحق فقد اكتسب من يحاربه هلاكاً بمحاربته إياه. وذاك قول الحق تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب».

ومما أنكره ابن تيمية على الصوفية ووقع في حقهم فيه: إنكاره على سادات القوم وأئمتهم كأبي يزيد البسطامي والحكيم الترمذي والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي والإمام حجة الإسلام الغزالي وابن سبعين وغيرهم. وينكر أتباعه في زمننا هذا على كل صوفي سمعت عنه الأذن. ومن تسافل أدبهم إنكارهم على أئمة التربية كأبي الحسن الشاذلي وأحمد الرفاعي والشيخ عبد القادر الجيلاني.

ومما أنكره ابن تيمية على الصوفية إنكاره لمصطلحات المتصوفة كالبسط والقبض والبقاء والفناء والجمع والتفرق والأنس والسكر.

وهذا ما علمنا من أنكره منذ وضع القشيري رسالته سواه بل هم مقابلون لمصطلح القوم بالترحاب. ووضع هذا المصطلح على الرأس والعين. ومقابلة هذا الفن بالأدب العالي.

ومما أنكره ابن تيمية على هذه الطائفة كون شيخهم علي بن أبي طالب كرم الحق وجهه وأنَّ هذا النسب مما أدعوه ولا يصح انتسابهم إلى أبي الحسن ولا عمر ولا أبي بكر رضي الله عنهم. وتابعه ابن خلدون في رأيه هذا في «مقدمته» وادعى أن أسانيدهم منقطعة وقد ألف في هذا المعنى الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني كتابه «البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي». وأثبت فيه أسانيد الصوفية إلى الصحابة كعلي وأبي بكر وعمر. رضي الله عنهم.

وما رأيت من أنكر الخرقة وسندها سوى هذا الرجل في تاريخ القوم. برغم إجماع الأمة على صحة نسب الخرقة. ولباس كثير من جهابذة الحفاظ لخرقة الإمام علي.

ومما أنكره ابن تيمية كونه ينكر على الإمام علي كرم الله وجهه. ويجرح طائفة من الصحابة رضوان الله عليهم. قال الحافظ في ترجمة ابن تيمية في «الدرر الكامنة» ما هذا نصه: وكيف لا يلزم بالنفاق مع نطقه قبحه الله بما

لا ينطق به مؤمن في حق فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (ﷺ) وحق زوجها أخي رسول الله (ﷺ) وسيد المؤمنين فقد قال في السيدة فاطمة البتول: إنّ فيها شبهاً من المنافقين الذي وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾. قال لعنة الله عليه: فكذلك فعلت هي إذ لم يعطها أبو بكر رضي الله عنه من ميراث والدها (ﷺ) أما علي عليه السلام فقال فيه إنه أسلم صغيراً صبياً وإسلام الصبي غير مقبول على قول. فراراً من إثبات أسبقيته للإسلام وجحوداً لهذه المزية وأنه خالف كتاب الله تعالى في سبع عشرة مسألة وأنه كان مخذولاً حيثما توجه وأنه يحب الرياسة ويقاتل من أجلها لا من أجل الدين وأن كونه رابع الخلفاء الراشدين غير متفق عليه بين أهل السنة. بل منهم من كان يربع معاوية وسماهم أهل السنة. اهـ.

ومما أنكره ابن تيمية على الصوفية إنكاره حياة الخضر وأن من القوم من التقى به ولبس عنه الخرقة.

وقد أثبت غير واحد حياة الخضر كالسيوطي في مؤلف له. وأبو العباس المرسي كان يقول: ما يحرجني من الناس إلا قولان: أن الحلاج كافر وأن الخضر غير حي اهـ. وتواتر لقاء الصالحين به ممن لا يكذبون ودل اليقين على صدقهم لكثرتهم وأنهم التقوا بالخضر وأخذوا عنه. كشيخنا ابن عربي وعبد القادر الجيلاني وقضيب البان الموصلي وأبي العباس المرسي وذو النون المصري فمثل هؤلاء لا يكذبون.

ومما أنكره ابن تيمية على القوم إنكاره خاتم الأولياء. وهذا علم لا شأن له به. لكونه لا يرقى إلى تذوقه إلا ولي. وليس هو بولي حتى يحكم فيه. لقوة قسوة قلبه على أهل الله.

وهذا علم لا يعلمه إلا خلصاء الله في الأرض وسادة المقامات.

ومما رمى به ابن تيمية القوم كونهم قالوا بوحدة الوجود والفناء في الحق

تعالى. فهذا أيضاً علم لا يعرفه المحجوب المعرض عن نفحات الحق تعالى التي لا يتعرض لها إلا سعيد.

وليس كل من هب ودب تكلم على هذا المقام السني والحال الجلي. وقد فصل شيوخنا مرادات القوم من وحدة الوجود والفناء.

ورأينا ابن تيمية ينكر على القوم الأحاديث التي يحتجون بها ويضعفها. ويقوّي لنفسه ما ابتغاه. كحديث «رأيت ربي في أحسن صورة» وقد رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ورواه الترمذي وأحمد. وابن جرير في تهذيب الآثار.

وينكر ابن تيمية علم الباطن. وهو علم الخضر عليه السلام. ويدّعي أن غاية العلم هو علم الفقهاء دون علم الذوق والحقائق والمعارف الربانية. وكيف ينكر علم الباطن لعمري وقد أجمع على وجوده جهابذة أئمة الإسلام. ويدّعي ابن تيمية أن رسول الله (ﷺ) ميت كأي ميت بحيث هو والحجر واحد سيان ولا تأثير له في العوالم لذا منع هو وأتباعه التوسل به. وكذا مذهبهم في الصحابة وسائر الأولياء.

أما أتباعه فإنك إن جالست واحداً منهم شممت منه رائحة الكفر. فقل أن يصلي على النبي (ﷺ). وإذا ذكر الله ذكره بكل صيغة ويندر أن يذكره بصيغة الصلاة على النبي (ﷺ).

ويمنعون زيارة الصحابة والأولياء الأموات ويتهمون من يزورهم بالكفر حتى قال لي واحد منهم إن من يزور الحسين بن علي والسيدة زينب كفار لأنهم عبدوا من دون الله آلهة. ويحاربون من يصلي على النبي بعد الآذن. ويحرقون كتب الصوفية ويطمسون معالمها.

كتاب
أصناف اللحية

الحمد لله الذي ميز عباده الطيب عن الخبيث ليقضي أمرًا كان مفعولًا. هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج.

وصلى الله على محمد فتى الوجود وغوثه. وروحه وبرزخه. وعينه وهيكله عروس القيامة وساقي المدامة. وعلى الآل والأصحاب الأطهار الأخيار.

وبعد.

فقد سألني سائل الطارق الإلهي الذي قيل فيه والسماء والطارق عن أصناف اللحية وأنواعها في زماننا هذا.

ولما اختلف القوم على شعر اللحية ونسوا ما هو أعظم من المعنويات الخلقية كالصدق والبر والأمانة فقد ضلوا وأضلوا.

ولعمري ما أتفه قومًا تمسكوا بالظاهر ونسوا باطن الشريعة وحقيقتها التي إن ضاعت ولم يتذوقوها فقد ضيعوا الدنيا والدين.

والأمر جَلَلٌ عظيمٌ. واللهِ لو علم هؤلاء ما يعلمه ولي من أولياء الباطن لضحكوا من أنفسهم ثم بكوا طويلًا حتى إذا نفذ ماء العين بكوا دمًا.

وقد علمنا أن ما حدث من فرقة المسلمين كان بسبب هجرهم لمعاني الأعمال القلبية.

فلا صدق ولا أمانة ولا حياء.

وزعم كل من التحى أنه مؤمن وعلى الحق وتداخلت الأمور وتعددت الأهواء وتشعبت الطرق وصار القوم في أمر مريج.

قال القائل: فما حكم اللحية في الشريعة يا حكيم القوم ولسان المتكلمين؟

قلنا: حكم اللحية عند الجمهور أنها سنة وردت عن رسول الله (ﷺ).

قال القائل: فما حكم حلقها؟

قلنا: حكم حلق اللحية عند الجمهور أنه حرام ونص البعض على الكراهة كالنووي والرافعي من الشافعية. وعند الأحناف يحرم حلقها وهذا وارد في «الدر المختار» «وفتح القدير».

وعند المالكية يحرم حلقها.

قال القرطبي: لا يجوز حلق اللحية ولا نتفها ولا قصها.

وقال الدسوقي في «حاشيته على شرح خليل». يحرم على الرجل حلق لحيته أو شاربه ويؤدب فاعل ذلك.

وعند الشافعية يحرم حلقها أيضاً وقد نص الإمام الشافعي في «الأم» على تحريم حلق اللحية وكذا نص الحليمي في «شعب الإيمان».

ونصَّ على ذلك القفال في «محاسن الشريعة».

وقال أبو شامة شيخ النووي: وقد حدث قوم يحلقون لحاهم وهو أشد مما نقل عن المجوس من أنهم كانوا يقصونها.

ونص الحنابلة على تحريم ذلك كما حكى ابن تيمية والسفاريني في «غذاء الألباب».

ونص المذهب الظاهر على تحريم ذلك كما حكى ذلك ابن حزم في «مراتب الإجماع» فقال: واتفقوا أن حلق جميع اللحية مثلة لا تجوز.

قال القائل: فهل كل المسلمين الذين في عصرنا هذا الحالقين للحاهم قد وقعوا في البدعة والحرمة.

قلنا: هذا يحتاج إلى تفصيل.

فإن لم تقع الشبهة عليهم فقد وقعوا في البدعة والحرمة إن حلقوا اللحى.

وإن وقعت الشبهة فلا بدعة ولا حرمة إذا حلق الرجل لحيته لأي عارض يعطله عن إقامة الفرائض. واللحية سنة أكدها النبي (ﷺ) مخالفة للمشركين وأهل الكتاب.

وبالجملة فإذا انتصبت علة تفسد دين الرجل كله وقيامه بالفرائض وهذه العلة تعلقت بسنة فترك السنة أولى من إضاعة الفرض. وهذه قاعدة معلومة عند الأصوليين.

قال القائل: كيف يصدر عنكم مثل هذا القول وقد نص الأئمة على تحريم الحلق؟

قلنا: اللحية في زمننا هذا صارت عادةُ الناس حلقها لعلل كثيرة. يحق لبعضهم بها حلقها ولا يحق للبعض ورسول الله (ﷺ) يأبى على أمته أن يقلبوا الواجبات عادات. فالكل تجب عليه الصلاة والصوم والزكاة مهما تغيرت معالم الزمان. فالواجبات لا تغيرها العادات والسنن التي وقعت في الزينة عن رسول الله (ﷺ) لا يبتدع الرجل بتركها. كلعق الأصابع بعد الأكل. وكالاكتحال ومثله إطالة الشعر كما كانت هذه من سننه (ﷺ).

ومناط هذا الأمر أن السنن التي وردت في الزينة وردت لأجل متعة الإنسان لا لأجل تعكير صفوه ومخالفة بني جنسه.

فالاكتحال في زمننا هذا ليس من عادات الرجال والعالم إذا اكتحل وجلس للوعظ سخر الناس منه. وطول الشعر ليس من عادات الأفاضل في هذا الزمن. وإن كانت هذه سنة رسول الله (ﷺ). وقد حكي عنه روايات

كثيرة في طول شعره. لما علم أنه سيأتي زمان منهم من يطول شعره لكون أهل أهل الزمان طول الشعر من عاداتهم.

ولما علم أنه سيأتي زمان يكون طول الشعر بدعة وليس من سننهم.

وهذا رسول الله (ﷺ) هو أذوق المخلوقات لمبادئ العادات. لا يقبل أن يكون الرجل متضررًا إذا أقام سنة. وقد صارت اللحية شبهة في زمننا هذا. قد يتضرر بها صاحبها فهل يرتضى لمؤمن شبهة وهو القائل: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

والآمن من شبه سنة ما يفعلها. وإلا فليتركها وليلزم الواجبات اللازمة وغيرها من السنن التي ملأت الكتب كسنن الصلاة والحج والصدقة وأداء النوافل والتوبة وتطهير القلب والأعضاء من شوائب النفس لكونها لا تدخلها الشبه. وقرأت في كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سئل: إذا أمر العالم بالمعروف ونهى عن المنكر وأوذي فما ترى؟ قال: إذا كان يعلم قبل أن يأمر وينهى أنه سيهان فليترك خيرًا له. لكون هوانه أعظم.

وهذه المشارب مثلها كمثل الداعية. فداع يدعو الناس وهو آمن فليَدْعُ وداع يدعو الناس وهو يسب ويشتم فلا يَدْعُ وليسكت صونًا لحرمة الإسلام.

ورأينا في زمننا هذا قومًا يقولون إن حلق اللحية كفر بالله.

ولا يصلون خلف رجل حلق لحيته ويرون أن حالق اللحية يجب أن يؤدب ويعزر ومنهم من يقول حالق اللحية ناقص الإيمان وهم واهمون فيما قالوه.

فليؤدبوا ملايين المسلمين الذين هم بلا لحى.

ولو دققنا في مجموع مسلمي الوقت لرأيناهم كلهم بلا لحى إلا النادر فهل يعزرون يؤدَّبون؟ وهل صلاتهم باطلة إن كان منهم أئمة بلا لحى؟ وإذا كانت جماعة المسلمين كلها بلا لحى وقد قال رسول الله ﷺ): «يد الله مع

الجماعة» فهل تؤدب هذه الجماعة على ترك هذا الفعل، وهي جماعة المسلمين؟ هل تؤدب جماعة على ترك سنة؟.

وقال قوم: إن حلق اللحية حياد عن سنة رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدين. ومن حلقها فإن النبي (ﷺ) غير راضٍ عنه وساخط عليه وهذه أوهام شنيعة. لا تسمن ولا تغني من جوع.

ونحن الآن سنوضح مقاصد الشريعة.

وهؤلاء المعارضون جهلوا هذه المقاصد فهم في سكرة.

وقد كان قديمًا يقال عن حالق اللحية مخنث وسافل وزنديق وخليع وماجن. لكون المسلمين كانوا كلهم لهم لحى إلا النادر.

وفي عصرنا هذا انقلبت الآية فالمجموع الإسلامي بلا لحى إلا النادر. وما دامت السنة المحمدية قد تركها جمهور المسلمين لتغاير الأزمان فلا يعزروا وإلا فالقول بتعزيرهم حماقة أما لو تركوا فرضًا من فرائض الشريعة ولو بحثنا في أصناف البدع والسنن التي في زمننا لرأينا أن حياتنا كلها بدع في بدع.

فهل ارتدى رسول الله (ﷺ) البنطلون والبدلة والكرافتة؟ فلِمَ يرتدي معظم المسلمين هذه الأشياء؟

لِمَ لم يتمسكوا بلباس نبيهم المحدد في السنة؟

وهذا القول مخالف لتقدم الأزمان لكون الحق تعالى يبدي من مبادئ اقتداره بلا كيف وتكيف وما لا يحصره رسول الله (ﷺ) لكونه لو فصل كل ما يظهر لاحتاج وقتًا طويلًا ولما وسعته الدفاتر والكتب ولعجزت المحابر عن كتابة هذا الفعل. هذا فضلًا عن علمه عليه السلام بكل ما سيجري ومعجزاته (ﷺ) تغني عن التحدث بهذا.

ومن ثم فإن رسول الله (ﷺ) لا يغضبه رجل حلق لحيته ويفرحه تمزق

المسلمين وتشتتهم وما هم فيه من المحن وتسلط الأمم عليهم.

ولما جهل المسلمون مقاصد الشرائع ومعانيها فقد ضلوا.

هذا نبي الإسلام جاء ليتم محاسن الأخلاق ومكارمها وأمر بتنقية القلب والفؤاد قبل المظاهر.

فما فائدة رجل يصلي وصلاته غير آمرة له بالمعروف أو غير ناهية عن الفحشاء والمنكر؟ وقد كان سلفنا تفرحهم نفائس الأعمال القلبية كالصدق والتقوى والبر.

وهذا رسول الله (ﷺ) يعظم ويجل كل مسلم ومخلوق يؤمن به ويلتزم بدينه ولا يهمه لباسه أو مظهره بقدر سلامة الضمير. وهو القائل: «رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره». رواه الترمذي عن أنس.

وهو القائل: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). رواه مسلم عن أبي هريرة. فنظر الحق تعالى إلى مكارم الأخلاق التي محلها القلب لا نظره إلى الصورة الجميلة الفارغة.

وقد حكي أن رويم البغدادي لما تولى القضاء،

قال الجنيد: انظروا إلى رويم المشغول الفارغ وانظروا إلينا نحن الفارغين المشغولين.

وهذه الأمة المحمدية لا ينقصها إلا اليقين بربها وقوة العزم لا التمسك بزينة الفارغ الخالي من الأعمال القلبية الراقية والزينة قد يخالف صاحبها قومًا أجمعوا عليها كالمغربي إذا دخل مصر بلباس المغاربة.

فالقول أن القدماء حرموا حلق اللحية هذا لبقاء صفتها فيهم وإجماعهم على أن الحالق مخنث شاذ عنهم أما اليوم فعادة أهل البلاد حلقها فلا يحرم حلقها لكون عادة الأمة قد انصبت على هذا.

وأيما مسلم حلقها فإسلامه صحيح ولا يؤخر ولا يقدم حلق اللحية في

إيمانه شيئًا. لكون الإيمان غير متوقف على المظاهر فلا يوجد هذا في كتب الأصول والتوحيد أنَّ اللحية تنقص أو تزيد في إيمان الرجل وفي كتب التوحيد أن الرجل المكره لو أكرهه قوم وقالوا له اكفر فقال قد كفرت وهو مؤمن في الباطن تمام الإيمان فإيمانه صحيح. فأين الإيمان والمظاهر؟

والذي أخر الممالك الإسلامية فقدهم لحقيقة الإيمان واليقين.

والبلاد الكافرة عندهم من حقائق الإيمان شيء ولكنه غير منتفع به لكونهم خرجوا عن زمرة أهل الإسلام ولم ينضموا تحت اسم هذه الطائفة.

والإخلاص في العمل موجود عند الكل لكن إخلاص الذين لا يوجد سوى عند مؤمن.

قال القائل: فهل كان النبي (ﷺ) يعلم بأنَّ أمته سيأتي عليها يوم تغير فيه وتحيد عن شيء من سننه.

قلنا: هذا كان يعلمه رسول الله (ﷺ) تدريجيًا لذا فإنَّ سنته لها وجوه تعددية.

وهذه الوجوه تتعدد لعلمه (ﷺ) بتغاير الأزمان المتوالية «فمن ذلك»: أنه (ﷺ) لبس الأحمر وفي أحاديث كره لبسه.

«ومن ذلك»: أنه يروى عنه روايات كثيرة في طول شعره لعلمه بتغاير الأزمان.

«ومن ذلك»: أنه يروى عنه أن لمس الفرج ينقض الوضوء ويروى عنه أن لمسه لا ينقضه.

وهذه الوجوه التعددية لا تعدم سنته (ﷺ) فتجعلها صالحة لكل الأزمان فإن نبذ القوم وجهًا تمسكوا بالوجه الآخر رغمًا فإن نبذ الرجل العالم لبس الأحمر تمسكًا بحديثه تمسك بالوجه الآخر وكلا الأصلين له وجه في السنة ورد عنه وهذا ما يسمى في علم الولاية بالوجه التعددي في سنته (ﷺ) فترى

السنة تصيب كل أهل الأزمان رغمًا عنهم. وعلى هذه القاعدة بنوا المذاهب وكان اختلافهم رحمة.

ولهذا عبرت البصيرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلوات والسلام عن أشراط الساعة ولا بد أن يغير قوم ما تركهم عليه من سنن وفرائض.

وهذا التغير التدريجي عبرت عنه البصيرة بقولها: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء».

ولم يدرك طلاب عودة المبادئ أن التغير في السنن من أشراطها. ولن يصلح ما انكسر أحدٌ كما روى مسلم في حديث حذيفة: «أن هذا الأمر معلق بباب إذا انكسر فلن يلتئم».

وقد كان نساء المسلمين في سنة أربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة محجبات فما مرت ستون عامًا حتى سفرن وتبرجن وخلعن العذار ونحن الآن في سنة ست وأربعمائة وألف من الهجرة فمن بدل هذا الحال؟

وقد كان الطربوش لباسًا رسميًا وألغي وصار بدعة غير مقبولة وهؤلاء علماء الأزهر لباسهم الرسمي الطربوش وهو لباس ليس عربيًا فهل هم على بدعة؟ كلا.

وكذا اقتضت المشيئة الإلهية تغاير الأعيان وكل عين تأخذ قسطها في المظاهر والبدء.

والعين الواحدة ثابتة لكن تبدو في مظاهر جمة عظيمة يفهمها الولي المكاشف الذائق لفنون الحكم. فالمؤمن الولي أعزّ من شعر لحية يبدو فيه أو لا يبدو فيه. فالحق تعالى قائم عليه بقلبه في أثواب التغيير وهو ثابت اليقين إذ إيمانه في العين ثابت.

ومن هنا أخفى الحق تعالى أولياءه في أثواب غيرته.

فأخفاهم في أثواب لا تخطر على بال المحجوب حتى يكشفهم.

فأين الولي الصادق دلنا عليه؟ لقد خفي خليٌّ في أثواب الغيرة الإلهية فلم يعرف ولن يعرف قط.

أي مولاي هؤلاء الخلق تنازعوا على مظاهر وأضاعوا حقائق الوجود وعظمة الملكوت.

تنازعوا في سنة وتركوا فرضًا وهو الجهاد جهاد العدو الذي ضيعهم وأخرهم.

هذا العدو رابض بالباب يسخر منهم لتنازعهم في دقائق الأمور وغفلتهم عن الجليل من هذه الأمور. يا قوم هذه الأمم قد أحاطت بكم من كل جانب كما تحيط الأكلة بالقصعة فالزموا الغرض ومن ثم ابحثوا السنن.

وهؤلاء لو أتقنوا الواجبات والفرائض التي في شريعة محمد (ﷺ) لأتقنوا السنن ولكنهم في مقام إتقان السنة فقط لكونهم لم يرتقوا إلى اتقان مقام الغرض وهذا من شئوون الأكابر.

وكلا المقامين عالٍ في علم الحقائق ألا وهو اتقان متابعة السنن وإتقان القيام بالفرض.

حتى أن من رواة الحديث من لا يتقن فهم الحقائق النبوية في الحديث ولكن يرويها بسنده حتى تصل إلى من يفقه هذا العلم ويتقنه أعظم من إتقانه هو. وهذا العلم من علم القطب الجامع الفرد.

وهو إقامة الفرائض والسنن على أعلى وجه ما لا يقدر أن يقوم به سواه في عصره.

وهذا مقام الخليل إبراهيم لما قيل فيه ﴿إن ابراهيم كان أمة﴾ فكان يرفع من عمله ما يزن عمل أهل الأرض كلهم أجمعين.

وكان ابن عمر رضي الله عنه من أئمة مقام اتقان السنة وهذا المقام كان

صعبًا حتى عمي من كثرة إدخال الماء في عينيه في الوضوء خوفًا من نسيان موضع لا يصل الماء إليه.

وكان أبوه عمر رضي الله عنه من أئمة مقام اتقان الفرائض حتى ظل أربعة أعوام يتدبر سورة البقرة فاستخرج مقاماتها تدبرًا وتيقنًا.

فمن مثل هؤلاء الأئمة الأعلام في القيام بمقامات السنن والفرائض وهذا العلم قلَّ من يعلمه وكثر من يجهله.

أي ولي الله أين المتحققون من علم رسول الله (ﷺ)؟

أين أبطال المقامات؟ حتى يعلموا من لا يعلم الحق والتحقيق في اللبس وهذه الحضرة الإلهية تنادي كل مقبول أن تعالَ إلينا في أي ثياب شئت.

أين من علم ظاهر السنة وباطنها؟ علم الخضر وموسى؟

والعلم الضائع هو الجانب الثاني من الشريعة الذي هجر بسبب العلم الإلهي عبر عنه الذوق المحمدي وهو قوله، «حتى تلد الأمة ربتها». فإذا ولدت الأمة ربتها يا رسول الله فإن باب العتق سوف يزال من كتب الفقه؟

وليس هذا العلم ضاع بسبب فساده بل العلم يرد إلى صاحبه وصاحبه أحق به وأولى.

فهو الخالق لأسباب العلم وهو المزيل لأسبابه.

فأوجد العبيد والرقيق وأوجد لهم في الشرائع باب العتق والرقيق.

وأوجد التحرر فلا عبيد الآن على وجه الأرض. فأزيل هذا الباب لكون العلة بطلت وهذا الباب محفوظ. فإن عادت العلة عاد العلم عليهم لكونه محفوظًا. فماذا خسرت الشريعة لا شيء قط. فالعلم محفوظ. والخلق في تحرر من الرق.

وهذا مثاله كمثال وجود الجنة والنار في الحياة الدنيا وأن الحق تعالى قد

أعدهما فهما موجودتان فما يضير كونهما موجودتين الآن.

وقيل في شبهات قوم إنَّ من حلق لحيته ردت شهادته في هذا الزمن.

قلنا: نعم هذا كان قديمًا لكون الحالق كان شاذًا عن بقية بني جنسه. ولكن في هذا الزمن لما غلبت العادة انقلبت الآية فلا يعتد بهذه القاعدة. وهذا لكون هذه القاعدة إن سرت لكان المجموع الإسلامي شاذًا لا تقبل له شهادة أصلًا وهذا باطل. فإن المجتمع يكون كله شاذًا عن قاعدة الشهادة في وقتنا هذا وبهذا تخلق فتن عظيمة لا يعلمها إلا الحق تعالى. وسرت القاعدة على أن العدالة في الرجل في هذا الزمن لا تقاس بلحيته.

قال القائل: كيف هذا يا حكيم أهل الولاية؟

قلنا: القول على أن التقدم الزمني بدعة هذا القول نفسه بدعة لكون الحق تعالى لا يحد بتكيف ولا معنى فكل يوم هو في شأن.

فالحق تعالى لا يقيده قول يبدي ما يشاء فهو إن أبدى في كل عصر بخلاف ما سوى عصر النبي (ﷺ) فهو حق مقبول منه على العين والرأس ومعنا نحن العلم النبوي نأخذ منه ما نشاء وننتقي من طبقه ما نشتهي ونساير به هذا العصر فمن اعترض على جانب من السنة في العادات فلما التزم بمقدمات التقدم الزمني كلها فليساير أو ليرجع وهل يرجع كلا.

ولو كان رسول الله (ﷺ) حيًا في زمننا هذا لساير أهل العصر في طعالهم وشرابهم ومركبهم وملبسهم. ولكنه ينكر أمورًا تستوجب منه الإنكار.

ويحظى بأمور كركوبه للسيارة والقطار مثلًا لكون هذه من نعم الحق تعالى بدلًا من السفر مشيًا أو ركوب الإبل كعادة القدماء.

فالمعترض هنا على المسلم في كونه لا يكتحل كما فعل النبي (ﷺ) نقول له لما لا تتمسك بكل شيء ورد على عهد النبي (ﷺ) من ملبس ومأكل ومشرب ومركب وزينة فإن وسعه تنفيذ هذا الفعل فليفعل ولا أراه يفعل

مهما بلغ لكونه طفر وقفز إلى عصر هو ليس فيه ودخل مجالًا غير مجاله فيصبح غريبًا والحق تعالى يأمرنا أن نرضى بما نحن فيه من الزمن ونسايره حتى نساير علمه وقدرته والا فمثال المعترض كالمعترض على القدرة الإلهية جملة فقيل له بلسان الحق تعالى: «من اعترض على قضائي فليخرج من تحت سمائي وليبتغِ ربًا سوائي».

وهذا لن يتحقق.

ولما عبر الذوق المحمدي بلسانه: «الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة» علم الشارع أنه سيأتي من يقتفي ويسلك نهجه على مدى العصور مهما تغيرت معالم الزمن فهو مساير لوقته حيث التوى الزمن فهو يقومه ويسايره حتى يصل إلى حضرة الحق تعالى.

قال القائل: فهل الذي يغير أي سنة من سننه (ﷺ) عليه شيء من الوزر لمّا قلب هذه السنة فيبتدع فتصبح بدعته عادة بدل السنة.

قلنا: اعلم أيها السائل أن أول مبدل للسنة عليه وزر التبديل وهذا كمثل أول رجل حلق لحيته تشبهًا بالفرنجة والإنجليز وكمثال أول رجل حكم بما لم ينزل الله تعالى.

فالأوائل في التبديل هم من أركان جهنم وعليهم وزر كل مبدل من بعدهم وليس التبديل كله سواء وفي خطر واحد.

فالمبدل للسنن ليس كالمبدل للغرض والواجب.

فليس أول من حلق لحيته كأول من غير حكم الله وحكم بغيره.

والمقلد للمبدل خطره أقل ووزره أهون وهذا أصل من أصول الحديث إذ وزر كل المقلدين على أول مبتدع وسننه (ﷺ) ليس كلها سواء. فسنة فعلها النبي (ﷺ) ولم يلزم بها أحدًا من أصحابه كالاكتحال وكمسك العصا. وسنة فعلها وجعلها فاصلًا بيننا وبين الكفار والتزم بها كل أصحابه كاللحية.

فتارك السنن من النوع الأول ليس عليه وزر سواء له عذر في الترك أو ليس له عذر.

وتارك السنن من النوع الثاني عليه وزر الحرمة إذا لم يوجد العذر في تركها.

وعمومًا فإقامة أي سنة من سننه (ﷺ) له أجر الثواب.

أما ابتداع الخلق في ترك السنن لعدم وجود عذر فعليهم وزر ترك السنة وسنته (ﷺ) باقية لا تنقلب ولا تتغير لكون النصوص قد حفظتها وأما ادعاء اتخاذ البدع بدلًا من السنن فهذا نفسه بدعة وإن اقتضى هذا تمسك الناس بعادة خلاف سنته وعادته (ﷺ).

الصنف الأول
لِحَى الأنبياء

وهذا مقام عالٍ. ليس مقام شعرات تطلق. وليس لمخلوق فيه نصيب غيرهم. وليس هذا المقام يغلب فيه مقام الظاهر فقط بل المقام الباطني أعظم.

فالوظائف الباطنية في أعمال الزينة في السنن يقيمها النبي أعظم ما يكون.

فمقام إعفاء اللحية مقام فرقان يفرق النور الإيماني عن الظلام الشركي وهذا الفرقان يعرفه أهل الكشف عبر عنه الحق تعالى بقوله: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم﴾.

لذا كان النبي (ﷺ) يخلل لحيته بالماء. وهذا سر ازدياد النور واشتعاله أعظم في اللحية. والنور البائن في لحية النبي تجرد عن كل غرض ومعنى فشرف.

وكانت لحية نبينا (ﷺ) أشرف لحية بزغت إلى شاشة الوجود.

ووجدنا الشعرة الواحدة من لحيته (ﷺ) فيها من الأنوار ما يهدي كل

ما خلق الله من الأكوان وهي مليئة بالعصاة ألف ألف مرة.

الصنف الثاني
لِحَى الصديقين

وعلى قدر المقام تكون اللحية فهذا الصديق أقامه الحق تعالى على قدم أبي بكر لكون أبي بكر الصديق إمام الصديقين يوم القيامة وما أخرجت القدرة رجلًا أفضل بعد النبيين من أبي بكر.

وهذا الصديق أوجد في مقام الغيب وذاك قول أبي بكر: «لو كشف لي الحجاب ما ازددت يقينًا».

فأبو بكر كل شعرة من لحيته تنطق بصدقه وكل عرق منه ينبض تصديقًا بالغيب فانظر ولي الله رحمك الله مدى التصديق الغيبي في الإمام الصديق.

والصديق هو المؤتمن على خزائن الغيب في الملكوت.

اختبره الحق تعالى بالحجاب فما شك بل ازداد فلما ازيلت الحجب وانكشف له المخبأ المستور كان يقينه على حد سواء في المقام والفرقان لكونه على قدم واحد.

لا تأخذه دوامات الأحوال بل هو قائم في مقام العزة والفردانية إذ الصديق كل ذرة وشعرة فيه قائمة في الملكوت تشهد له ولله عز وجل.

كان من أصحاب الصديقين شيخنا عبد المجيد الشريف رأيته في مشهد وقد خلع عمامته والكون يدور حول رأسه.

الصنف الثالث
لحى الشهداء

قيل من هم الشهداء يا حكيم؟

قلنا: الشهيد يا بني ليس من مات في الحرب فقط.

بل الشهيد من شهد يوم القيامة وذلك لعزة مقامه الأسنى وسعة جاهه عند المليك.

وذاك قوله تعالى في أعز الخلق (ﷺ): ﴿وليكون الرسول شهيدًا عليكم﴾.

فالشهادة من مقامات النبوة لكون النبي (ﷺ) يكون شهيدًا علينا يوم القيامة.

فليس الشهيد من هو دون النبي بل قد يكون النبي شهيدًا.

وهذا الشهيد فيه كل شعرة شاهدة بآلاء الحق تعالى ورضوانه وشاكرة لأنعمه.

وهذا الشهيد يلتحي ويخاف أن تشهد عليه لحيته يوم القيامة خوفًا من اصطناع رياء ومداهنة.

فهذا مقامه يا سادة الحياء من الله تعالى وانقلاب الضد فبدلًا من أن يكون شهيدًا قد يكون مشهودًا عليه ألا ترى أنَّ النبي (ﷺ) كان يقول في كل وعظ: «اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد اللهم فاشهد اللهم فاشهد» ويكررها ثلاثًا وهذا مقامه حتى يخلو من مسئولية الإنذار والتبليغ.

وكان من أقطاب الشهادة صاحبنا ولي الله محمد أبو بطانية من أصحاب الشهادة العظاء الأكابر.

الصنف الرابع
لحى الأولياء

الولي هو الصالح المكاشف بأسرار لا يطلع عليها العامة عيانًا جهارًا يقظة ومنامًا.

ولما صلح الروح والراح وانجلى الهيكل وانصقل وطاب الوقت ولذ الشراب وحان تعاطي الكأس ودندن الحادي بزغت عين الولي في سماء الملكوت. وصح وصله لما ترك نفسه بين أسقامها وهجرها هجرًا كليًا هناك استقامت روحه وصفا وداده.

وهذه لحية الولي تنطق عنه وتخبر أنه ولي ولكن حجبت عيون وقست قلوب عن إدراك معنى جليل.

فأين الولي. فلا يعرفه إلا ولي مثله مكاشف بخبره. قد عرف سره فينفح سره ويكشف عن خزائن حبه لربه.

هذا الولي يستحي من الله أن تكون له لحية رياء ودهاء.

فلا يرد موردًا يراه فيه الحق تعالى صاحب تلون ومداهنة.

هذا الولي لحية بلا لحية وجسم بلا جسم. عدم في وجود ووجود في عدم إذا قرأ القرآن انتفض جسمه واقشعر جلده ووقف شعره كما يقف شعر القنفذ من خوفه من ربه. فيشتعل رأسه شيبًا. فترى الشعر مبيضًا وآونة مسودًا وآونة منورًا. فأين أصحاب هذه المقامات؟

الصنف الخامس
لحى الصالحين

والصالح من صلح وتخطى مقام الإسلام ودخل مقام الإيمان. ولكن انعدمت منه مادة الكشف. وكل ولي صالح. وليس كل صالح وليًا فلا يطلق على الصالح لفظ الولاية حتى يكاشف.

وهذا الصالح ترسم بقيود الرسوم لكونه منعدم الكشف.

فالتحى تمسكًا بسنن الحق تعالى وشرائعه.

فمقام الصالح الرسوم المظهرية وإن علا إلى مقام إيمانه بالغيب بغير كشف.

لذا كانت رتبتهم في المقام الرابع بعد النبي والصديق والشهيد.

ولا يصلح عبدٌ حتى تصلح جوارحه. فتشهد لصلاحه الظاهري والباطني. وهذا علم يعبر عنه أهل الكشف بذوقهم فيفرقون بين الولي والصالح.

ولعمري كيف يصلح من ساءت سريرته وإن كان ظاهره السنة؟

فساء عبد كان هذا مذهبه. وكان السلف يفسدون ظواهرهم لأجل صلاح الباطن.

الصنف السادس
لحى الأخفياء

وهذه طائفة من أهل الولاية قد خفيت وذابت بين الناس. فلا علم لمخلوق بهم. قد حفظهم الحق تعالى في سرادق غيرته. غيرة عليهم فسرهم محفوظ من الإفشاء. أولئك الآمنون حقاً.

وقد ذكرهم الحق تعالى في الكتاب بقوله: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾.

فهؤلاء مقامهم الخفاء ألا وهم عظماء العالمين ملوك الآخرة.

وكان شيخنا عبد المجيد الشريف من أصحاب هذا المقام.

وهؤلاء مقامهم الخمول. أخفوا أنفسهم بمظاهر خادعة تخفي صدق الباطن والضمير خلفها.

وربما كان ظاهرهم الرياء وباطنهم الإخلاص العظيم.

وهؤلاء الأولياء من رجال المملكة الباطنية لهم مقامات عالية ودرجات

سامية. ولهم وظائف لا تحصى. وأشبه بهؤلاء من لا قيمة له ولا جاه ولا سلطان عند الناس.

فلا عبرة لمظهر عندهم في اللحية أو سواها إنما مقامهم محفوظ في الملأ الأعلى. وقد عبرت البصيرة المحمدية عن هؤلاء بقولها: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك» رواه الترمذي عن أنس.

ومن هؤلاء قوم حلقوا اللحى حتى يزداد خفاؤهم عظمًا بين الخلق فلا يعرفون قط. قد رأينا منهم طائفة كان منهم صاحبنا محمد بن علي بن عبدالله الخليلي تلميذ الشيخ حسن الملطاوي.

الصنف السابع
لحى أهل الحياء

وهذه طائفة من أهل الولاية مقامها الحياء من الحق تعالى.

كان على قدمهم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

يستحيون من باطنهم وظاهرهم من اطلاع الحق تعالى.

وهؤلاء لا يدرج فيهم مراء ولا متضع لكون مقامهم لا يصطنع ولا يتكلف فيه.

فكيف يكون لرجل منهم لحية. وهو من أهل المعصية والرياء. إذن لمات خوفًا من الحق تعالى ولذا رأينا منهم قومًا حلقوا اللحى حتى لا يتصنعوا هذا المقام وهم سالمون.

وإذا كان المظهر عند الولي شبهة فخلعه أوفى وأطهر في مقام ولايته.

وهذا المقام كمقامه (ﷺ) لما قال: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك).

وقد صَاحَبْنَا قومًا هم أولياء حلقوا اللحى حتى لا يظن فيهم المسلمون خيرًا فما أعظم مقامات هؤلاء الرجال؟

وكان من مقامات نبينا عليه الصلاة والسلام أنه أهديت له خيصة لها أعلام. فقال: «شغلتني أعلام هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم وأتوني بأنبجانيته» رواه البخاري عن عائشة.

فخلع الزينة في مقام الإخلاص واجب.

وقد ذكرنا مقامات أهل الولاية في كتابنا «تكملة الفتوحات المكية» فليراجع.

وكان من جهابذة أقطاب الحياء مولانا عبد المجيد الشريف أستاذي رضي الله عنه.

كان يستحي من كل ذرة في الوجود فكيف بالحق نفسه كانت تتزلزل منه أركانه وتذوب.

الصنف الثامن
لحى المتجردين

هؤلاء قوم من طائفة المملكة الباطنية وظائفهم التجرد عن كل شيء للحق تعالى والخلاص إلى الحضرة بلا علائق.

فأسقطوا التكلف في الزينة والثياب وعبروا عنها بكونها من العلائق الفارغة التي لا تؤخر ولا تقدم في مقامهم.

وقد رأى منهم ابن بطوطة رجلًا في مصر كما حكى في «رحلته» ذلك. رآه قد حلق شعر رأسه ولحيته فسأل عن ذلك فقيل له كان هذا الرجل جميلًا فاستدرجته امرأة إلى بيتها وطلبت منه أن يقع عليها. فطلب منها موسى ودخل حجرة عندها وحلق رأسه ولحيته وحواجبه وخرج إليها فلما رأته

استقذرته وطردته. فظل هذا الحال هو وأتباعه. وأنكر عليه يومًا فقال للمستنكر أي شيء تنكر انظر فنظر فرآه في الحال وله شعر ولحية فقال له انظر مرة أخرى فنظر فرآه بغير شعر ولحية. فعلم صدق حاله وسلم له.

ومن أهل عصرنا كان من أقطاب التجرد الكاملين الشيخ علي بن عبد الدايم صاحب أسيوط.

سئل يومًا عن الزهد

فأجاب السائل.

ثم سأله السائل عن زهد الزهد.

فقال له هكذا وخلع جميع ثيابه.

وبقي عاريًا إلى أن مات ونصفه الأسفل في حفرة محفورة بالأرض ونصفه الأعلى فوق الأرض بقي هكذا إلى أن مات.

الصنف التاسع
لحى من أسقطوا المقام

وهؤلاء من أكابر الرجال. تركوا المقام والمقامات حياء من الحق تعالى. وقالوا نحن لسنا أهلًا لهذا فكيف ندعى فهؤلاء فنوا في كرامة الحق. فهم لهم لحى بغير لحى وهم لا لحى لهم ولهم لحى.

فما أعظم مقامات الرجال.

وهؤلاء الساخرون من الرسوم والأعيان الغواصون إلى قاع بحار الحقائق يستخرجون درر الأصداف وكنوز الأسرار. قد استغنوا عن الملك والملكوت وآنسوا بربهم تعالى.

فما أعظمهم من قوم وقفوا بباب الحق تعالى وتخلوا له عن كل شغل شاغل.

وهؤلاء قيل فيهم من الحضرة القدسية: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة وُلا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

الصنف العاشر
لحى المذنبين

قيل: كيف يلتحي مذنب؟ يا حكيم الأولياء وسلطان المتصوفين؟

قلنا: هو كاتمٌ إما راغب في التوبة وإما معرض عنها والحق تعالى ساتر عليه من فوقه.

فليتب كل مذنب ملتحٍ.

فليس علامة التقوى والإيمان اللحية عند أهل الإيمان واليقين فافهم يا ولي.

وقد كثرت لحى أهل الذنوب في زمننا هذا.

حتى التحى الزاني والسارق والمرابي وشارب الخمر والفاسق والزنديق. ومنهم من يدعي أنه أورع وأتقى أهل زمانه بلحيته هذه.

الصنف الحادي عشر
لحى دعاة الحق تعالى

وهؤلاء مقامهم التصريح لهم من رسول الله (ﷺ) بالدعوة والوعظ. وهم متكلمون بلسان رسول الله (ﷺ) والتصريح منه عليه السلام ممتد إلى يوم القيامة. يكون منامًا ويقظة.

وكان هذا من مقامات الجنيد البغدادي فقد صرح له النبي (ﷺ) بالكلام في الناس.

وليس كل داعٍ هو من دعاة الحق تعالى ومتكلم بلسان النبي (ﷺ). وإن كان عالمًا بلغ في العلم ما بلغ.

وقد رأينا من هؤلاء قومًا منهم شيخنا محمد زكي إبراهيم كان يتكلم بلسان النبي (ﷺ).

ومنهم محمد متولي الشعراوي وهو متكلم بلسان الحضرة النبوية الشريفة. وهؤلاء الدعاة يرزقهم الحق تعالى القبول بين الخلق فلا يعترضهم معترض. والمعترض من الدعاة لا تصريح له إلا إذا تم نصره. وإلا فلا.

الصنف الثاني عشر
لحى العلماء الربانيين

والعالم الرباني مطالب باعفاء لحيته ويحرم عليه حلقها في أي زمن لكونه حجة يحتج به ومثال ذلك شيخ الإسلام وشيخ الأزهر في زمننا هذا ومثاله أيضًا مفتي الديار ومثاله كذا قاضي القضاة.

ومن حلق لحيته من العلماء فجائز أن يقتدى به. وليس كما يقول البعض لا تجوز إمامة من حلق لحيته وإلا فإن معظم علماء المسلمين هم في باطل وعلى باطل.

وسمعنا أن البعض لا يجيز الصلاة خلف من حلق لحيته ويقول الصلاة خلفه باطلة. وقولهم هذا باطل لا صحة له قياسًا على ما نحن فيه.

ولحى العلماء كرامة لهم ونور يوم القيامة. فهي تزين الفتى والعالم.

ويحرم على العالم حلقها ما لم تنتابه في ذلك شبهة وحلق العالم للحيته بدعة لا سيما شيوخ الوعظ كبار العلماء. لكون هذا لم يكن معروفًا فيما عبر من الأزمان.

وكان من أهل عصري ممن نالوا مقام لحية العلماء الربانيين شيخ الإسلام

والجامع الأزهر الإمام عبد الحليم محمود وهو أكمل هذه الطائفة والصنف.

الصنف الثالث عشر
لحى السمعة

اعلم ولي الله وصفيه أن كل لحية أطلقها صاحبها لعلة غير وجه الله فهي لحية سمعة. يُسمّع بصاحبها ويُشهّر به يوم القيامة.

وهذا لا يعلمه إلا علماء معرفة علل النفس الذين اطلعوا على مقاصد النفس ونيات القلوب.

وهذه اللحية أي لحية السمعة تنفع صاحبها في هذه الدار وتخزيه يوم القيامة لما يظهره الحق تعالى في حقيقة أصله إذ هذه الدار دار رياء وكذب والآخرة دار الحقائق الباطنية. حيث يتجلى كل مخلوق بما كان يضمره ويبطنه.

وفي الحديث: (يرفع يوم القيامة لكل غادر لواء يقال هذه غدرة فلان بن فلان).

لذا استحى كثير من العلماء من شبهة اللحية فحلقوها بسبب شبه باطنية وهم من علماء الورع وأولياء الحق تعالى المحاسبون لأنفسهم وهؤلاء لهم مقامهم لا يدخلون في عداد العلماء الظاهريين وإن كان ظاهرهم العلم.

الصنف الرابع عشر
لحى الألقاب

ومن الناس من يعفي لحيته حتى ينال لقبًا عند الناس فيقال له يا حاج فلان.

وهذا خطره عظيم وقد تفشى بين الناس في زمننا هذا.

وادعاه رعاع القوم. إذ ليس اللحية هي مقياس الورع والخير في الآدمي.

الصنف الخامس عشر
لحى المتشبهين بالسلف والعلماء الصالحين

ومن القوم من أعفى اللحية حتى يقال عنه عالم وهو ليس بعالم ولا يساوي في سوق العلماء شيئًا.

وقد تفشى هذا بين شباب القوم وادعوا أنهم على قدم السلف والعلماء الصالحين كالحسن البصري والثوري وهم منهم براء وحجة هؤلاء أن ظاهرهم هو ظاهر السلف ففتشوا في الكتب عن المظاهر وودعوا باطن الأمر ومن ثم قلدوا مظاهر القدماء في لبس العمامة وإرخاء العذبة وإمساك العصا وإعفاء اللحى وتقصير الثياب فوقع هؤلاء في الوهم وهم لا يعدلون تراب أقدام أدنى رجل من السلف الصالح في المقام والفضل والعبادة والعلم والزهد والورع.

الصنف السادس عشر
لحى ستر المعاصي

وهذه طائفة استجدت على هذه الأمة ادعت الصلاح باللحية وهم في أمر مريج وارتكاب الفواحش والكبائر وزعموا أن اللحى ساتر لهم لكونها عنوان الإسلام.

وأقول لهم ليست هي من عنوان الإسلام في شيء.

وعنوان الإسلام قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

فهؤلاء ستروا فساد بواطنهم بشيء من مظاهر الدين.

الصنف السابع عشر
لحى المنافقين

وهؤلاء أشد أعداء الإسلام نافقوا وكادوا للدين وزعموا أنهم لن يعرفوا إذا تشبهوا بشيء من مظاهر الملة والشرع فأعفوا اللحى.

فذهب الشارع فكشفهم بتوفيق الحق تعالى وهؤلاء هم الذين عبر عنهم الحق تعالى بقوله: ﴿هم العدو فاحذروهم قاتلهم الله﴾.

وقد كان يعلم رسول الله (ﷺ) صفة المنافقين الذين حوله حتى فضحهم الحق تعالى في سورة التوبة وأنزل أسماءهم ثم نسخت أسماؤهم من القرآن.

ولذا كان عذاب المنافق أعظم عذاب فجعله الحق تعالى في الدرك الأسفل من النار.

الصنف الثامن عشر
لحى العدو

وإذا أراد العدو أن يكيد للإسلام تشبه به فتمثل بشيء من فعله وسنته وهديه وهذه صفة الجواسيس الذين ترسلهم الدول الكافرة للتجسس على المسلمين فيرتدون ثياب المسلمين ويتزينون بشيء من هديهم حتى يطلق الرجل منهم لحيته حتى يخادعهم فهذه صفة العدو الحقيقي للمسلمين.

وقرأت في سيرة نور الدين زنكي أن اثنين في زمنه من الصليبيين ادعوا الزهد والتقشف ولبسوا لباس الزهاد ومكثوا في المدينة سنتين مجاورين واكتشف أنهما يحفران في السر سردابًا موصلًا إلى قبر الرسول عليه السلام لأجل استخراج جسده المبارك فلما علم نور الدين أمسكهما وأعدمهما وحفر حول الروضة وصب الرصاص المذاب.

الصنف التاسع عشر
لحى التجار

ومن القوم من يعفي اللحية حتى يكسب المال ويثق الناس فيه وهو ليس عنده ذرة من الأمانة والصدق فهذا له نيته التي نواها ويرد يوم القيامة حاسرًا كاذبًا.

ومن هؤلاء طائفة من التجار كانت تضع الحديث في الأطعمة لأجل ترويج تجارتهم كما وضعوا الحديث في: الباذنجان واللحم والخبز والعدس والباقلاء والعنب والأرز.

الصنف العشرون
لحى الزينة

ومن الناس من يطلق لحيته زينة وتزينًا. ويسميها خنافس لا لأجل تدين أو تنسك أو إصابة سنة المصطفى (ﷺ) وهذا خطره هين ليس كأصحاب العلل العظيمة الذين ذكرنا منهم طائفة. لكونه جهل الأمر وتوقف من دخوله بالنفاق والعلل في بساطهم.

الصنف الحادي والعشرون
لحى المتشبه بالممثلين والمطربين

ومن المسلمين من زعم أنه التحى تشبهًا ببعض المطربين الكفار والأجانب فيقلدهم.

وهؤلاء قلدوا بلا ذوق فلو أنهم قلدوا نبيهم واهتدوا بهديه لكان خيرًا لهم.

فهؤلاء يحاسبهم الحق تعالى على ما أضمروه من نية في قلوبهم ومن هذه

اللحى لحى الممثلين الذين يضعون ما يشبه اللحى استهزاءً بالشيوخ والعلماء والصالحين.

ومنهم من يقلد رجلًا صالحًا فيقلد شخصيته وربما مثلوا شخصية صحابي من صحابة النبي (ﷺ).

الصنف الثاني والعشرون
لحى الكفار وأهل الكتاب

وهؤلاء لا ينبغي لمؤمن أن يتشبه بشيء من لحاهم حتى لا يقلد كافرًا فقد أمرنا نبي الإسلام (ﷺ) أن نخالف الكفار وأهل الكتاب.

ومن الشباب من يقلد بعض عظماء الكفار ومطربيهم وغيرهم.

ومنهم من يتشبه بالكفار فيحلق جزءًا من اللحية ويبقي جزءًا منها.

ومنهم من يحلق معظم اللحية ويبقي جزءًا صغيرًا منها حول الذقن.

الصنف الثالث والعشرون
لحى من وقعت عليهم شبهة

وهذا الصنف ما اشتبه الحاكم في صاحبه أنه يعمل في الباطن ضده أو يعمل لأغراض تعارض مصالح الأمة.

وهذه الفرقة زعمت أنها هي الوحيدة التي على الحق وباقي المسلمين كفار وعصاة ومنافقين.

منهم كثيرون لهم أسماء ما أنزل الله بها من سلطان مثل: التكفير والهجرة، والجهاد، والناجون من النار.

أطباق المرمر المطعمة
في معرفة الأحاديث الموضوعة في الأطعمة

الحمد لله الذي بعث محمدًا (ﷺ) ليتم رسالاته ويختمها ويحفظها من دسائس التحريف وصلى الله على محمد وآله وصحبه الطيبين.

وبعد:

إنَّ الحديث الموضوع علمه غزير وقد أُلفت فيه التواليف الغزيرة.

وقد ساقني الحق تعالى لكي أصنف مصنفًا في الأحاديث الموضوعة في الأطعمة وهو فن فريد نادر.

وقد كثر وضع الزنادقة للأحاديث الموضوعة في الأطعمة حتى ضحكت العقول مما أورده هؤلاء فوضعوا في الباذنجان والباقلاء والجرجير والكرفس والفجل وغير ذلك مما وضعوه.

وكان السابقون من أهل الأهواء يضعون الحديث لما يوافق هواهم. حتى يضع من يبيع العنب حديثًا في العنب حتى يروج سلعته.

وقد رمزنا إلى كل مخرج برمز فلابن عدي (عد) ولابن حبان (حب) وللعقيلي (عق) ولأبي الفتح الأزدي (فت) ولابن مردويه (مر) وللطبراني (طب) وللدارقطني (قط) وللخطيب (خط) ولابن شاهين (شا) ولأبي نعيم (نع) وللحاكم (حا) وللجوزقاني (قا) وللديلمي (مي) ولابن عساكر (كر) ولابن النجار (نجا) ولأبي الشيخ (يخ).

وإذا قيل قال «الشيخ» فالمقصود به المؤلف. وقد سمينا مصنفنا هذا: «أطباق المرمر المطعمة في معرفة الأحاديث الموضوعة في الأطعمة».
ورتبناه على أبواب. والله الموفق.

باب ما وضع في الخبز

حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه: مر رسول الله (ﷺ) على كسرة ملقاة فقال: «يا سميراء أو يا حميراء أحسني جوار نعم الله عليك فبالخبز أنزل الله المطر من السماء وبالخبز أنبت النبات من الأرض وبالخبز صمنا وصلينا وبالخبز حججنا بيت ربنا وبالخبز جاهدنا عدونا ولولا الخبز ما عبد الله في الأرض» (حب) من طريق أبي أشرس الكوفي. قال الشيخ: وله شبيه عند ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها.

حديث «من أخذ لقمة صغيرة أو كبيرة من مجرى الغائط أو البول فأماط عنها الأذى وغسلها غسلًا نقيًا ثم أكلها لم تستقر في بطنه حتى يغفر له» (أبو يعلى) من حديث فاطمة رضي الله عنها. وفيه وهب بن عبد الرحمن القرشي وهو وهب بن وهب القاضي.

حديث «ما استخف قومٌ بحق الخبز إلا ابتلاهم الله بالجوع» (خط) في المتفق والمفترق من حديث ابن عباس وفيه إسحاق بن نجيح.

حديث «أكرموا الخبز فإن الله سخر لكم به بركات السموات والأرض والحديد والبقر وابن آدم ولا تسندوا القصعة بالخبز فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع» رواه الديلمي من حديث عبدالله ابن أم حرام.

حديث «إذا خرجتم في حج أو عمرة فنعموا أنفسكم لكيلا تنكلوا وأكرموا الخبز فإن الله سخر لكم به بركات السموات والأرض فلا تسندوا القصعة بالخبز فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع». رواه أبو نعيم في

الحلية وابن عساكر في تاريخه بسند فيه من يجهل من حديث أبي هريرة.

حديث «صغروا الخبز وأكثروا عدده يبارك لكم فيه» (فت) من حديث عائشة وفيه جابر بن سليم.

له شاهد من حديث أبي الدرداء بلفظ: قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه. أخرجه البزار وقال: لا نعلمه روي متصلًا إلا بهذا الإسناد. وإسناده حسن من أسانيد أهل الشام.

قال الشيخ: وقد وثق ابن حجر في لسان الميزان جابر بن سليم.

باب ما وضع في اللحم

حديث «لا تأكلوا اللحم» (قا) من حديث أبي الدرداء وله شاهد عن عمر أخرجه البيهقي في الشعب: إياكم واللحم فإن له ضراوة كضراوة الخمر. وقال: وصله بعض الضعفاء ورفعه ليس بشيء.

وأخرج أيضًا عن عمر: إياكم والأحمرين اللحم والنبيذ فإنهما مفسدة للمال مرقة للدين.

حديث إنَّ للقلب فرحة عند أكل اللحم وما دام الفرح بأحد إلا أشر وبطر ولكن مرة ومرة (عد حب) من حديث أبي هريرة. وفي سند الأول عبدالله بن محمد بن المغيرة وفي سند الثاني أحمد بن عيسى الخشاب.

وقد تعقب بأن البيهقي أخرجه في الشعب من طريق عبدالله بن المغيرة.

وقال تفرد به عن الثوري وأخرج صدره من حديث سلمان أيضًا.

حديث سيد طعام أهل الجنة اللحم (حب) من حديث أبي الدرداء.

(عق) من حديث ربيعة بن كعب بلفظ أفضل طعام أهل الدنيا والآخرة اللحم ولا يصح في الأول سليمان بن عطاء. قال ابن حبان: يروى عن

مسلمة بن عبيدالله الجهني أشياء موضوعة. فلا أدري التخليط منه أو من مسلمة.

وفي الثاني عمرو بن بكر السكسكي.

حديث لا تقطعوا اللحم بالسكين فإن ذلك من صنع الأعاجم.

رواه أبو معشر. من حديث عائشة قال أحمد: ليس بصحيح وقد كان النبي (ﷺ) يحتز من لحم الشاة وأبو جعفر ليس بشيء.

حديث اللحم ينبت اللحم ومن ترك اللحم أربعين يومًا ساء خلقه. (مر) من حديث علي وفيه سليمان النخعي.

حديث لا يحل من اللحم النيء دون ثلاث إلا أن يجفف قبل ذلك او تصيبه نار. (مى).

فيه عيسى بن إبراهيم (متروك) وضاع. قال البخاري: منكر الحديث.

باب ما وضع في الحمام

حديث اتخذوا هذه الحمام المقاصيص في بيوتكم فإنها تلهي الجن عن صبيانكم (خط) من حديث ابن عباس وفيه محمد بن زياد الميموني.

حديث إنَّ النبي (ﷺ) كان يطير الحمام رواه الخطيب. وضعه أبو البختري وهب بن وهب القاضي للرشيد.

حديث عليّ: كان رسول الله (ﷺ) يعجبه النظر إلى الحمام الأحمر والأترج (حب) وأخرجه يعقوب بن سفيان من حديث أبي كبشة (حا) من حديث عائشة.

حديث ابن عباس جاء رجل فشكى الوحشة إلى رسول الله (ﷺ) فقال: اتخذ زوج حمام يؤنسك بالليل (خط) ولا يصح فيه محمد بن زياد.

وروى مثله الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت ولا يصح فيه الصلت بن الحجاج عن ثور وعامة ما يرويه منكر.

حديث إذا كان أحدكم في بيته وحده خاليًا فليتخذ فيه زوج حمام (عد) من حديث جابر ولا يصح فيه هارون بن عنترة. قال ابن حبان: يروي المناكير الكثيرة وعاصم بن سليمان وأبان بن سفيان.

باب ما وضع في الأوز

حديث الأوز في الطعام كالسيد في القوم والكراث في البقل بمنزلة الخبز في الطعام وعائشة في العالمين كالثريد في الطعام وأنا في الأنبياء كالملح (مى) من حديث علي وهو من طريق الحارث الأعور.

حديث نعم الدواء الأوز صحيح سليم من كل داء (مى) من حديث أنس فيه أبان بن أبي عياش.

باب ما وضع في البقر

حديث أكرموا البقر فإنها سيدة البهائم ما رفعت طرفها للسماء حياء منذ عبد العجل (عد) من حديث أنس وفيه عبدالله بن وهب النسوي. قال ابن الجوزي: المتهم به عبدالله بن وهب النسوي.

باب ما وضع في الجراد

حديث من قتل جرادة كأنما قتل عقربًا (حا) من حديث ابن مسعود فيه عمر بن سعيد بن وردان القشيري جعله البيهقي في الشعب.

حديث جابر وانس كان رسول الله (ﷺ) يدعو على الجراد اللهم اقتل كباره وأهلك صغاره وأفسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا

وارزقنا إنك سميع الدعاء فقال رجل: يا رسول الله تدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره. فقال رسول الله (ﷺ) إنما الجراد نثرة حوت في البحر (خط) فيه موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي متروك.

باب ما وضع في الديك

حديث لا تسبوا الديك فإنه صديقي وأنا صديقه وعدوه عدوي والذي بعثني بالحق نبيًا لو يعلم بنو آدم ما في صوته لاشتروا لحمه وريشه بالذهب والفضة وإنه ليطرد مدى صوته من الجن (الحسن بن سفيان) في مسنده من حديث ابن عمر. وفيه عبدالله بن صالح كاتب الليث ورشدين بن سعد ليسا بشيء.

حديث أبي زيد الأنصاري قال رسول الله (ﷺ) الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدو الله وكان رسول الله (ﷺ) يبيته معه في البيت (أبو بكر البرقي) وفيه محمد بن مهاجر.

حديث الديك الأبيض الأفرق حبيبي وحبيب جبريل يحرس بيته وستة عشر بيتًا من جيرانه أربعة على اليمين وأربعة عن الشمال وأربعة من قدام وأربعة من خلف (عق) من حديث أنس وفيه الربيع بن صبيح ضعيف وابن أبي بزة منكر الحديث.

حديث من اتخذ ديكًا أبيض في داره لم يقربه الشيطان ولا السحرة (ابن الجوزي) من حديث أنس وفيه يحي بن عنبسة.

حديث من اتخذ ديكًا أبيض في منزله حفظ من شر ثلاثة الكافر والكاهن والساحر (أخرجه الديلمي) من حديث معاوية بن حيدة.

قال الشيخ: وأخرج مثله عن أثوَب بنُ قانع في معجمه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر.

باب ما وضع في السمك

حديث أكل السمك يذهب الحسد (حا) من حديث أبي أمامة فيه العلاء بن مسلمة الرواس وغيره من المجروحين.

حديث من أكل السمك فليتمر قال السخاوي في المقاصد: باطل.

باب ما وضع في الشاة

حديث من كانت في بيته شاة كانت في بيته بركة ومن كانت في بيته شاتان كانت في بيته بركتان ومن كانت في بيته ثلاث شياه اعتزل من الفقر وفرشت على بيته الملائكة تقول رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (مر) من حديث أبي هريرة وفيه عمر بن داود عن سنان بن أبي سنان وهما مجهولان والمعلى بن ميمون متروك.

باب ما وضع في الغنم

حديث ابن عباس أمر رسول الله (ﷺ) الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج (عد عق) ولا يصح ففي سند الأول علي بن عروة وفي سند الثاني غياث بن إبراهيم.

باب ما وضع في النعجة

حديث إنَّ لكل شيء خيرة وخيرته في البقل الهندبا ومن الغنم النعجة ومن بني آدم أنا (خط) عن أبي البختري مرسلًا.

وأبو البختري كذاب. وكذا راويه عنه أبو الخير.

باب ما وضع في ذبائح الجن

حديث أبي هريرة أنَّ رسول الله (ﷺ) نهى عن ذبائح الجن (حب) فيه عبدالله بن أذينة.

باب ما وضع في الطير عامة

حديث لا بأس بأكل كل طير ما خلا البوم والرخم (قا) من حديث ابن عمر من طريق عبدالله بن زياد بن سمعان.

باب ما وضع في الدجاج

حديث ابن عباس أمر رسول الله (ﷺ) الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج (عد عق).

لا يصح في الأول علي بن عروة وفي سند الثاني غياث بن إبراهيم.

حديث الدجاج غنم أُمتي لا يصح.

باب ما وضع في الأضحية

حديث استفرهوا ضحاياكم فإنها مطاياكم على الصراط قال السخاوي في المقاصد: ضعيف جدًا.

قال الشيخ: قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا يصح في فضائل الأضحية شيء.

باب ما وضع في البيض

حديث علي عند ابن السني في الطب أنَّ رجلًا شكى إلى النبي (ﷺ)

قلة الولد فأمره بأكل البيض قال: يا رسول الله وأي بيض؟ قال: كل بيض ولو بيض النمل وفيه الفيض بن وثيق.

حديث شكى داود عليه السلام قلة الولد فأوحى الله إليه أن خذ البيض. رواه ابن منده عن عبد الرحمن بن دلهم عن النبي (ﷺ) قال: شكى داود عليه السلام إلى آخر الحديث.

قال ابن منده: هذا حديث منكر وعبد الرحمن بن دلهم مجهول لا تتأكد له صحبة.

حديث ابن عمر عند البيهقي في الشعب أن نبيًا من الأنبياء شكى إلى الله عز جل الضعف فأمره بأكل البيض. قال البيهقي: تفرد ابن الأزهر عن أبي الربيع.

حديث ابن عمر جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فشكى إليه قلة الولد فأمره أن يأكل البيض والبصل (حب) فيه أبو الربيع أدخله إلى أحمد بن أبي طاهر البلدي وأدخله إلى أحمد بن الأزهري.

باب ما وضع في الطين

حديث إنَّ الله خلق آدم من طين فحرم أكل الطين على ذريته (عد) من حديث علي وجابر بن عبدالله معًا وفيه جعفر بن أحمد شيخ ابن عدي وهو وضعه.

حديث من أكل الطين وفته فقد أكل لحم الخنزير وفته.

حديث من أكل من الطين واغتسل به فقد أكل من لحم أبيه آدم واغتسل بدمه (عد) كلاهما من حديث أنس من طريق علي وعنه عبد القدوس بن عبد القاهر واتهم ابن عدي بهما علي بن عاصم.

واتهم الذهبي بهما عبد القدوس.

حديث أكل الطين يورث النفاق (عد) من حديث جابر من طريق جعفر بن أحمد وهو وضعه.

حديث أقسم ربكم ليعذبنَّ آكل الطين كعذاب شارب الخمر.

حديث إن الله ليعذب العبد على أكل الطين لما غير من جسمه (رواهما محمد بن عكاشة) وهو وضاع: الأول من حديث ابن عباس والثاني من حديث البراء بن عازب.

حديث ألا من أكل الطين حاسبه الله على قدر ما نقص من لونه وقوته. ألا من أكل الطين حشا الله بطنه يوم القيامة نارًا على قدر ما أكل من الطين (ابن الجوزة) من حديث ابن عباس وفيه صالح بن محمد الترمذي وفيه أيضًا عاصم بن زمزم البلخي ومقاتل بن الفضل مجهولان.

حديث عائشة أن النبي (ﷺ) قال لها يا حميراء لا تأكلي الطين فإنه يعظم البطن ويصفر اللون ويذهب ببهاء الوجه (ابن الجوزي) من طريق يحي بن هاشم.

قال الذهبي: وهو أشبه بالموضوع.

حديث من أكل الطين فكأنما أعان على قتل نفسه (طب) في الكبير من حديث سلمان من طريق يحي بن يزيد الأهوازي وهو مجهول.

قال الشيخ: وبالجملة فقد قال البيهقي ما نصه: أحاديث تحريم الطين لا يصح منها شيء.

حديث أكل الطين حرامٌ على كل مسلم. (عد) من حديث أنس من طريق خالد بن غسان بن مالك عن أبيه.

باب ما وضع في الحلاوة

حديث المؤمن حلو يحب الحلاوة ومن حرمها على نفسه فقد عصى الله

ورسوله لا تحرموا نعم الله والطيبات (مر) من حديث علي فيه عبيدالله المخزومي غير معروف قال في المقاصد: حديث واه.

حديث من لقم أخاه لقمة حلواء ولم يكن ذلك مخافة من شره ولا رجاء لخيره صرف الله عنه سبعين بلوى في القيامة (خط) من حديث أنس بن مالك وفيه محمد بن الفرخان. (شا) بنحو حديث أنس من حديث أبي هريرة وفيه فضالة بن الحصين وعبدالله بن المثنى ضعيف وزكريا بن يحي متروك.

وأورده المحب الطبري في أحكامه.

حديث أنس بلفظ من لقم أخاه لقمة حلاوة لم يذق مرارة الموقف يوم القيامة (نع) فيه خالد العبدي ويزيد الرقاشي متروك.

حديث من ابتاع مملوكًا فليحمد الله وليكن أول ما يطعمه الحلواء فإنه أطيب لنفسه (عد) من حديث عائشة وفيه الحكم بن عبدالله بن خطاف.

وفيه مسعود بن مسروق البكري ذاهب الحديث.

وأخرجه الخرائطي في مكارمه من طريق معاذ.

حديث قلب المؤمن من حلو يحب الحلاوة (خط) من حديث أبي موسى فيه محمد بن العباس بن سهل. وأخرجه البيهقي في الشعب عن أبي أمامة وقال: منكر في إسناده من هو مجهول.

حديث إذا وضعت الحلواء بين يدي أحدكم فليصب منها ولا يردها (حب) من حديث أبي هريرة. وفيه فضالة بن حصين وهو متهم بهذا الحديث.

حديث المؤمن حلوي والكافر خري. قال في «المقاصد»: باطل لا أصل له.

قال الشيخ: قال الحافظ ابن حجر في «فتاويه»: باطل لا أصل له ولعل السخاوي نقل الحكم من شيخه ابن حجر.

باب ما وضع في الفالوذج

حديث ابن عباس أول ما سمعنا بالفالوذج أن جبريل أتى النبي (ﷺ) فقال: إنَّ أمتك تفتح لهم الأرض وتفاض عليهم الدنيا حتى أنهم ليأكلون الفالوذج.

قال النبي (ﷺ): وما الفالوذج؟ قال: يخلطون السمن بالعسل.

فشهق النبي (ﷺ) شهقة (ابن أبي الدنيا) وفيه عثمان بن يحيى.

قال الأزدي: لا يكتب حديثه.

وأخرج الحديث ابن ماجه.

باب ما وضع في العسل

حديث عائشة أُتي رسول الله (ﷺ) بقدح فيه لبن وعسل.

فقال: شربتان في شربة وأدمان في قدح لا حاجة لي فيه. أما إني لا أزعم أنه حرام ولكن أكره أن يسألني الله عز وجل عن فضول الدنيا يوم القيامة أتواضع فمن تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه ومن استغنى أغناه الله ومن اكثر ذكر الله أحبه الله (قط) من طريق نعيم بن مورع تفرد به.

قال الهيثمي في «المجمع» فيه محمد بن عبد الكبير بن شعيب لم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

حديث أول رحمة ترفع من الأرض الطاعون وأول نعمة ترفع من الأرض العسل (حب) من حديث ابن عمر وفيه علي بن عروة.

باب ما وضع في الإطريفل

حديث ابن عباس: كنا عند رسول الله (ﷺ) وأكل مرًّا.

فسألناه عن الدواء؟

فقال: هذا الإطريفل.

قلنا: وما الإطريفل؟

قال: إهليلج أسود وبليلج وأملج يغلى بسمن البقر ويعجن بالعسل.

(مر) فيه أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس عن أبيه عن جده. غير معروفين.

باب ما وضع في الخل

حديث من تأدم بالخل وكل الله به ملكين يستغفران الله له إلى أن يفرغ من تأدمه (كر) من حديث انس وفيه الحسن بن علي الدمشقي.

باب ما وضع في اللبن

حديث عائشة أُتيَ رسول الله (ﷺ) بقدح فيه لبن وعسل.

فقال: شربتان في شربة وأُدمان في قدح لا حاجة لي فيه. الحديث مر في باب ما وضع في العسل.

باب ما وضع في التمر البرني

حديث جاءني جبريل فأومأ إليَّ بتمرة فقال: ما تسمون هذا في أرضكم؟

قلت: نسميه تمر البرني.

قال: كله فإنَّ فيه سبع خصال: أوله يطيب المعدة والثاني يهضم الطعام والثالث يزيد في الفقار يعني ماء الظهر والرابع يزيد في السمع والخامس يخبل شيطانه والسادس يقربه إلى الله ويباعده من الشيطان والسابع خير تمراتكم

البرني (عد) من حديث علي وفيه سفيان بن وكيع وكان إذا لقن تلقن.

حديث ابن عمر قدم وفد البحرين فأهدوا للنبي (ﷺ) جلة من تمر فقال: ما تسمون هذا؟

قالوا: هو البرني.

قال: أتاني جبريل فيه آنفًا فقال: يا محمد كل البرني ومر أُمتك أكله فإن فيه سبع خصال يهضم الطعام وينشط الإنسان ويخبل الشيطان ويقرب من الرحمن ويزيد ماء الظهر ويذهب بالنسيان ويطيب النفس وخير تمركم البرني (عد) من طريق جعفر بن أحمد وقال: وضعه جعفر.

حديث عليكم بالتمر البرني فإنه يشبع الجائع ويدفي العريان (عد) من حديث أبي هريرة من طريق حسين بن علوان.

حديث خير تمركم البرني يخرج الداء ولا داء فيه (عد) من حديث علي وفيه إسحاق بن أبي فروة متروك.

ومن حديث بريدة وفي عقبة بن عبدالله الأصم الرفاعي ينفرد بالمناكير عن المشاهير.

باب ما وضع في التمر عامة

حديث عائشة أنَّ رسول الله (ﷺ) أراد أن يشتري غلامًا فألقى بين يديه تمرًا فأكل وأكثر فقال النبي (ﷺ): كثرة الأكل شؤم وأمر برده (عد) وفيه ابن إسحاق الشيباني قال ابن عدي: هو إبراهيم بن هراسة وأخرجه البيهقي من هذا الطريق في الشعب.

حديث عليّ أنَّ النبي (ﷺ) قال له يا علي نحن قوم تمريون وأعداؤنا نبيذيون خلقوا من طينة الخبال (نجا) وفيه محرن الكاتب وغيره مجاهيل.

حديث كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود (عد) من حديث ابن

عباس ولا يصح فيه عصمة بن محمد.

حديث أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها ذلك حليمًا فإنه كان طعام مريم حين ولدت عيسى عليه السلام ولو علم الله طعامًا كان خيرًا لها من التمر لأطعمها إياه (خط) من حديث أنس وفيه داود بن سليمان الجرجاني وسليمان بن عمرو النخعي.

حديث من أسمك فليتمر باطل.

حديث العنب دُو دُو - يعني مثنى مثنى - والتمر يك - يعني واحدًا.

قال في المقاصد: مشهور عند العجم ولا أصل له.

باب ما وضع في الحشف

حديث تعشوا لو بكف من حشف فإن ترك العشاء مهرمة. (الترمذي) وقال: هذا حديث منكر لا نعرفه إلا من هذا الوجه وعنبة يضعف في الحديث. وعبد الملك بن علان مجهول.

باب ما وضع في البلح

حديث كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان إذا رآه غضب وقال عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق (عد) من حديث عائشة وفيه أبو زكير وعنه محمد بن شداد.

قال الذهبي في تلخيص الموضوعات: ينبغي أن يخرج من الموضوعات وقال: هو منكر.

باب ما وضع في الرطب

حديث عائشة قال لي رسول الله (ﷺ) يا عائشة إذا جاء الرطب فهنيني

(أبو بكر الشافعي) من طريق حسان بن سياه تفرد به عن ثابت وهو يحدث بما لا يتابع عليه.

حديث لو علم الناس وجدي بالرطب لعزوني فيه إذا ذهب. (قت) من حديث عائشة وفيه خمسة على نسق ما بين ضعيف وكذاب.

قال الشيخ: قال الحافظ ابن حجر: هو ظاهر البطلان والعهدة فيه عندي على محمد بن سعيد الكزبراني أو شيخه مجاشع بن عمرو.

باب ما وضع في النبيذ

حديث عليّ أنَّ النبي (ﷺ) قال له يا علي نحن قوم تمريون وأعداؤنا نبيذيون خلقوا من طينة الخبال (نجا) فيه محرز الكاتب وغيره ممن لم يعرفوا.

باب ما وضع في الخمر

حديث المؤمن حلوي والكافر خمري.

قال الحافظ: باطل لا أصل له.

باب ما وضع في اللبان

حديث عليكم باللبان فإنه يمسح الحزن من القلب كما يمسح الأصبع العرق عن الجبين وإنه يشد القلب ويزيد في العقل ويذكي الذهن ويجلو البصر ويذهب النسيان (مر) من حديث ابن عباس وفيه محمد بن إبراهيم بن عمرو بن يوسف.

قال ابن منده: كان صاحب مناكير.

باب ما وضع في العلك

حديث ست يورثن النسيان سؤر الفأر وإلقاء القملة وهي حية والبول في الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض ويحل ذلك اللبان الذكر (عد) من حديث عائشة وفيه الحكم بن عبدالله الأيلي.

باب ما وضع في اللبان الذكر

حديث ست يورثن النسيان (الحديث السابق).

باب ما وضع في الملح

حديث عليّ أن النبي (ﷺ) قال له: يا علي عليك بالملح فإنه شفاءٌ من سبعين داء أقلها الجذام والبرص والجنون (ابن الجوزي) وفيه أحمد بن عامر وعنه ابنه عبدالله وآفته إحداهما فإنهما يرويان عن أهل البيت نسخة كلها باطلة.

حديث الأوز في الطعام كالسيد في القوم والكراث في البقل بمنزل الخبز في الطعام وعائشة في العالمين كالثريد في الطعام وأنا في الأنبياء كالملح (مر) من حديث علي وفيه الحارث الأعور.

حديث عن علي موقوفًا من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعًا من البلاء (البيهقي) موقوفًا في الشعب.

حديث استفتحوا طعامكم بالملح فوالذي نفسي بيده إنه ليرد ثلاثًا وسبعين من البلاء أو قال من الداء (ابن منده في أخبار أصفهان) من حديث سعد بن معاذ هو من طريق إبراهيم بن حيان.

باب ما وضع في الماء

حديث شرب الماء على الريق يعقد الشحم (خط) من حديث أبي هريرة من طريق عاصم بن سليمان الكوزي وهو المتهم به.

حديث البركة في صغر القرص وطول الرشا وصغر الجدول قال النسائي: هذا حديث كذب.

باب ما وضع في الشرب من فضل الوضوء

حديث الشرب من فضل وضوء المؤمن فيه شفاء من سبعين داء أدناها اللمم (مر) من حديث أبي أمامة وفيه محمد بن إسحاق العكاشي.

باب ما وضع في العنب

حديث ابن عباس أن النبي (ﷺ) كان يأكل العنب خرطًا (عق) من طريق داود بن عبد الجبار.

حديث لكم في العنب خمسة أشياء حلال تأكلونه عنبًا وتشربونه عصيرًا ما لم ينش وتتخذون منه زبيبًا وربًا وخلًا (عق) من حديث أبي هريرة ولا يصح فيه إسحاق بن وهب وإسماعيل بن مسلم السكوني والذي في اللسان اليشكري.

حديث عائشة قال رسول الله (ﷺ) عليكم بالمرازمة قيل وما المرازمة؟

قال: أكل الخبز مع العنب فإنّ خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز (عد) من طريق عمرو بن خالد الأسدي.

حديث ربيع أمتي العنب والبطيخ (ابن الجوزي) من حديث ابن عمر وفيه محمد بن الضوء.

حديث كلوا العنب حبة حبة فإنه أهنأ وأمرأ (مر) من حديث علي وفيه أحمد بن علي بن مهدي.

باب ما وضع في البطيخ

حديث ماؤها رحمة وحلاوتها مثل حلاوة الجنة يعني البطيخ (ابن الجوزي) من حديث ابن عباس وفيه هناد النسفي ومجاهيل قال ابن الجوزي وأنا أتهم به هنادًا فإنا سمعنا عنه أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة في فضائل البطيخ لم نجدها عند غيره وكلها محال ولا يصح في فضائل البطيخ شيء إلا أن رسول الله (ﷺ) أكله.

حديث البطيخ يغسل البطن غسلًا ويذهب بالداء أصلًا (كر) من حديث بعض عمات النبي (ﷺ) وفيه أحمد بن يعقوب بن عبد الجبار القرشي وهو المتهم به.

حديث تفكهوا بالبطيخ وعظموه فإن حلاوة من حلاوته الجنة وماؤه رحمة فمن أكل لقمة من البطيخ كتب الله له سبعين ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة ورفع له سبعين ألف درجة لأنه أخرج من الجنة (مر) و(النوقاني) أبو عمر وفي جزء البطيخ من حديث علي وفي سند الأول مقاتل بن محمد مجهول وفي سند الثاني نجم بن عبدالله مجهول أيضًا وقد اتهم به ابن الجوزي هناد النسفي.

حديث ابن عباس أهدي إلى النبي (ﷺ) بطيخ من الطائف فأخذه وشمه ثم وضعه وقال عظموا البطيخ فإنه من حلل الأرض ماؤه شفاء وحلاوته من الجنة (النوقاني) في جزء البطيخ.

وفيه عطاء بن موسى السمرقندي مجهول.

باب ما وضع في القثاء

حديث من أكل القثاء بلحم وُقي الجذام (عد) من حديث أنس وفيه علي بن معمر القرشي اتهمه به ابن عدي.

حديث من ابتدأ بأكل القثاء فليأكل من رأسها (فت) من حديث عبدالله ابن جعفر وفيه أصرم بن حوشب وإسحاق بن واصل.

قال الذهبي في ميزان الاعتدال: في ترجمة إسحاق: هذا من بلاياه.

حديث إذا أكلتم القثاء فكلوه من أسفله ولا تأكلوه من رأسه فإن البركة تأتي من رأسه (مر) وابصة بن سعيد فيه عبد الملك بن حصين.

قال أبو زرعة: لا يكتب حديثه وشيخه العجاج بن سميع لم أعرفه.

باب ما وضع في الرمان

حديث ما من رمانة من رمانكم هذا إلا ويلقح بحبة من رمان الجنة (عد) (ابن الجوزي) من حديث ابن عباس ولا يصح في الأول محمد بن الوليد بن أبان. وفي الثاني عبد السلام بن عبيد.

حديث عليكم بالرمان فكلوه بشحمه فإنه دباغ المعدة وما من حبة تقع في جوف الرجل إلا أنارت قلبه وحرسته من شياطين الوسوسة أربعين صباحًا (مر) من حديث علي. فيه مجاهيل منهم سليمان بن عبدالله ابن عمر وجماعة.

باب ما وضع في التفاح

حديث ست يورثن النسيان سؤر الفأر وإلقاء القملة وهي حية والبول في الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض وكل ذلك اللبان الذكر (عد) من حديث عائشة وفيه الحكم بن عبدالله الأيلي.

باب ما وضع في الباذنجان

حديث ابن عباس كنا في وليمة رجل من الأنصار فأتى بطعام فيه باذنجان فقال رجل من القوم: يا رسول الله إن الباذنجان يهيج المرار. فأكل رسول الله (ﷺ) باذنجانة في لقمة وقال: إنما الباذنجان شفاء من كل داء ولا داء فيه (ابن الجوزي) من طريق أحمد بن محمد بن حرب الملحمي وهو آفته.

حديث كلوا الباذنجان فإنها شجرة رأيتها في جنة المأوى شهدت لله بالحق ولي بالنبوة ولعلي بالولاية فمن أكلها على أنها داء كانت داء ومن أكلها على أنها دواء كانت دواء (الديلمي) عن أبي هريرة مرفوعًا.

حديث كلوا الباذنجان وأكثروا منه فإنه أول شجرة آمنت بالله (الديلمي) عن أنس مرفوعًا.

قال ابن ناصر الدين: وليتهما لم يخرجاه (يعني الديلمي وابنه) أو بينا وضعهما. فإنهما من الموضوع الذي لا يلتفت إليه وقد لفق الحديثين بعض الكذابين.

حديث الباذنجان لما أكل له قال في المقاصد: موضوع باطل.

باب ما وضع في الفجل

حديث إذا أكلتم الفجل وأردتم أن لا يوجد له ريح فاذكروني عند أول قضمة (مر) من حديث ابن مسعود. وفيه انقطاع وفيه أيضًا عبدالله بن يحي شيخ لبقية قال في المفتي: مجهول.

وقال السخاوي في القول البديع: لا يصح.

باب ما وضع في العدس

حديث عليكم بالعدس فإنه مبارك وإنه يرق له القلب ويكثر الدمعة وإنه

قد بارك فيه سبعون نبيًا (ابن الجوزي) من حديث علي وفيه عبدالله بن أحمد بن عامر وأبوه وآفته إحداهما.

حديث قدس العدس على لسان سبعين نبيًا منهم عيسى ابن مريم يرق له القلب ويسرع الدمعة (ابن الجوزي) من حديث عبد الرحمن بن دلهم وفيه عيسى بن شعيب متروك وابن دلهم ليس بصحابي قال ابن المبارك لما سئل عن هذا الحديث: ولا على لسان نبي واحد وإنه لمؤذٍ منفخ.

حديث أبي هريرة أن نبيًا من الأنبياء شكى إلى الله قساوة قلوب قومه فأوحى الله إليه وهو في مصلاه أن مر قومك أن يأكلوا العدس فإنه يرق القلب ويدمع العينين ويذهب الكبر وهو طعام الأبرار (ابن السني في الطب) وفيه يحي بن حوشب منكر الحديث.

باب ما وضع في البصل

حديث ابن عمر جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فشكى إليه قلة الولد فأمره أن يأكل البيض والبصل (حب) وفيه محمد بن يحي بن ضرار المازني.

حديث يا علي إذا تزودت فلا تنس البصل.

قال السخاوي: هذا كذب كخبر عليكم بالبصل فإنه يطيب النطفة ويصح الولد.

باب ما وضع في الفول

حديث من أكل فولة بقشرها أخرج الله منه من الداء بقدرها (قط) (عد) من حديث عائشة ولا يصح. في الأول بكر بن عبدالله.

وفي الثاني عبدالله بن عمر الخراساني مجهول وتابعها عبد الصمد بن مطير وكأنه سرقه وغير إسناده.

وقال ابن عدي: هذا باطل.

باب ما وضع في الباقلاء

الباقلاء لا يصح فيه شيء.

باب ما وضع في الكراث

حديث الأوز في الطعام كالسيد في القوم والكراث في البقل بمنزلة الخبز في الطعام وعائشة في العالمين كالثريد في الطعام وأنا في الأنبياء كالملح (مر) من حديث علي وفيه الحارث الأعور.

باب ما وضع في الكرفس

حديث الحسن بن علي أن النبي (ﷺ) قال له: يا بني كل الكرفس فإنها بقلة الأنبياء معفو عنها وهي طعام الخضر وإلياس والكرفس يفتح السدد ويذكي القلب ويورث الحفظ ويطرد الجنون والجذام والبرص والجن (مر) وفيه علي بن سليمان عن الثوري وهو مجهول وعنه الوليد بن محمد بن الوليد الأنطاكي مجهول أيضًا.

باب ما وضع في الجرجير

حديث بئست البقلة الجرجير من أكل منها ليلًا حتى يتضلع بات ونفسه تنازعه ويضرب بعرق الجذام من أنفه كلوها بالنهار وكفوا عنها ليلًا (عد) من حديث عطية بن بسر وأكثر رواته مجاهيل.

حديث من أكل الجرجير ليلًا ثم بات، بات الجذام يتردد في جلده. وآفته مسعدة بن اليسع.

حديث الحوك بقلة طيبة كأني أراها نابتة في الجنة والجرجير بقلة خبيثة كأني أراها نابتة في النار (الحارث) من حديث واثلة وفيه عبدالله بن عبد الرحمن الشامي مجهول وقيل ضعيف.

حديث أبي المهاجر عند أبي نعيم في الطب أن النبي (ﷺ) كره أكل الجرجير ليلًا.

قلت: فيه شيخه أحمد بن جعفر وضاع.

باب ما وضع في الحلبة

حديث لو يعلم الناس ما لهم في الحلبة لاشتروها بوزنها ذهبًا (عد) من حديث معاذ ولا يصح فيه بقية مدلس وعنه جحدر.

باب ما وضع في الجبن والجوز

حديث الجبن داء والجوز داء فإذا صارا في الجوف صارا شفاءين (حا) من حديث ابن عباس من ثلاثة طرق وقال: هذا حديث منكر.

وأخرجه الخطيب من طريق محمد بن هارون الهاشمي وقال: هذا حديث منكر وقال ابن عساكر: هو من وضع محمد بن هارون. ونسب ابن حجر وضعه إلى محمد بن عبدالله الشيباني.

باب ما وضع في الهريسة

حديث معاذ بن جبل: قلت يا رسول الله أتيت من الجنة بطعام؟ قال: نعم أتيت بالهريسة فأكلتها فزادت في قوتي قوة أربعين وفي نكاحي نكاح أربعين (عق) من طريق محمد بن الحجاج وهو الواضع له.

باب ما وضع في الهندباء

حديث إنَّ لكل شيء خيرة وخيرته في البقل الهندباء. ومن الغنم النعجة ومن بني آدم أنا (خط) عن أبي البختري مرسلًا وهو كذاب وكذا راويه عنه.

حديث الهندباء من الجنة (عد) من حديث انس وفيه عقبة بن عبد الرحمن.

حديث فضل البنفسج على الهندباء كفضل الإسلام على سائر الأديان وما من ورقة من الهندباء إلا عليها قطرة من الجنة (نع) من حديث الحسين بن علي وفيه محمد بن يونس الكديمي وعمر بن حفص حرق أحمد حديثه.

باب ما وضع في الأرز

حديث لو كان الأرُز رجلًا لكان حليمًا. قال في المقاصد: موضوع قلت: ووضعه متواتر.

حديث نعم الدواء الأرُز صحيح سليم من كل داء قال في المقاصد لا يصح.

باب ما وضع في السذاب وبقلة الباذروج

حديث من أكل السذاب ونام عليه نام آمنًا عن الداء والدبيلة وذات الجنب ومن أكل الهندباء ونام عليه لم يحك فيه سم ولا سحر ولا يقربه شيء من الدواب حية ولا عقرب ومن أكل من بقلة الباذروج أمر الله الملائكة يكتبون له الحسنات حتى يصبح (مر) من حديث عائشة فيه موسى بن جعفر بن سالم الجعفي مجهول.

باب ما وضع في الفواكه عامة

حديث من أكل الفاكهة وترًا لم تضره (مر) من حديث ابن عباس وفيه إبراهيم بن الفضل الغساني مجهول.

حديث عليكم بالفواكه في الإقبال فإنها مصحة الأبدان مطردة للأحزان واتقوها في الأدبار فإنها داء للأبدان (مر) من حديث ابن عمر وفيه حفص بن يحيى بن مسكة بن ماهويه مجهول.

باب ما وضع في البقل عامة

حديث أحضروا موائدكم البقل فإنه مطردة للشيطان مع التسمية (حب) من حديث أبي أمامة وفيه العلاء بن مسلمة.

باب ما وضع في المعدة

حديث المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم (عق) من حديث أبي هريرة وقال باطل لا أصل له وإنما يروى عن ابن أبجر.

قال الدارقطني: تفرد برفعه إبراهيم بن جريج ولم يسنده غيره وكان طبيبًا فجعل له إسنادًا.

باب ما وضع في الأطعمة عامة

حديث من أكل مع مغفور له غفر له قال ابن تيمية: موضوع.

حديث إذا لعق الرجل القصعة استغفرت له القصعة فتقول: اللهم اعتقه من النار كما أعتقني من الشيطان (شا) من حديث أنس من طريق سمعان بن مهدي.

حديث الأكل مع الخادم من التواضع ومن أكل معه اشتاقت إليه الجنة (مر) من حديث أم سلمة من طريق جعفر بن محمد الحسين صاحب كتاب العروس.

حديث علي: دُعي النبي (ﷺ) إلى وليمة فقال: يا علي مر بنا نأكل كسرة نسد بها كلب الجوع ولتحسن مواكلتنا مع الناس (مر) من حديث الحسن عن علي وفيه أبو علي الطوسي مجهول.

حديث من أكل طعام متق نقى الله قلبه من الحرام أربعين سنة وكتب الله له عبادة أربعين سنة (نع) من حديث أنس من طريق أبي هدبة.

حديث من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله له صلاة أربعين ليلة ولم يستجب له دعوة أربعين صباحًا وكل لحم ينبته الحرام فالنار أولى به وإن اللقمة الواحدة من الحرام لتنبت اللحم (مر) من حديث ابن مسعود وفيه الفضل بن عبدالله بن مسعود اليشكري الهروي قال ابن حبان لا يحتجّ به وقال ابن حجر في اللسان هذا حديث منكر.

حديث ما من مائدة عليها أربع خصال إلا كملت: إذا أكل قال: بسم الله الرحمن الرحيم وإذا فرغ قال: الحمد لله وكثرة الأيدي عليها وكان أصلها حلالًا (أبو عبد الرحمن السلمي) من حديث ابن عباس وفيه عمرو بن جميع.

حديث من وجد كسرة من طعام أو مما يؤكل فأماط عنها الأذى ثم أكلها كتبت له سبعمائة حسنة وإن هو أماطها ثم رفعها كتبت له سبعون حسنة (مر) من حديث ابن مسعود وفيه يوسف بن السفر.

حديث ما بات قوم شباعًا إلا حسنت أخلاقهم ولا بات قوم جياعًا قط إلا ساءت أخلاقهم ومن قل أكله قل جسده (الشيرازي) في الألقاب من حديث علي وفيه الحارث الهمداني.

حديث من سره أن يخلص نفسه من إبليس فليذب شحمه ولحمه بقل الطعام والتفكر فإن من قلة الطعام حضور الملائكة وكثرة التفكر فيما عند الله

عز وجل (مر) من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن بجير.

حديث أبلوا أجسامكم بالجوع والعطش وأفنوا لحومكم وأذيبوا شحومكم تستبدلوا لحومًا طيبة محشوة بالمسك والكافور في الجنة (مر) من حديث أنس وفيه إسماعيل بن أبي زياد الشامي.

حديث ما من زرع على الأرض ولا ثمرة على الأشجار إلا عليها بسم الله هذا رزق فلان بن فلان وذلك قوله تعالى: وما تسقط من ورقة إلا يعلمها. (حا) من حديث ابن عمر قال في الميزان هذا باطل.

وقد تفرد به حمويه بن الحسين بن معاذ وهو غير مقبول.

حديث الحسن يا بني نم على قفاك يخمص بطنك وخذ من شعرك تحسن رقبتك واكتحل يضئ بصرك وادهن غبًا سنة نبيك وادهن بالبنفسج (مر) وفيه عيسى بن سليمان عن الثوري وهو مجهول.

حديث من أكل ما يسقط من المائدة لم يزل في سعة من رزقه (قط) في الغرائب من حديث أبي هريرة وفيه أحمد بن سليمان الحراني.

حديث خير الغذاء بواكره وأطيبه أوله وأنفعه (يخ) من حديث أنس وفيه عنبسة بن عبد الرحمن.

حديث إن من السرف أن تأكل كلما اشتهيت (قط) من حديث أنس ولا يصح فيه يحيى بن عثمان ونوح بن ذكوان وكل منهما منكر الحديث.

حديث النفخ في الطعام يذهب البركة (أبو سعيد النقاش) من حديث عائشة وفيه عبدالله بن الحارث الصنعاني.

حديث ابن أخي الزهري عن امرأته عن أبيها كان النبي (ﷺ) يأكل بكفه كلها (ابن الجوزي) وقال المرأة مجهولة وأبوها لا يعرف.

حديث أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسوا له قلوبكم (عد) من حديث عائشة من طريق أصرم بن حوشب وأخرجه البيهقي وقال منكر في الشعب.

حديث من نسي أن يسمّي على طعامه فليقرأ قل هو الله أحد إذا فرغ (عد) من حديث جابر وفيه حمزة النصيبي.

حديث تعشوا ولو بكف من حشف فإن ترك العشاء مهرمة (الترمذي) عن أنس وفيه عنبسة بن عبد الرحمن وعبد الملك بن علاق مجهول.

حديث الأكل في السوق دناءة (عد) من حديث أبي هريرة وفيه محمد بن الفرات.

حديث إن من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه من شرب من سؤر أخيه ابتغاء وجه الله رفعت له سبعون درجة ومحيت عنه سبعون خطيئة وكتب له سبعون حسنة (قط) من حديث ابن عباس وفيه نوح بن أبي مريم.

حديث إن أهل البيت ليقل طعامهم فتستنير بطونهم (عق) من حديث أبي هريرة ولا يصح فيه الحسن بن ذكوان قال أحمد: أحاديثه باطلة.

حديث إذا دُعي أحدكم إلى طعام فلم يرده فلا يقل هنيئًا فإن الهنيء لأهل الجنة ولكن ليقل أطعمنا الله وإياكم طيبًا (قط) من حديث ابن عباس ولا يصح فيه متروكون.

قال في تلخيص الموضوعات: هذا باطل.

حديث ارضَ من الدنيا بالقوت فإن القوت لمن يموت كثيرًا في سنده صالح المري وهو منكر الحديث ومتروك.

وعامة أهل الحديث ينكرون عليه أحاديثه.

حديث أمر بتصغير اللقمة في الأكل وتدقيق المضغ.

قال السخاوي لا يصح.

حديث إنَّ الله نقل لذة طعام الأغنياء إلى طعام الفقراء قال في المقاصد: موضوع.

الأنفاس اللطيفة
المنبعثة على حروف السور الشريفة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. المتفضل بجوده على عباده المحسنين الصادق المتفضل بصدقه على الصادقين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فهذه رسالتنا في «علم الحروف». أودعنا فيها خلاصة هذا العلم وقد جمعنا فيها بين قول المحجوب والمكاشف. وأهل الظاهر وأهل الباطن حتى تتم الفائدة للكل، وسميناها: الرسالة البديعة المسماة: «الأنفاس اللطيفة المنبعثة على حروف السور الشريفة».

والله الموفق

فصل

اعلم أيدني الله وإياك بروح منه أن أهل التفسير وصناع الكلام لهم أقاويل فاقت في كثرتها بسبب الحروف المنفصلة التي بأوائل السور الشريفة. وهم لهم أوجه عديدة اختلفوا فيها على مذهبين:

«فأول» هذه المذاهب هو مذهب أهل الظاهر.

«والثاني» مذهب أهل الحقائق العارفين.

والمذهبان هما مذهب السلف: « منهم » مَنْ أَوَّلَ. « ومنهم » من أعرض عن التأويل.

فمن أوجه أهل المذهبين المفسرة للأحرف التي في بدايات السور: « قولهم »: هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله تعالى ولم يفسروها وهذا مذهب الخلفاء الراشدين الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

« ومنهم »: من قال هي مسميات للقرآن وهذا مذهب عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم رضي الله عنه.

وهذا المذهب مذهب غالب المؤوّلين والنحويين كالزمخشري حيث وافق على هذه النظرة.

وكذا نقل هذا المذهب عن سيبويه حكاه عنه الزمخشري في « الكشاف ». قال مجاهد رضي الله عنه: الم وحم والمص وهي فواتح افتتح الله بها القرآن. ونقل عنه قوله: الم اسم من أسماء القرآن. والحاصل أنَّ من أطلق الأحرف وألحقها بمسميات القرآن. إنما أطلقها على مراتب:

« فمنهم »: من قال هي اسم القرآن بعينه.

« ومنهم »: من قال هي اسم للسور القرآنية بعينها. وصاحب هذا المذهب جعل هذه الحروف أسماء للسور اختصت بها دون المجموع القرآني ككل. فجعل كل حرف يختص بالسورة التي ورد فيها دون القرآن كله. « ومن المفسرين » من قال: هي اسم الله الأعظم.

وهذا من مذاهب ابن عباس والشعبي رضي الله عنهما قال ابن عباس رضي الله عنه: ألم اسم من أسماء الله الأعظم.

روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن شعبة قال: سألت السدي عن حم وطس والم؟ فقال: قال ابن عباس: هي اسم الله الأعظم.

وذهب «فريق آخر» إلى جعل هذه الحروف على أنها قسم صدر من الحق تعالى. وروي هذا عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله عنه أنه قال: ألم قسم.

«ومنهم»: من وجه الحروف على أنها خطاب من الحق تعالى.

وروي هذا الوجه عن ابن عباس رضي الله عنه. روي عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ألم قال أنا الله أعلم.

وكذا روي هذا المذهب عن سعيد بن جبير والسدي رضي الله عنهما.

«ومنهم»: من جعل هذه الحروف مدلولاً على أسمائه سبحانه وتعالى وصفاته.

«ومنهم»: مَنْ أَوَّلَ هذه الحروف وأرجعها إلى أسماء من أسماء الحق تعالى. فقيل الألف يدل على اسمه (الله). وقيل اللام مدلول على اسمه (لطيف). وقيل الميم مدلول على اسمه (مجيد). فالألف آلاء الله. واللام لطفه. والميم مجده.

«ومنهم»: مَنْ أَوَّلَ الحروف وربطها بعدد السنين. كما حكى ذلك ابن كثير في «تفسيره». قال: الألف سنة. واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. وهو ضعيف لا يصح.

«ومنهم»: من أرجع الحروف على أنها تمجيد وتسبيح للجناب الإلهي كما افتتحت سور كثيرة.

«ومنهم»: من أطلق الحروف على غالب الكناية.

كما حكي ذلك عن أبي العالية رحمه الله. لأن الكلمة الواحدة تطلق على معان كثيرة. كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد بها الدين. كقوله تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾. وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾.

وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى: ﴿وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾. وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى: ﴿وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة﴾ أي بعد حين، وقيل: لا يصح استشهاد أبي عالية في هذا الموطن. لكون الحروف تمايز عن الكلام.

« ومن أهل اللغة »: من أولّ الحروف فقال: هي حروف من المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفاً. كما يقول القائل ابني يكتب في - ا ب ت ث - أي حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها وهذا ضعيف.

« وقال بعضهم »: إنما ذكرت الحروف في أوائل السور حتى تعرف بها أوائل السور وقيل حتى تعرف بها السور نفسها. وهذا نضعفه نحن في مذهبنا لكون الفصل حاصلًا بدونها.

« وقال غيرهم »: إنما ذكرت في أوائل السور لكي تميز ابتداء القراءة وتشد انتباه السامع.

« وقيل »: إنما ذكرت الحروف في أوائل السور تحدياً للكفار. وهذا معظم مذهب أهل النحو كالزمخشري والمبرد والفراء وقطرب والزجاج. وكون الحق تعالى ذكر هذه الحروف فيه دلالة على عجزهم البين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن. وقد قرر هذا ابن كثير في « تفسيره » وانتصر له نقلاً عن شيخه المزي وللطبري رأى مشابه له. وقرره الزمخشري في « كشافه » والبيضاوي وللقرطبي وجه فيه. قال الزمخشري: وفي تكرار بعض الحروف في عدة سور تبكيت واستهزاء بالكفار كما كررت قصص كثيرة في القرآن. اهـ.

« ومنهم »: من جعل هذه الحروف على استخراج حوادث الزمان ومواقعه وفتنه ومصالحه ومضاره ومنافعه. وهذا باطل أيما بطلان ونحن لا نقر هذا إلا لولي مفتوح عليه ونعترف ببطلانه في تفسير هذه الحروف.

« ومن أهل الأهواء » من جعل الحروف لها تعلّق بأسماء الملائكة. فجعلوها

في كتب ومجلدات الطب والأحجبة لمداواة المرضى.

إن كانت هذه أسماء فهي أسماء الحق تعالى لا غير لا للمخلوق.

« ومن أهل الأهواء »: من ادعى هذا للجن فذكرها في كتب الشعوذة والسحر وهذا بطلانه بائن.

« ومن أهل الحقائق »: من ربط الحروف بمدارات الفلك والكواكب. والطلسمات.

« ومنهم »: من جعل الأحرف رمزاً لعلم معين من علوم الحق تعالى اختص به أهل الولاية والتحقق دون غيرهم.

« ومن أهل الولاية »: من جعل هذا العلم من علوم اللوح.

فصل

والمذكور من الحروف التي وردت بالمعجم في القرآن أربعة عشر حرفاً هي « ا ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن » يجمعها قولك: ـ نص حكيم قاطع له سر ـ وهي نصف عدد الحروف.

وفي هذا سر جليل.

فصل

والحكمة من ذكر الأربعة عشر حرفاً دون الأربعة عشر الأخرى. ما قاله الزمخشري: لكونها مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمهجورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقلة.

قلت: وبالجملة فهذه الحروف الأربعة عشر هي أصول العربية ولبُّها وزبدتها. وحوت كل فنون لغة العرب وبدونها تكون اللغة لا شيء. وقد كثرت المشتقات من هذه الحروف. حتى أن هٰذه الحروف يتكون منها غالب

المعجم. وعلة الزمخشري التي حكاها إنما هي علة بيانية لفظية. أما العلة المبطونة، فعلمها عند أهل الذوق أسلم. يرجع فيها إلى أهل الأسرار العوالي من العارفين بالله. وهم ملوك هذا الفن. وأرباب هذا الذوق.

فصل

وهذا الفصل ذكرناه في بيان هل يجوز وقوع التفاضل في كلام الحق تعالى؟.

وهل لكلام الحق تعالى رتبٌ ومنازلٌ وهل يتشارف على بعضه؟

وهذا لكون الحق تعالى ذكر أربعة عشر حرفاً دون الأخرى. فهل المذكورة تقتضي الشرف والفضل والخير.

والعلماء في هذا الهم «مذهبان»: «فمذهب» قال بتفاضل كلام الله تعالى على بعضه. وحكي هذا المذهب عن إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن العربي وابن الحفار من المالكية. واستدلوا في هذا بحديث رواه الإمام أحمد المروي عن جابر قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد اهراق الماء فقلت: السلام عليك يا رسول الله فلم يرد عليَّ. قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله فلم يرد عليَّ. قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله فلم يرد عليَّ.

قال: فانطلق رسول الله ﷺ يمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كئيباً حزيناً فخرج عليَّ رسول الله ﷺ وقد تطهر فقال: «عليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله ثم قال: «ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأخير سورة في القرآن»؟

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها».

وهو حديث اسناده جيد. «وذهبت طائفة» إلى القول بنفي التفاضل في

القرآن من هؤلاء أبو الحسن الأشعري والباقلاني وابن حبان وروي ذلك عن مالك في بعض رواياته.

قلت: وقد صح عن رسول الله ﷺ تفضيل الكثير من المواطن الكلامية على بعضها في القرآن. فصح أنه فضل آية الكرسي على مجموع آيات القرآن.

روى أحمد عن أبي بن كعب أنَّ النبي ﷺ سأله: «أي آية في كتاب الله أعظم» قال: الله ورسوله أعلم. فرددها مرارًا ثم قال: آية الكرسي. قال: «ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده إن لها لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش».

وكذا رواه مسلم.

وترديد السؤال مرارًا على أُبيٍّ من قبله ﷺ يقتضي تأكيد التفضيل والتعظيم وكون الصحابة لهم يدٌ في معرفة التفضيل الكلامي هذا يدل على أن هذا المذهب هو الراجح. لما قاله النبي ﷺ لأبي «ليهنك العلم يا أبا المنذر».

وصح عنه ﷺ أنه جعل سورة الإخلاص ثلث القرآن. وهذا ثابت في الصحاح. وصح عنه ﷺ أنه قال: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان». رواه مسلم عن النواس بن سمعان.

فهنا صح التقديم. واعلم أيدني الله وإياك أن التميز لا يقتضي أن القرآن أو الكلام الإلهي في عمومه منه الحسن والرديء أو العالي والسافل. بل القرآن كله في درجة واحدة في الفضل. ولكن تفاضله يكون لأجل غيره لا لقبح أو لنقص فيه. فحاشا لكلام الحق تعالى أن يلحق به مثل هذا.

ومن هذا تمايزت أسماء الحق تعالى فكان فيها الأعظم. الذي هو أفضل أسماء الحق تعالى. وإذا دعي به أجاب. ومن ثم اختلف القوم في معرفته. أي الاسم الأعظم.

ولا بد للحق تعالى أن يكون له اسم أعظم. من أسراره يختص به عباده المخلصين. ويدهش به الغافلين. لكي يعلمهم أن ثم اسمًا له خفي إذا دعي به أجاب لا يعرفه إلا مخلص. فمن هنا يندرج الكل إلى باب الحق تعالى لكي يقوموا في بساط الإخلاص حتى يتحصل لهم سره واسمه الأعظم. فإذا انكشف هذا الاسم لأهل الكمال. فهنا تتشعب النيات. وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

فإن قيل فإن تمايزت الحروف والأسماء والكلام فهل الفضل فيه تمايز في حق الإله وفي حق صفته ورتبته.

« والجواب »: أن لا تمايز في عين الصفة والحرف. لكن في شرفها وغايتها لكون عيون المسميات الإلهية كلها في رتبة واحدة في الشرف والتفضيل. وهذا الذي ميزه عن الخلق.

فقولنا كونه رحيماً أو حكيماً أو جباراً أو كنه الله. كله واجب في حقه لكونه إن سقطت الرحمة والحكمة والجبروت عنه بطلت ربوبيته سبحانه وتعالى عما يشركون.

وكونه اسمه الله فهو ظاهر الاسم الأعظم الذي به تظهر الأسماء وتبطن. فهو الله علم على الذات والصفات.

فأفضل أسمائه تعالى « الله ». ليس في ذات الصفة. بل في شرف الرتبة وغايتها. لأجل خلقه. لا لأجله هو. فهو هو أعلم بنفسه من غيره. وأسماؤه كلها سواء عنده ولا ذمة له.

فصل

واعلم أن الناس في الحروف القرآنية على مذاهب:

« فهناك »: مذهب المحدثين. ودليلهم الحديث.

« وهناك »: مذهب النحويين. ودليلهم لغة العرب ولسانهم وعلم النحو.

« وهناك »: مذهب الساكتين، ودليلهم أن النبي لم يؤوّل فسكتوا كما سكت النبي ﷺ.

« وهناك »: مذهب أهل الحقائق والمعرفة الإلهية ودليلهم الكشف والذوق العالي.

« وهناك »: مذهب البلغاء ودليلهم أصول البلاغة وفن الفصاحة.

« وهناك »: مذهب الشاذين كالرافضة وغيرهم وهؤلاء دليلهم باطل.

« وهناك »: مذهب أهل السحر والشعوذة والطلاسم ودليلهم معروف ومجهول.

« وهناك »: مذهب أصحاب النجوم ودليلهم علم الفلك.

فصل

اعلم أن التفضيل « نوعان »: فتفضيل لعلة. وتفضيلٌ لأجل الذات. وهذا مقصودنا.

فأسماء الحق تعالى وكلامه لا يقع تفاضل بينها في ذاتها. لكون ذواتها واجبة للحق دون الخلق إذ الخلق لا علم لهم بهذا المعنى واعلم أن الحق تعالى كل صفاته شريفة وفاضلة سواءٌ في ذوات عيونها. لا تمايز.

أما العلة فتقوم لأجل الخلق لا لأجله تعالى لكونه هو العلة الأولى. أي السبب الأول. وذاك قوله ﷺ: « كان الله ولا شيء معه ».

فالعلة الأولى هو الحق تعالى. ولولاه لما تعلل الوجود. فهو علة وليس بمعلول.

ومن هنا تفاضلت أسماؤه وصفاته وكلامه تعالى لأجل غيره في الناسوت وفي التجليات. أما من حيث البطون فهو أقدر بنفسه من غيره. وذاك قوله: ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾.

ومن ثَمَّ نقول إذا فضل الحق تعالى نفسه لأجل نفسه أنكر العلة فهي لا تساوي في حقه شيئًا. بل لا تعرف عنده.

ومن ثم نقول إذا فضل الخلق الحق تعالى أقاموا العلة بل يجب إقامتها. لكون عالمهم هو عالم العلل والأسباب الذي هو ظاهر الشريعة. ونحن أمرنا الشارع بظاهر الشرع حتى لا تدخل فيما لا يعنينا.

ومن ثم قال أهل الذوق: «ما عرف الرب مثله».

وقال هو معبراً عن نفسه: ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾. قيل: لِمَ؟

والجواب: لكونهم أقاموا في حقه ما ليس هو له. وهو عالم العلل والحقُ متبرِّئ من هذا المعنى.

فصل

قال الحكيم الترمذي رضي الله عنه في «نوادر الأصول»: إنَّ فواتح السور فيها إشارة إلى ما تضمنته السورة من المعاني ولا يعلم ذلك إلا حكماء الله في أرضه وهم نجباء الحكماء. وهم قوم وصلت قلوبهم إلى الفردانية وتناولوا هذا العلم من مشكاتها. وهو علم حرف المعجم. وبهذه الحروف يعبر عن العلوم كلها. وبالحروف ظهرت أسماؤه حتى عبروا عنها بالألسنة. اهـ.

وقال الإمام أبو زيد بن محمد رضي الله عنه في «شرحه لحزب البر الكبير» للإمام الشاذلي رضي الله عنه: إن علوم الحروف والأسماء من علوم الكشف فلا فائدة في التصرف فيها والكلام عليها ببضاعة العقل بل لا يعرفه من جهله. ولا يجهله من عرفه. وكل على حسب ما فتح له.

ولذلك يتفاوت فيها أهلها ويقع الاختلاف بينها فيما يشيرون إليه فيها. (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل).

ونقل الكركي رضي الله عنه في «لسان التعريف»: أن القطب الدسوقي رضي الله عنه قال: «إنني أشرح في نقطة الباء سبعة أحمال بعَير فتتقطع قلوب

العارفين وتهتز وتميل عند معرفة نقطة الباء». اهـ.

قال الحكيم رضي الله عنه في كتابه «علم الأولياء»: فليس من شيء إلا وقد وسمه الله باسم يدل على مكنون ما فيه من الخبر والجوهر. اهـ وقال رضي الله عنه في كتابه «تحصيل نظائر القرآن»: (فإن العلوم كلها في حروف المعجم لأن مبتدأ العلم أسماء الله ومنها خرج الخلق والتدبير في أحكام الله وحلاله وحرامه والأسماء من الحروف ظهرت وإلى الحروف رجعت). اهـ.

وقال رضي الله عنه في «علم الأولياء»: فلو كان سوى الاسم شيء من العلم يحتاج إليه لعلمه آدم ﷺ فلما علماه الأسماء كلها علمت الملائكة أن جميع العلم داخل فيها. اهـ.

قال الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه في كتابه «خواص الأسماء في بعض خواص الثلث الثاني من سر الأسرار»: «وفي كل صلاة عجب لمعتبر فإن أولها اسم الجلالة وآخرها اسم من أسمائه اما أن يكون اسم صفة أو اسم وصف أو اسم خلقة أو اسم فعل ووسطها اسم حبيبه تعالى مكرراً والحبيب لا يكون لمحبه في غاية الحب إلا هكذا وكل صيغة تقف عند اسم لها روح ولها جسم وفي هذا الثلث الأفخم حقيقة الاسم الأعظم والسر المطلسم ثم قال الله رضي عنه: وقال بعض الأكابر من أهل البصائر: إنَّ روح الأسماء الصلاة على النبي المصطفى ﷺ.

وقال بعض الأخيار من أرباب الأسرار: روح الاسم عدده.

وقال بعض أهل الرقائق من أرباب الحقائق: إنَّ روح الاسم سرٌّ خفيٌّ مَنْ أدركه نال كرامة من ربه. انتهى.

فصل

وقد وردت الحروف في أحزاب وأوراد الصوفية. لما علموا من مغزاها. فوقروا هذا العلم وصانوه عن غير أهله غيرةً على علوم الحق تعالى أن تصل إلى غير أهلها.

فمن ذلك أنها وردت في «حزب البحر»: «كهيعص كهيعص كهيعص انصرنا فإنك خير الناصرين. وافتح لنا فإنك خير الفاتحين. واغفر لنا فإنك خير الغافرين. وارحمنا فإنك خير الراحمين. وارزقنا فإنك خير الرازقين».

وورد ذكر آخر للحروف في «حزب البحر»: «طسم طسم طسم حم عسق مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان».

وهناك ذكر آخر: «باسم الله بابنا تبارك حيطاننا يس سقفنا كهيعص كفايتنا حم عسق حمايتنا». وفي «الحزب الصغير» للدسوقي رضي الله تعالى عنه ورد ذكر للحروف: «أحمى حميثاً أطمى طميثًا وكان الله قويًا عزيزاً».

وورد في آخر «حزب الدسوقي الكبير» أسماء الدائرة الشاذلية وهي: «طهور . بدعق. محببه. صورة. محببه. سقفاطيس. سقاطيم. أحون. قاف. أدم. حم. هاء. آمين».

وقد ضبط القاوقجي رضي الله عنه أسماء الدائرة:

- طهور: على وزن صبور ومعناه الكامل في ذاته المنور لصفاته.

- بدعق: على وزن منظر ومعناه الذي كل شيء به.

- محببه: وفي رواية أن الهاء الأخيرة ساكنة غير منونة ومعناه مبين الحكم وصاحب المن.

صورة: وفي رواية سورة أي الذي لهيبته خضع كل جبار.

- سقفاطيس: قال لم أرَ من تكلم على معناه وهو اسم للفتح على القلب من الغيب.

- سقاطيم: وفي رواية بدلاً من القاف فاسم من الأسماء الموصله إلى رتب الكمال.

فصل

وقد جوّز الأئمة الكبار تلاوة الأوراد المشتملة على الأحرف المقطعة.

من ذلك ما قدره الإمام الزرقاني رضي الله عنه. من أنه لا خلاف في ذلك ما دامت متواترة عن أستاذ أجمع الأئمة على معرفته وعدالته. ولا يعترض عليه معترض بجهل. اهـ.

وقد كان كثير من الأئمة يقرون أوراد أئمة القوم الكبار كأبي الحسن الشاذلي والجيلاني وغيرهم رضي الله عنهم. وكفى أن سلطان العلماء العز بن عبد السلام كان يحضر مجلس أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ويعترف له بالفضل وتتلمذ على يديه في التصوف. «ومن الأعلام كانت لهم أوراد»: أبو حامد الغزالي وأبو مدين الغوث والقشيري والسهروردي والجيلاني والنووي وابن عربي والشاذلي والأقطاب الأربعة والمرسي وابن عطاء والسيوطي وزكريا الأنصاري وعبد الرؤوف المناوي وابن عبد السلام «ومن المتأخرين»: النابلسي والصاوي والدردير والنبهاني والإمام عبد الحليم محمود والشيخ صالح الجعفري والشيخ أحمد رضوان صاحب الأقصى وشيخنا غوث عصره عبد المجيد الشريف. رضي الله عنهم أجمعين ولا أظن أمثال هؤلاء يجتمعون على ضلالة. فكفى بهم حجة.

فصل

قال عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في «الطبقات الوسطى»: إن جميع المعبرين والمفسرين والمتكلمين في القرآن العظيم لم يصلوا إلى معشار عشر معرفة كنه إدراك معنى واحد من حروفه ولا يصل الرجل مقام الكمال حتى يصير قادراً على تخريج جميع أحكام الشريعة المطهرة من أي حرف شاء من حروف الهجاء. اهـ.

ويقول في موضع آخر رضي الله عنه: إنْ أردت يا ولدي أن تفهم أسرار القرآن العظيم فاقتل نفس دعواك. واذبح شبح قولك واطرح نفسك تحت

قدم أقدامك. وعفر خديك على الثرى واشهر أن نفسك قبضة من تراب واعترف بكثرة ذنوبك وخف أن ترد عليك عبادتك وقل: يا ترى مثلي يقبل منه عمل فإذا كنت على هذا الوصف فيرجى لك أن تشم رائحة من معاني كلام ربك وإلا فباب الفهم عنك مغلق وعزة ربي أن كل حرف من القرآن العظيم يعجز عن تفسيره الثقلان ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يعلموا معنى الباء بعقولهم لعجزوا وما لأحد من ذات نفسه شيء قل أو جل. وان لم يكن الله تعالى يعلم العبد وإلا فهو عائم في البحر من كوم محجوب لا شم ولا لم ولا علم ولا حس. ومن لم يذق مقام القوم ويرى ويشاهد لم يحسن أن يصف بحراً لا قرار له. أو يترجم عن ساحل لا آخر له. أو يعوم في مقر التخوم ويصل إلى النون. أو يدرك معاني السر المصون. وأما إذا أعطى عبده علم ذلك فلا مانع. اهـ ويقول في موضع آخر من الطبقات الوسطى: إذا كمل العارف في مقام العرفان أورثه الله علماً بلا واسطة وأخذ العلوم المكنونة في ألواح المعاني. ففهم رموزها. وعرف كنوزها. وفك طلسماتها. وعلم اسمها ورسمها. وأطلعه الله على العلوم المودعة في النقط ولولا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهر العقول وكذلك لهم من إشارات العبارات عبارات معجبة وألسن مختلفة وكذلك لهم في معاني الحروف والقطع والوصل والهمز والشكل والنصب والرفع ما لا يحصر ولا يطلع عليه إلا هم وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البحر والبر وما هو مكتوب على صفحة قبة السماء. وما في حياة الإنس والجن مما يقع لهم في الدنيا والآخرة.

وكذلك لهم الإطلاع على ما هو مكتوب بلا كتابة من جميع ما هو فوق الفوق وتحت التحت ولا عجب من حكيم يتلقى علماً من حكيم عليم. فإن مواهب السر اللدني قد ظهر بعضها في قصة موسى والخضر عليهما السلام. اهـ.

فصل

قال شيخنا الشيخ الأكبر مولانا أبو بكر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في مقدمة كتابه «العبادلة»:

أول ما ظهر من الحروف الباء وأول ما ظهر من الحضرة الإلهية الاسم. وأول ما ظهر من الموجودات الجوهر. وأول ما انصبغ به النور. وأول عرض ظهر الحركة. وأول نعت أشهد بعد الوجود الجدل. وأول نطق ظهر منه أنا. وأول صفة قبل منه الحياء. وأول حال طرأ عليه الذوبان. وأول علم قبل علمه بالله. فرأى نفسه في ذلك العلم. انتهى.

وفي «أخبار الحلاج» قدس الله سره روى الشيخ إبراهيم بن عمران النيلي أنه قال: سمعت الحلاج يقول: النقطة أصل كل خط. والخط كله نقط مجتمعة. فلا غنى للخط عن النقطة ولا للنقطة عن الخط. وكل خط مستقيم أو منحرف فهو متحرك عن النقطة بعينها.

وكل ما يقع عليه بصر أحد فهو نقطة بين نقطتين. وهذا دليل على تجلي الحق من كل ما يشاهد وترائيه عن كل ما يعاين. ومن هذا قلت: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله فيه. اهـ.

وروي أيضًا في «أخبار الحلاج» رضي الله عنه عن عثمان بن معاوية قال: قال الحلاج: ما ظهرت النقطة الأصلية إلا لقيام الحجة بتصحيح عين الحقيقة. وما قامت الحجة بتصحيح عين الحقيقة إلا لثبوت الدليل على أمر الحقيقة.

ونقل في «أخبار الحلاج» قوله رضي الله عنه: القرآن لسان كل علم. ولسان القرآن الأحرف المؤلفة وهي مأخوذة من خط الاستواء أصله ثابت وفرعه في السماء وهو ما دار عليه التوحيد. اهـ.

فصل

ومن أعجب علوم العارفين تأليفهم لمصنفات أخذت من علم الحروف القرآنية.

ومثال هذا « طواسين الحلاج » و« فصوص ابن عربي » « وشيء من فتوحاته المكية ». ومن هذه المصنفات أيضاً « المخاطبات والمواقف للنفري ». وهناك شيء من هذا القبيل في « مؤلفات ابن سبعين ».

ومحصول القول أن هذه المصنفات لها أهلها والقائمون عليها. ومن دخلها كان طريداً شريداً تائهاً وعالماً غريباً مريباً.

لكونه اقتحم علمًا ليس له ولا من شأنه. فلا ينكر المنكر على القوم فتزل قدم بعد ثبوتها.

فصل

يقول أبو عبدالله الحكيم الترمذي رضي الله عنه في مقدمة كتابه « علم الأولياء »: والاسم مأخوذ من السمة وكل اسم دليل على صاحبه حتى أن نفس الاسم دليل على وجود صاحب الاسم.

وذلك أن الاسم إنما هو من حرفين وإنما هو (سم) مزيد فيه الألف في الابتداء عماداً فقيل: اسم. ألا ترى أنك في الإدراج إذا ألحقته بالبسملة قلت: بسم وفي ذكر الألف يقال: اسم. وإنما هما حرفان سين وميم. فالسين من السناء والميم من المجد والسناء والضياء. والمجد لب الشيء.

فكأنه يدل على أنه إنما مسمى الاسم اسماً لأنه يضيء لك عن لب الشيء ومكنونه ويترجم لكَ ويكشف عن كنون ذلك الشيء فهذا تفسير الاسم فليس من الأسماء إلا وقد وسمه الله باسم يدل على مكنونه ما فيه من الخير والجوهر.

فاحتوت الأسماء على جميع الأشياء التي علمها الله تعالى لآدم عليه السلام

وأبرز فضيلته على الملائكة حيث عرض جميع خلقه على آدم عليه السلام ثم قال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فأنبأهم.

فأبان فضيلته في العلم على الملائكة فعلمه العلم وأصل العلم فأما العلم فهو الأسماء وأما أصل العلم فهو الحروف المعجمة وهي ثمانية وعشرون حرفاً ومنها ابتديت اللغات.

فركب آدم عليه السلام تركيباً عجيباً فوضع العلم بالأسماء والمعرفة بما في قلبه وتصويرها في صدره وتعبيرها فيما بين حلقه إلى شفتيه. فصيَّر القلب طرفاً للعلم والصدر طرفاً للتصاوير والفم طرفاً للتعابير فركب للحروف أدوات وجعل الحروف منقسمة على الأدوات منها للحلق واللهاة واللسان والأسنان والشفتين.

ومن هنا قال علي رضي الله عنه: لا يكون كلام حتى يجري على سعة الحلق واللهاة واللسان والأسنان والشفتين. فهذه الحروف الثمانية والعشرون منقسمة على الأدوات: فحروف الحلق جزء وحروف الأسنان جزء وحروف اللسان جزء وحروف اللهاة جزء وحروف الشفتين جزء وإنما قيل تسعة وعشرون لأن حرف (لا) يتكرر وإنما هو (لام وألف) حرفان مقرونان.

وفي حروف المعجم علم البدء كله وصفات الله أسماؤه من صورة حروف المعجم وصورة (أ ب ج د) فيكتب ههنا (أ ب ج د) وفيها علم التدبير من لدن أنشأ خلق آدم إلى يوم الوقت المعلوم. فأول ما بدأ من العلم أسماؤه تعالى وأول أسمائه الله. ثم الأسماء كلها بعد ذلك منسوبة إليه فقال ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾. اهـ.

فصل

يقول ابن متويه المعتزلي في «التذكرة»: قد يصح أن يدخل في الأسماء قلب ثم لا يقتضي ذلك في المسميات على ما يحكى عن عباد لأنه منع أن

يصير المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً.

وهذا بعيد لأن السواد لو سُمِّي بياضاً لم يخرج عما هو عليه في ذاته. وعلى هذا يوجد السواد ولا مواضعة عليه أصلاً ولا يمكنه أن يمنع من صحة وقوع المواضعة من أهل اللغة على خلاف ما وقعت لأنه لا يتبع المعنى ولا يعرف اسمه وكذلك فليس الاسم بموجب للمعنى لأن الأعجمي لقن لفظه وإن لم يعرف معناها. والذي يبين ثبوت هذه الطريقة في كلامهم أن الغائط كان مستعملاً في المطمئن من الأرض ويجوز استعماله في الكتابة عن الحدث ثم صار حقيقة في هذا دون الأول. وكذلك القول في الدابة لأنها وضعت في الأصل لكل ما يدب ثم صار حقيقة في هذا الحيوان المخصوص.

وكذلك الملك موضوع للرسالة ثم يستعمل في رسول مخصوص. وكذلك الصلاة وغيرها. فثبت بهذه الجملة أن ينقلب المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً. ولا يوجب ذلك قلب المسمى.

ويصح عندنا قلب الأسماء والإتيان بمواضعة ثانية. إذا حصل فيه غرض صحيح وعلى هذه الطريقة حسن الإصلاح من أهل النحو والعروض والفقه والكلام على ألفاظ أفادوا بها غير ما وضعت له في الأصل.

وقد منع الشيخ أبو القاسم من جواز ذلك إلا بوحي. وأنه متى انقطع الوحي امتنع جوازه وما بيناه قد أبطله. اهـ.

فصل

أما استعمال الحرف في غير موضعه فهو الملاك بعينه.

لكون المتصرف في هذا قد اختلس ما ليس له. وتصرف فيما لا يعنيه. ومن ذلك ما رواه السراج رضي الله عنه في «اللمع» في «باب ذكر المشايخ الذين رموهم بالكفر»: أنّ عمرو بن عثمان المكي كان عنده حروف فيه شيء من العلوم الخاصة فوقع في يد بعض تلامذته فأخذه وهرب. فلما علم بذلك

عمرو بن عثمان قال: سوف يقطع يديه ورجليه ويضرب رقبته. ويقال: إن الغلام الذي سرق منه ذلك الكتاب هو الحسين بن منصور الحلاج. وقد هلك في ذلك.

كما روي أن أبا عبدالله الحسين بن مكي الصبيحي تكلم في شيء من علم الأسماء والصفات وعلم الحروف فكفره أبو عبدالله الزبيري. وهيج عليه العامة فقال إن سهل بن عبدالله قال له: نحن فتحنا للناس جراب الحلتيت فلم يصبروا علينا فلمَ كلمتهم أنت مما لا يعرفون. اهـ.

قلت: ولا ينبغي الخروج إلى العامة ومخاطبتهم بهذا العلم، مما لا تطيقه عقولهم. فيكفر من لا يستوجب الكفر. وروي عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قال عن سري السقطي: الشيخ المعروف بطيب المطعم ثم حكي له عنه أنه قال: إنَّ اللهَ عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء فقال: نفروا عنه الناس.

ولما تكلم الحلاج رضي الله عنه بهذا العلم عزله الخلق وكفروه وناله ما ناله ونقل التاذفي رضي الله عنه في «قلائد الجواهر»: أن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال: لقد زل الحلاج زلة فلم يجد من يأخذ بيده .

فصل

ولما كان علم الحرف هو أرقى علوم القوم. وهو غاية الغايات. ونهاية المطاف. وذروة الذروة وقمة القمم.

فقد وقع خلط كثير بينه وبين علم العزائم واستخدام الطلسمات المستنزلة لأرواح الأفلاك بعزائم غير ربانية.

وقد بين ذلك ابن خلدون في «مقدمته» في علم أسرار الحروف وهو المسمى بهذا العهد بالسيمياء.

وكذا طرح هذا الشهرستاني في «الملل والنحل». وذكر أن مذهب الباطنية

والإسماعيلية تجسيد الحروف وجعل لها أرواحاً ولها هيئات وصور. وأمزجة وطباع. ومن جهلهم قولهم بتجسيد الشريعة وتروحنها وتشكلها في هيئة الصور. والفرق بين القريب والغريب. فالصوفي المتحقق من علم الحرف سيد ابتغى وجه الحق تعالى لا غير. أما الآخر فقصده بائن وجهله مركب.

يقول الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضي الله عنه في الباب الثاني من «الفتوحات»: والغرض من هذا الكتاب إظهار لمع ولوائح إشارات من أسرار الوجود. ولو فتحنا الكلام على سرائر هذه الحروف وما تقتضيه حقائقها لكلّت اليمين وحَفِيَ القلم وجف المداد وضاقت القراطيس والألواح ولو كان الرق المنشور فإنها من الكلمات التي قال الله تعالى فيها: ﴿لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾.

وقال: ﴿ولو أن ما في الأَرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾. وهنا سر وإشارة عجيبة لمن تفطن لها وعثر على هذه الكلمات. فلو كانت هذه العلوم الإلهية نتيجة عن فكر ونظر لانحصر الإنسان في أقرب مدة. ولكنها موارد الحق تعالى تتوالى على قلب العبد وأرواحه البررة تنزل عليه من عالم الغيب برحمته التي من عنده وعلمه الذي من لدنه والحق سبحانه وهاب على الدوام فياض على الاستمرار. والمحل قابل على الدوام. اهـ.

وقال صدر الدين القونوي قدس الله سره في كتابه «إعجاز البيان في تأويل أم القرآن»: ومن لا يكشف له هذا الطور لم يعرف سر بطون القرآن التي ذكرها رسول الله (ﷺ) بقوله: «للقرآن ظهر وبطن إلى سبعة أبطن». وفي رواية إلى سبعين بطناً. ولا سر قوله: ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾. ولا سر قوله: ﴿يدبر الأمر﴾. ولا سر قوله (ﷺ): «خصصت بست». وتعيينه في جملتها: الفاتحة وخواتم البقرة للدلالة على كمال ذوقه وجمعيته ولا سر قوله تعالى: ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾. ولا سر علي رضي الله عنه: «لو أذِنَ لي

في تفسير فاتحة لحملت منها سبعين وقرا». ولا سر الحسن رضي الله عنه: «أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب فأودع المائة في الأربعة وهي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وأودع الجميع في القرآن وأودع جميع ما في القرآن في المفصل وأودع ما في المفصل في الفاتحة». انتهى.

فصل

والملهم أن للحروف ستة عشر مخرجًا ثلاثة للحلق وثلاثة عشر للفم واعلم أن للحروف أربعة وأربعين لقباً نحن نذكر منها خمسة وعشرين لقباً. فالأول الحروف المهموسة ثم المجهورة. والثالث الحروف الشديدة. والرابع الحروف الرخوة. والخامس الحروف الزوائد. والسادس الحروف الأصلية. والسابع حروف الإبدال.

والثامن حروف الإطباق. والتاسع الحروف المنفتحة. والعاشرة حروف الاستعلاء. والحادي عشر الحروف المستقلة. والثاني عشر الحروف حروف الصفير. والثالث عشر القلقلة. والرابع عشر حروف المد واللين. والخامس عشر الحروف الخفية. والسادس عشر حروف العلة. والسابع عشر حروف الإمالة. والثامن عشر الحرف المكرر. والتاسع عشر حرفاً الغنّة. والعشرون حرفا الانحراف. الحادي والعشرون الحرف الجرس. الثاني والعشرون الحرف المستطيل. الثالث والعشرون الحرف المتفشي. الرابع والعشرون حروف الذلاقة. الخامس والعشرون الحروف المصمتة.

خاتمة

ونختم رسالتنا هذه بكلمة جامعة لشيخ الإسلام محيي الدين بن عربي الطائي قال: «اعلم وفقنا الله وإياكم أن الحروف أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون وفيهم الرسل من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقتنا وعالم الحروف أفصح العالم لساناً وأوضحه بياناً وهو على أقسام كأقسام العالم المعروف في العرف».

المناقب الفاخرة
في محاسن بنت المعز القاهرة

الحمد لله الذي أنشأ البلاد وأقام العباد. وقسم الخلائق شيعاً. واحتفى أهل الملة الإسلامية بالفضائل الباهرة. والأنوار السافرة.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد

فإنَّ لمصر فضائل لا تحصى وخصائص لا تعد في التواريخ والآثار. ولم تذكر مدينة كما ذكرت هي في القرآن وقد فاق ذكرها في الكتاب ذكر أم القرى وطيبة.

وهذه ميزة اختص الحق تعالى بها مصر وأهلها. وقد صنف في فضائل مصر كثير فمنهم ابن يونس وذيل عليه ابن الطحان وفتوحها لابن عبد الحكم وأخبارها وفضائلها لابن زولاق وصنف الكندي والفرغاني البغية والاغتباط فيمن ولي مصر الفسطاط لأبي إسحاق الهاشمي وتاريخ مصر لابن أبي مريم وتاريخها لسعيد بن عفير وللمسبحي تاريخ كبير في مصر وجمع القطب الحلبي للمصريين تاريخاً حافلاً. وللمقريزي الخطط والسلوك وعقد جواهر الأسْفَاط من أخبار مدينة الفسطاط وله الاتعاظ وجمع خططها القضاعي وابن عبد الحكم والكندي وابن زولاق وابن يونس. وللسخاوي تاريخ حافل المسمى الضوء اللامع وللسيوطي حسن المحاضرة ونظم العقيان ولابن تغري بردي تاريخ حافل أسماه النجوم الزاهرة وهو مشهور وللإسحاقي أخبار الأول فيمن

تصرف في مصر في أرباب الدول وللأدفوي الطالع السعيد ولابن ظهيرة الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ولأبي الحسين الجزار الشاعر الدرة المضية في الأمراء المصرية. ولابن زولاق الموازنة بين مصر وبغداد ولابن إياس الحنفي بدائع الزهور وأجاد فيه. ولابن أيبك الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ولابن واصل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب وللجبرتي تاريخ ولعلي مبارك الخطط التوفيقية وهو أجمع تواريخ المحدثين وخططهم على الإطلاق وقد ساقني الحق تعالى كي أصنف هذا المصنف انتصاراً لحق مصر وشعبها وعلمائها وتاريخها وميراثها في هذا الشأن كبير. وقد سميناه: «المناقب الفاخرة في محاسن بنت المعز القاهرة». وقد جعلناه في فصول.

الفصل الأول في أصل معناها لغة

قال الزمخشري في أساس البلاغة: «مَصَّرَ الأمصار بناها. ومصر عمر سبعة أمصار منها المصران: البصرة والكوفة. ويكتب أهل هجر في شروطهم: اشترى فلان الدار بمصورها أي بحدودها. اهـ.

وقال الفيومي في «مصباحه»: مِصْر مدينة معروفة والمصر كل كورة يقسم فيها الفيء والصدقات قاله ابن فارس وهذه يجوز فيها التذكير فتصرف والتأنيث فتمنع والجمع أمصار. اهـ.

وحكى ابن لهيعة أنَّ مصر سميت مصر نسبة لمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام.

وحكى القضاعي قال: وبذاك سميت مصر وهو اسم لا ينصرف لأنه مذكر سميت به هذه المدينة فاجتمع فيه التأنيث والتعريف فمعناه الصرف ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطرقها السفار مصر فإذا أريد مصر من الأمصار صرف لزوال إحدى العلتين وهي التعريف والمصر في كلام الغرب: الحد الفاصل بين الأرضين. وأهل هجر يقولون اشتريت الدار بمصورها أي بحدودها.

وقال الجاحظ في كتاب «مدح مصر»: إنما سميت مصر بمصر لمصير الناس إليها واجتماعهم بها كما سُمِّيَ مصير الجوف مصيراً ومصراناً لمصير الطعام إليه. اهـ.

الفصل الثاني في ذكر أول من سكنها واختطها وعمرها

حكى القضاعي: إن أول من سكن مصر بيصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد أن أغرق الله قومه بالطوفان وأول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بيصر بولده وهم ثلاثون نفساً منهم أربعة أولاد قد بلغوا وتزوجوا وهم مِصر وفارق وماخ وياح وكان مصر أكبرهم وهو من جملة من كان مع نوح عليه السلام في السفينة فدعا له.

وأصل منف بالقبطية مافه وتفسيرها ثلاثون. وكانت إقامتهم قبل ذلك بسفح الجبل (المقطم) ونقروا هناك منازل كثيرة وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر هذا أن يسكنه الله الأرض المقدسة الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد ونهرها أفضل الأنهار فسأله عنها فوصفها له وكان بيصر قد كبر وضعف بصره فساقه ولده مصر إلى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وحاز أولاد بيصر كل واحد منهم لنفسه حيازه من أرض مصر. ثم كثرت أولاد بيصر فكانت الأكابر هم: قِفط وأتريب واشمن وصا.

والقبط من ولد مصر هذا ويقال: إن قبطا هو قفط وهو بلسانهم قفطيم وقبطيم ومصريم.

ويقال إن مصر أقطع قفطا من قفط إلى أسوان في الشرق وبه سميت وأقطع أشمن من أشمون وما دونها إلى منف وما فوقها إلى جد أسوان في الغرب وأقطع ابنه الثالث أتريب شرقي أسفل الأرض وبه سميت كورة أتريب وأقطع ابنه صا كروة صا إلى البحر. فكانت مصراً أربعة أجزاء: جزءان بالصعيد وجزءان بأسفل الأرض.

الفصل الثالث في ذكر من كان بمصر من الانبياء ومن ولد بها

فاعلم أنه كان بها إبراهيم الخليل عليه السلام وإسماعيل ويعقوب ويوسف واثنا عشر سبطاً نبياً من ولد يعقوب وكان بها موسى وهارون ويوشع وعيسى ودانيال.

وولد بها موسى وهارون ويوشع ودانيال ويقال ولد بها عيسى ولدته أمه بأهناس المدينة المعروفة كما حكى ذلك ابن ظهيرة في «الفضائل». والصحيح أنه ولد ببيت لحم. على الأرجح الثابت.

قال ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ودخلها من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين يعقوب وأولاده وهم: يوسف ويهوذا وروبيل ولاوي وزبالون وشمعون ويسحر ودنيا ودانا وديفتابيل وجاد وبنيامين ودخلها موسى وهارون وبها مولد عيسى ابن مريم. انتهى كلامه في «النجوم الزاهرة».

الفصل الرابع في ذكر من نزل بها في الصحابة

ذكر الكندي في «فضائل مصر» بعضهم فقال: منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر وأبو ذر ومحمية بن جزء الزبيدي ونبيه بن صؤاب ورافع بن مالك وربيعة بن شرحبيل بن حسنة وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن علقمة وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن عمر بن الخطاب وخارجة بن حذافة وعبدالله بن أبي سرح وأبو رافع مولى رسول الله (ﷺ) ومحمد بن مسلمة ومسلمة بن مخلد وأبو أيوب ورويفع بن ثابت وهُبَيْب بن مغفل وكعب بن ضنة ومعاوية بن خديج وعمار بن ياسر وعمرو بن العاص وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين. اهـ.

وقيل دخل مصر ثمانون صحابياً وقفوا فقط على إقامة المسجد الجامع.

قال ابن عبد الحكم: وكان من حُفِظَ من الذين شهدوا فتح مصر من أصحاب رسول الله (ﷺ) من قريش وغيرهم ومن لم يكن له برسول الله (ﷺ) صحبة وذكرهم جملة واحدة. فقال: الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وكان أمير القوم وعبدالله بن عمرو بن العاص وخارجة بن حُذافة العدوي وعبدالله بن عمر بن الخطاب وقيس بن أبي العاص السهمي والمقداد بن الأسود وعبدالله بن سعد بن أبي السرح العامري ونافع ابن عبد قيس الفِهْريّ وأبو رافع مولى رسول الله (ﷺ) وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شُرَحبيل بن حَسَنة ووَرَدْان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص رضي الله عنهم وقد اختلف في سعد بن أبي وقاص فقيل: إنما دخلها بعد الفتح.

وشهد الفتح من الأنصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدراً وبيعة العقبة ومحمد بن مَسْلمة الأنصاري وقد شهد بدراً وهو الذي أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مصر فَقَاسَمَ عمرو بن العاص ماله وهو أحد مَنْ كان صعد الحصن مع الزبير بن العوام ومَسْلمة بن مُخَلَّد الأنصاري يقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وأبو الدرداء ومن أحياء القبائل: أبو بَصْرة حُمَيْل بن بصرة الغِفَاريّ وأبو ذر الغفاري.

وشهد الفتح مع عمرو بن العاص هُبَيب بن مُغْفِل وإليه ينسب وادي هبيب الذي بالمغرب وعبدالله بن الحارث بن جَزْء الزُّبَيْدي وكعب بن ضنّة العبسيّ وعُقبة بن عامر الجُهَني وهو رسول عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه يأمره أن يرجع إن لم يكن دخل أرض مصر وأبو زَمَعة البَلَوي وبِرْح بن عُسْكُل ويقال بِرْح بن عُسْكُر شهد فتح مصر واختط بها. وجُنادة بن أمية الأزدي وسفْيان بن وهب الخَوْلانيّ له صحبة ومعاوية بن خُدَيج الكِنديّ وهو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية وقد اختلف في صحبته فقال قوم له صحبة وقال قوم ليست له صحبة وعامر حمل شهر الفتح وهو مملوك وعمار بن ياسر ولكن دخل بعد

الفتح في أيام عثمان وجهه إليها في بعض أموره. انتهى كلام ابن عبد الحكم.

الفصل الخامس في ذكر من كان بها من الفقهاء والمحدثين والمؤرخين والمتكلمين والمفسرين والعلماء

« فمن المتقدمين »: الليث بن سعد وابن وهب وأشهب وابن القاسم وابن عبد الحكم وابن لهيعة والمزني والشافعي والربيع والطحاوي والقاضي بكار والكندي وابن أبي خيثمة.

وأقول: « وممن كان بها من المتأخرين » أبو حجر وزكي الدين المنذري وجلال الدين السيوطي والبلقيني والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وتقي الدين السبكي وابنه تاج الدين وزكريا الأنصاري والحافظ الدمياطي شرف الدين وإبراهيم اللقاني ومرتضى الزبيدي والمناوي وبدر الدين العيني والمقريزي وابن إياس والشعراني والقضاعي وابن تغري بردي وابن زولاق وبدر الدين بن جماعة والزركشي وعبد العزيز الديريني وشمس الدين السخاوي وابن خلدون والقلقشندي والقاضي الفاضل وابن مالك وابن هشام وابن أبي الحديد وابن نباته وابن دقماق. « ودخلها من قدامى الفقهاء »: الشعبي وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعكرمة وابن علية والشافعي وحفص الفرد وغيرهم.

« ومن المتأخرين المعاصرين لي ومن قبلهم بقرن جماعة »: كالشرقاوي والبيجوري والدردير والصاوي وحسن العطار والإنبابي والمراغي شيخ الأزهر ومحمد عبده والأفغاني ورشيد رضا ويوسف الدجوي والنبهاني وعلي مبارك باشا والمطيعي وأحمد تيمور باشا ومحمد الأمير والبيجرمي والأشموني والشيخ حمزة فتح الله والجبرتي والعقاد ومحمد متولي الشعراوي وشلتوت وعبد الحليم محمود وصالح الجعفري وشيخنا محمد الحافظ التجاني وحسن البنا والساعاتي « مرتب مسند الإمام أحمد » ومحمود خطاب السبكي وزاهد الكوثري وأحمد زكي باشا وطنطاوي جوهري صاحب تفسير القرآن المنعوت « بالجواهر » وهو تفسير ضخم لم يسبق إليه والشيخ مصطفى عبد الرازق وعبد الوهاب النجار

صاحب «قصص الأنبياء» وأحمد غلوش صاحب «جاعة منع المكسرات» ومحمد الخضري المؤرخ الكبير القدير ومحمد توفيق البكري نقيب الأشراف وسيد قطب صاحب تفسير «ظلال القرآن» ومحمد أبو زهرة العلامة الأصولي وعمر مكرم نقيب الأشراف ومحمد أمين الكردي. رضي الله عنهم جميعاً.

الفصل السادس في ذكر من كان بها من الزهاد والصوفية

«فمن متقدمي السلف»: ذو النون وحيوة بن شريح وأبو الربيع وإدريس الخولاني وهانيء بن المنذر وأبو الخير الأقطع والقاضي بكار وأبو الحسن الدينوري «ومن متأخري الخلق»: علي بن وفا وأحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي وأبو الحسن الشاذلي وتلميذه المرسي وتلميذه ياقوت وإبراهيم اللقاني والشعراني وإبراهيم المتولي وشمس الدين الحنفي وعلي الخواص وابن عصيفير والكردي والفرغل والقنائي عبد الرحيم والسيدة نفيسة وإسماعيل بن يوسف الإنبابي ونجم الدين الغيطي وزكريا الأنصاري ومصطفى البكري وابن الفارض وإبراهيم الجعبري وشمس الدين الديروطي وأبو الحجاج الأقصري والفولي بالمنيا وأبو الحسن القوصي الصباغ وعبدا القادر الدشطوطي وعلي البيومي وابن عطاء الله السكندري وأحمد الدردير والصاوي والنبهاني والبيجوري.

«وممن دخلها من أكابر العارفين» إبراهيم بن أدهم ومنصور بن عمار وسيدي محيي الدين بن عربي وابن سبعين واليافعي والنابلسي.

«وظهرت منهم طائفة متأخرة جداً»: كمحمد ماضي أبي العزائم وعبد الحليم محمود العارف الكبير شيخ الجامع الأزهر وأبو الفيض المنوفي وأحمد رضوان قطب عصره وأبو خليل كان غوثاً والملنناوي وشيخنا عبد المجيد الشريف غوث الوقت وإمامه.

«ومنهم»: إبراهيم أبو العيون والمنسفيسي وأبو الوفا الشرقاوي والشيخ صالح الجعفري والشيخ عبد ربه صاحبه وعلي عبد الفتاح علام كان له قدم عالٍ.

« ومنهم »: عبد الجواد الدومي وعبد السلام الحلواني قطب عصره. وعمر بن جعفر الشبراوي وعلي عقل ونجم الدين الكردي ويوسف الحجاجي الأقصري وأحمد بن شرقاوي وأحمد الخضيري الطهطاوي شيخ ابن شرقاوي وسلامة الراضي دفين بولاق ومحمد أمين الكردي وسلامة العزامي ومحمد الميرغني سر الختم. « ودخلها » يوسف بن إسماعيل النبهاني مصنف « جامع كرامات الأولياء ».

« ومن أقطاب مصر »: أبو عليان الشاذلي واضع حجر الأساس في بناء طريقة العشيرة المحمدية وعبد الفتاح القاضي الشبلنجي وحسنين الحصافي وعبد الوهاب الحصافي والشيخ عبد الرسول والشيخ محمد الطعمي الكبير وهو جدي. والشيخ عبد رب الرسول هو أستاذ جدي وهو دفين القداديح بأسيوط. رضي الله عن جميع من ذكرناهم من الأولياء.

الفصل السابع في ذكر من كان من الحكماء

« فمنهم »: لقمان الحكيم والخضر وأرمياء وذو القرنين ومؤمن آل فرعون. « ومنهم »: هرمس وسقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس وأرشميدس وفيثاغورس وكذا بطليموس.

ويقال دخلها جالينوس وكان من حكمائها السحرة الذي أحضرهم فرعون لموسى وكانت عدتهم اثني عشر ألف نقيب ومن ثم أسلموا. وكان بها وزراء فرعون الذي وصفهم الحق تعالى بالعقل لما قالوا: ﴿أرجه وأخاه﴾.

الفصل الثامن في ذكر من كان بها من الشعراء

« فمنهم »: ابن نباته وابن الفارض وابن إسرائيل وابن مكانس والتنيسي وشرف الدين البوصيري وتميم بن المعز وابن سناء الملك وأبو الحسين الجزار وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم والبارودي وإسماعيل باشا صبري ومحمود غنيم

وخليل مطران ومي زيادة والجارم. قال الكندي: ودخلها من الشعراء نصيب وجميل بثينة وكثير عزة وابن قيس الرقيات والأحوص وأبو ذؤيب ومعلى الطائي وأبو نؤاس ودعبل الخزاعي. اهـ.

ودخلها أبو الطيب المتنبي وابن الزيات وأبو تمام واستوطنها كشاجم وألف بها مؤلفاته.

« ومن المتقدمين المعاصرين للنواجي ومن قبله بعده جماعة منهم »: ظافر الحداد وبرهان الدين القيراطي وتقي الدين بن حجة وشمس الدين بن الصائغ وإبراهيم المعمار والسراج الوراق وابن الفقعسي وبدر الدين البشتكي وابن مماتي وبدر الدين بن الصاحب وشهاب الدين بن أبي حجلة ونصير الدين الحمامي وزين الدين الوردي وشهاب الدين الخفاجي وأبو الحسن البكري والوجيه المناوي وابن الوردي وابن الساعاتي والوادعي والبهاء الزهير وابن النبيه والأدفوي صاحب « الطالع السعيد » وزين الدين البكري.

« ومن شعراء الصوفية المتأخرين بها »: محمود جبر والعارف بالله سلامة الراضي وعلي عقل والشيخ صالح الجعفري له دواوين وأبو الفيض المنوفي له شعر رائق وأبو الوفا الشرقاوي له تشطير على البردة.

ولشيخنا خاتمة الحفاظ الأعلام محمد الحافظ التجاني أشعار رائعة في الغناء والمقامات.

الفصل التاسع في ذكر من ولد بها من الخلفاء ودخلها منهم

فولد بها من الخلفاء عمر بن عبد العزيز وجعفر المتوكل على الله ودخلها منهم معاوية ومروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ومروان بن محمد والسفاح والمنصور والمأمون والمعتصم والواثق وسليم شاه العثماني وصلاح الدين الأيوبي.

وولد بها من أسرة محمد علي باشا كثير، كإبراهيم باشا وعباس الأول والثاني والسلطان حسين فؤاد الأول وفاروق.

الفصل العاشر في ذكر من كان بها من التابعين

فمنهم أزهر بن يزيد الغطيفي تابعي ثقة مصري. ومنهم أسلم أبو عمران تابعي ثقة مصري. ومنهم إياس بن عامر الغافقي مصري تابعي لا بأس به. ومنهم تميم بن فَرع المهدي مصري تابعي ثقة. ومنهم ثابت بن الحارث الأنصاري مصري تابعي ثقة. ومنهم حرام بن حكيم مصري تابعي ثقة. ومنهم عبد الرحمن بن مُرَيج الخولاني تابعي مصري ثقة. ومنهم الضحاك بن شرحبيل تابعي مصري ثقة.

الفصل الحادي عشر في ذكر من كان بها من الأدباء

« فمن متقدمي أدباء مصر »: القاضي الفاضل وشمس الدين النواجي وابن دانيال وابن نباتة وشرف الدين البوصيري وضياء الدين القناوي والوطواط وابن الوردي وابن أبي الحديد وشهاب الدين النويري صاحب « نهاية الأرب » وابن حجر شهاب الدين والأبشيهي والخفاجي والبيقاشي وابن أبي حجلة وابن حجة والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وابن فضل الله العمري.

« ومن المتأخرين جماعة منهم »: رفاعة الطهطاوي وبهاء الدين العاملي « ومن النساء »: مي زيادة وعائشة التيمورية وبنت الشاطىء وسنية قراعة وباحثة البادية. « ومنهم »: العقاد وطه حسين وأحمد تيمور باشا واليازجي وأحمد أمين وجورجي زيدان والشيخ علي يوسف وعلي أحمد باكثير ومحمود تيمور والمازني والرافعي والحكيم والمرصفي وأحمد حسن الزيات وعبد السلام الحلواني وعبد الوهاب عزام وعبد الحميد الديب والشيخ حمزة فتح الله ومحمد أمين الكردي وأحمد لطفي السيد وعبدالله النديم ومحمد توفيق البكري وحفني ناصيف

والمنفلوطي ومصطفى كامل وأخيراً خُتِمَ الأدب في مصر بنجيب محفوظ.

الفصل الثاني عشر في ذكر من كان بها من النساء الفاضلات

قال ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة»: كان بها من الصديقات: آسية امرأة فرعون وأم إسحاق هاجر ومريم بنت عمران وماشطة بنت فرعون التي مشطتها بأمشاط الكتان لما آمنت بموسى عليه السلام ومارية القبطية. اهـ.

«وممن كان بها من النساء الفاضلات»: السيدة زينب والسيدة نفيسة وهما بركة أهل مصر.

وكان بها أم سطل السيدة الشريفة العابدة الزاهدة. قال السخاوي: هي زوجة الشريف أحد أكابر القراءة وهو شيخ أبي الجود في القراءة حكي عنها أن الأفاعي كانت تشرب من يدها والثعبان ينام عند رأسها اهـ.

وكان بها من الفاضلات أم الربيع الزبيدي. قال السخاوي: كانت تهجر الركب فإذا عطشوا أتوها فيجدوا الماء أمامهم ماتت ودفنت في تربة الادفوي بالقرافة. اهـ.

وممن كان بها من الفاضلات أم أحمد القابلة المصرية الصالحة كانت من أهل الخير.

قال السخاوي: حكى عنها ولدها أنها قالت له في ليلة شاتية: يا بني أضيء المصباح فقال لها: ليس عندنا زيت فقالت له: صب الماء في السراج وسم الله تعالى. قال: ففعلت ذلك فأضاء المصباح. فقال لها: يا أماه الماء يقيد؟ قالت: لا ولكنه من أطاع الله تعالى أطاع له كل شيء اهـ.

وممن كان بها من الفاضلات آمنة بنت موسى الكاظم.

قال المناوي: كان يسمع عند قبرها قراءة القرآن بالليل ماتت في مصر ودفنت فيها ولها مشهد عظيم يزار. اهـ.

ومن أعيان نسائها عائشة بنت عبدالله البكرية. قال السخاوي في «الضوء»: عرفت بجبر الطير قيل: إنه إذا أصاب الطير وجع جاء إلى قبرها فيشفى بإذن الله. اهـ.

ومن أعيان نسائها خديجة بنت الحافظ جمال الدين البكري والدة سيدي أبي الحسن البكري.

قال في «عمدة التحقيق»: ومما وقع لها رضي الله تعالى عنها أنها عبدت الله سبحانه وتعالى ثماني عشرة سنة في خلوة فوق سطح الجامع الأبيض ما عهد لها أنها بصقت على سطح الجامع حرمة له. اهـ.

«وكان بها من النساء اللاتي تولين الحكم والسياسة»: شجرة الدر.

«ومن النساء المتأخرات»: عائشة التيمورية والشاعرة مي زيادة والأديبة باحثة البادية.

الفصل الثالث في ذكر الأنبياء الذين صاهروا من نساء مصر

«فمنهم»: أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام تزوج بهاجر.

«ومنهم»: يوسف عليه السلام تزوج بنت صاحب عين شمس وتزوج زليخا.

«ومنهم»: نبينا عليه الصلاة والسلام تزوج بمارية القبطية التي أهداها له المقوقس وولدت له إبراهيم.

الفصل الراع عشر في ذكر محاسن مصر الكلية

وأنا ذاكر لك في هذا الباب إنْ الله ما لم يذكره أهل التواريخ السابقة من فضائلها:

«فأولى فضائلها»: ما ذكره الحق تعالى في القرآن فيها وكونها ذكرت باسمها أكثر من أي صقع وبقعة على وجه الأرض.

فذكرت في ثمانية وعشرين موضعاً من القرآن منها الكناية ومنها التصريح:

قال الله تعالى مخبراً عن فرعون: ﴿أليس لي ملك مصر﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ قيل: هي مصر في شبه إجماع العلماء المفسرين.

وقال تعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ قيل: هي مصر. وقال تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ وهي أرض مصر. وقال تعالى: ﴿اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم﴾. وقال تعالى: ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ وقال تعالى: ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾. وقال تعالى: ﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾. وقال تعالى: ﴿لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾ وقال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ فسمى غدير مصر الملك. وقال تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا﴾. وقال تعالى: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ وقال تعالى: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾ وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا﴾. وقال تعالى: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ قال عكرمة: منها القراطيس بمصر. وقال تعالى: ﴿إرم ذات العماد﴾. قال محمد بن كعب القرظي: هي الاسكندرية. وقال تعالى: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض﴾. وقال تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾. يعني أرض منف. وقال تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ وقال تعالى: ﴿فلن أبرح الأرض﴾. وقال

تعالى: ﴿إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾. وقال ابن عباس رضي الله عنه: سميت مصر بالأرض في القرآن في عشرة مواضع ذكرها ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة».

«وثاني فضائلها»: كونها البلد الوحيد الباقي عامرًا الذي ذكر في القرآن بلفظه التصريحي على سبيل المدح وإن كانت ذكرت مكة بلفظ بكة وذكرت المدينة بلفظ يثرب دون الاسم التصريحي الذي هو مكة والمدينة.

قال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً﴾. وقال تعالى: ﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم﴾.

وقد ذكرت المدينة بلفظها التصريحي وبابل وحنين في القرآن على سبيل التوبيخ. قال تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة﴾. وقال: ﴿ويوم حنين إذْ أعجبتكم كثرتكم﴾. وقال تعالى: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾. وقال تعالى: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾..

«فائدة»: وقد ذكرت بعض المدائن البائدة في القرآن كسبأ ومدين وإرم بلفظها التصريحي ولكن بادت هذه المدائن ولم يعد لها ذكر اليوم على الأرض.

«فائدة أخرى»: وقد ذكرت أيضاً بعض المدائن كإيليا والقدس وصنعاء ودمشق ونينوى في القرآن لكن بلفظ (كناية).

«وثالث فضائلها»: ذكر طور سيناء في القرآن. وهو الجبل الذي ناجى موسى عليه السلام ربه من فوقه. وطور سيناء هو طور سينين. وكفى فخرًا أن الحق تعالى أقسم به ولم يقسم بجبل قط سواه. فقال: ﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾. وقد أقسم بجبل قٓ، وكفى منقبة لهذا الجبل أن كلم الحق تعالى موسى فيه.

« ورابع فضائلها » : نزول سورة في القرآن باسم جبل الطور وهـي (سـورة الطور) ولم تُسَمَّ سورة باسم جبل في القرآن إلا قّ والطور « وقد اختلف في حقيقة ق » : فقيل : هو حرف من أحرف الهجاء مثل (ص ـ ن ـ ألم ـ حم ـ طس) . وقيل : بل هو جبل محيط بالدنيا ولا وجود له على حقيقة الأرض .

روى ابن أبي حاتم الرازي في جبل قّ أثرًا غريبًا لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له قاف سماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عدَّ سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات قال : وذلك قوله تعالى : ﴿ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ﴾ . وهذا الأثر في إسناده انقطاع .

« وخامس فضائلها » : وجود شجرة الدهن وهي الشجرة المباركة على طورها وهي في شاطىء الوادي الأيمن . قال تعالى : ﴿ فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ﴾ . الآية . وقال تعالى : ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ﴾ . وبالجملة فقد اختصت سيناء بوجود الطور والشجرة والبقعة المباركة والوادي الذي تجلى الحق تعالى فيه لموسى وصعق .

« وسادس فضائل مصر » : كون الحق تعالى كلم موسى على أرضها وتجلى له مرارًا كثيرة .

« وسابع فضائلها » : أنَّ الحقَ تعالى أخذ الميثاق على بني إسرائيل في سيناء ورفع فوقهم الطور حتى يقبلوا الميثاق بالقوة .

قال تعالى : ﴿ وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ .

« وثامن فضائل مصر » : أنَّ الحق تعالى نزل التوراة على موسى بأرض

سيناء. وهذه منقبة عظيمة من مناقب مصر. قال تعالى: ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك بأحسنها سأُريكم دار الفاسقين﴾.

«وتاسع مناقبها»: أنَّ الحقَ تعالى تاب على بني إسرائيل في أرض مصر فقال لهم على لسان موسى: ﴿يا قومِ إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾.

«وعاشر مناقبها»: أنَّ الحقَ تعالى بعث نبي إسرائيل وأحياهم من بعد موتهم في أرض الحق تعالى. قال تعالى: ﴿وإذْ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾. ولم يعرف قوم في الأمم ماتوا وبعثوا سوى قوم موسى. ولم يكن هذا بأرض سوى أرض مصر في الدنيا قبل الآخرة.

«الحادي عشر من فضائلها»: أنَّ الحقَ تعالى ظلّل الغمام على بني إسرائيل وأنزل عليهم المن والسلوى بأرض مصر. وهذا لم يعرف لقوم سوى بني إسرائيل ولم يعرف بأرض سوى ارض مصر. قال تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾.

والغمام المظلل على بني إسرائيل كان أبرد من الثلج ويظللهم حتى يغطيهم كلهم من أشعة الشمس ويسير معهم حيث ذهبوا.

وهذا الغمام كهيئة الغمام الذي كان يظلل النبي (ﷺ) لما كان في سفره إلى الشام.

ورأى صفة هذا الغمام ميسرة غلام خديجة. وقد نزلت الملائكة في هذا الغمام يوم بدر.

« والمن »: هو صمغة وقيل سائل يسيل من الشجر يشبه العسل. مثل الطل. أحلى من العسل وأبرد من الثلج. كان ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فيأخذ الرجل منه كفايته لليوم القادم. وقيل المن هو العسل.

وقد اختلف في حقيقة المن فمنهم من جعله طعاماً ومنهم من جعله شرابًا. والكمأة نوع من أنواع المن. كما ورد ذلك في الحديث.

روى البخاري عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال قال النبي (ﷺ) « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ».

« والسلوى »: هو طائر يشبه السماني أكبر من العصفور. قيل كانت تسوقه عليهم ريح الجنوب فيذبح الرجل منه كفايته ويأخذه فإذا تعداه فسد. قال ابن عطية: السلوى طير بإجماع المفسرين وقد غلط الهذلي بقوله: إنه عسل وأنشد مستشهداً:

وقاسمها بالله جهداً لأنهم ألذ من السلوى إذا ما أشورها

واعترض القرطبي على ابن عطية في تفسيره بقوله مؤرج الذي استشهد ببيت الهذلي وذكر أنه العسل لأنه يسلي ومنه عين سلوان. وقال الجوهري في « الصحاح »: السلوى هو الغسل.

« الثاني عشر من فضائلها »: وقوع الآية الكبرى لموسى عليه السلام فيها وخزي فرعون أمام الملأ وهذا يدل على أنها أرض مباركة.

وذلك لما جمع فرعون السحرة لموسى فألقوا حبالهم وعصيهم فصارت ثعابين فألقى موسى عصاه فالتهمت كل حبالهم وعصيهم التي هي حيات.

قال تعالى: ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى ★ قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ★ فأوجس في نفسه خيفة موسى ★ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ★ وألقِ ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح

الساحر حيث أتى ★ فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾.

«**الثالث عشر من فضائلها**»: وقوع آية الآيات ومعجزة موسى عليه السلام الكبرى بها. وهي انشقاق البحر بعصا موسى عليه السلام.

وكون البحر انشق لموسى عليه السلام نصفين أن جعل له فيه طريقاً يبسًا لهم فقط بحيث لا يسري هذا اليبس على غيرهم أن يجاوزه فإذا تقدم الفرعوني ليمشي على اليبس رآه ماءً وغرق. وإذا اجتاز الرجل من أصحاب موسى عليه رآه يبسًا ومر عليه.

والدليل على ذلك كون فرعون ظنَّ بغيِّه وجهله أنه سيقلد موسى وقومه في تجاوز البحر لسوء عقله وظلام قلبه فلما جاوزه غرق هو وقومه.

قال تعالى: **﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾**.

«**الرابع عشر من فضائلها**»: كون نهر النيل نهرًا مباركًا لكونه وقعت فيه آية موسى عليه السلام. وانفلق البحر. وسماه الحق تعالى بحرًا برغم أنه نهر. ولم يسمَ نهرٌ بحرًا سواه.

«**الخامس عشر من خصائصها**»: كون موسى عليه السلام استسقى لقومه بها فانفجر من البحر اثنا عشر عينًا. قال تعالى: **﴿وإذْ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾**.

قال عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه: كان لبني إسرائيل حجر فكان يضعه هارون ويضربه موسى بالعصا وقال قتادة: كان حجراً طورياً من الطور يحملونه معهم حتى إذا نقلوا ضربه موسى بعصاه.

وقيل: بل أنزله الحق تعالى على موسى من الجنة.

وقال الحسن: لم يأمر الحق تعالى موسى عليه السلام أن يضرب كل حجر بل حجرًا بعينه.

وقيل: بل شُقَّ لهم هذا الحجر وهم في التيه.

وقال جار الله الزمخشري: كان هذا الحجر من رخام.

وكان كل سبط من الاثني عشر له عين في ذلك الحجر.

« السادس عشر من فضائلها »: وقوع الإحياء على قتيل البقرة في أرض مصر الذي قال الحق تعالى فيه: ﴿وإذْ قتلتم نفسًا فادَّرءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ★ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾.

ومعنى اضربوه أي اضربوا القتيل ببعض لحم البقرة التي وصفها موسى لقومه فقال لهم: ﴿إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾. أي ببعض لحم البقرة. وهو معنى قول الحق تعالى: « ببعضها ».

« السابع عشر من فضائلها »: اشتهار أهلها بفن السحر الذي تحدوا به الأنبياء أصحاب التأييد الإلهي كموسى عليه السلام. حتى قال الحق تعالى فيهم: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾. فشبه الحق تعالى تخييل الساحر المصري بحقيقة الصنائع. وقال تعالى: ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾. فوصف الحق تعالى سحر أهل مصر بكونه عظيمًا. فوصفهم بأنهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم. حتى خاف ذلك موسى عليه السلام نفسه وذلك قول الحق تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾.

مبحث في السحر

الثابت أن حد الساحر ضربه بالسيف في الحدود لقوله عليه السلام: « حد

الساحر ضربه بالسيف». وأجمع أهل السنة على حقيقة السحر للآيات القطعية الواردة في القرآن في شأنه.

وخالف في ذلك المعتزلةُ أهلَ السنة وأنكروا حقيقة السحر. واستدل أهل السنة على أن الساحر له حقيقة تمكن في قلب الأعيان واستدل المعتزلة على أن الساحر له قدرة على التخييل والتوهيم لقوله تعالى: ﴿سحروا أعين الناس﴾. ولقوله: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾. وقد ذهب أهل السنة إلى تكفير الساحر.

أما تعلم السحر لأجل العلم فهو مقبول حميد. لكون المتعلم تعلم علماً لذاته شريفاً. فلا يمنع إذا تعلمه لأجل إبطال كيد العدو إذا سحر. أما تعلمه لأجل الفساد في الأرض وضرر الخلق كالتفريق بين الزوجين وقلب الأعيان كقلب الإنسان حماراً والقرد كلباً فهو مرفوض وصاحبه يكفر. لقوله ﷺ في الصحيح: (من أتى عرافًا أو كاهنًا فقد كفر بما أنزل على محمد).

وفي الحديث: (من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر).

فهذا لمن أتى عرافًا ولم يسحر فكيف بمن دخل حومة السحر. ومن ظرائف المقدور أنَّ رسول الله ﷺ سُحِرَ هو نفسه وقد ورد هذا في الصحيح من حديث عائشة.

وقد اتفقوا على أن الساحر لا يسحر شيئًا إلا بإذن الحق تعالى. لا من شأن نفسه. لقوله تعالى: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾.

وقد ذكر الوزير أبو المظفر بن هبيرة في كتابه «الإشراف على مذاهب الأشراف» بابًا في السحر فقال: أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله.

فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إنْ تعلمه ليتقيه أو ليتجنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقدًا جوازه أو أنه ينفعه يكفر. وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

وقال الشافعي رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له: صِفْ لنا سحرك فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر.

ثم قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟

فقال مالك وأحمد: نعم. وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا.

وأما إن قتل بسحره إنسانًا فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد.

وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين.

وإذا قتل فإنه يقتل حدًا عندهم إلا الشافعي فإنه قال: يقتل والحالة هذه قصاصًا.

قال: وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟

فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم: لا تقبل وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: تقبل.

وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة أنه يقتل كما يقتل الساحر المسلم وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل يعني لقصة لبيد بن الأعصم واختلفوا في المسلمة الساحرة.

فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ولكن تحبس وقال الثلاثة: حكمها كحكم الرجل. اهـ.

وقال ابن كثير في «تفسيره»: هل يسأل الساحر حلّا لسحره فأجاز سعيد ابن المسيب فيما نقله البخاري.

وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة وكره ذلك الحسن البصري. اهـ.

وقـد عَـدّ الإمـام فخـر الديـن الرازي في «تفسيره» أصنـاف السحـر وسنوردها هنا على سبيل الاختصار:

«النوع الأول»: سحـر الكـذابين والكشـدانيين الذيـن كـانـوا يعبـدون الكواكب السبعة المتحيرة وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم وأنها تأتي بالخير والشر.

«النوع الثاني»: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية.

«النوع الثالث»: من السحر الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن خلافًا للمعتزلة والفلاسفة. وهم على قسمين: مؤمنين وكفّار وهم الشياطين.

«النوع الرابع»: من السحر التخيلات والأخذ بالعيون والشعبذة وهذا كسحر سحرة فرعون الذين التقوا بموسى.

«النوع الخامس»: من السحر الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب آلات مركبة على النسب الهندسية.

«النوع السادس»: من السحر الاستعانة بخواص الأدوية يعني في الأطعمة والدهانات.

«النوع السابع»: من السحر التعليق للقلب وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه.

«النوع الثامن»: من السحر السعي بالتميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس.

«الثامن عشر من فضائلها»: توجه عيسى ابن مريم هو وأمه عليهما السلام إلى مصر لما خافت من يهود بني إسرائيل.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: عن ابن عباس قال: وكان عيسى يرى العجائب في صباه إلهامًا من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهمت به بنو إسرائيل فخافت أمه عليه فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى

أرض مصر فذلك قوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾. اهـ.

قيل: الربوة هي مصر.

«التاسع عشر من فضائلها»: لم يبعث نبيّان معًا بأرض سوى أرض مصر وهما موسى وهارون وذاك قوله تعالى: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾.

«العشرون من فضائلها»: ما وصفت به في (القرآن) في قول يوسف كونها [(خزائن الأرض]. وذلك قول الحق تعالى على لسان يوسف الصديق النبي عليه السلام: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾.

وهذا يدل على عظم أموالها وسعة رزقها ومواردها وكونها خزينة كبيرة في الرزق والمال.

«الحادي والعشرون من فضائلها»: ما وصفت به في (القرآن) بقول الحق تعالى: ﴿اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم﴾. وهذا يدل على كون المشتهيات والذخائر وخيرات الدنيا تكونت بها لذا قالوا عنها: «مصر أم الدنيا».

ويندر أن لا يوجد شيء بها في الدنيا. لذا قيل: ﴿فإن لكم ما سألتم﴾. أي ادخلوا مصرًا فكل ما تشتهونه ستجدونه بها.

«الثاني والعشرون من فضائلها»: ما وصفت به في (القرآن) بأنها «البلد الآمن». وذاك قوله تعالى: ﴿ادخلو مصر إنْ شاء الله آمنين﴾. وهذا الوصف لم توصف به بلد سوى مصر ومكة.

«الثالث والعشرون من فضائلها»: كون الحق تعالى وصفها في (القرآن) بأنها «جنة» قال تعالى: ﴿فاخرجناهم من جنات وعيون ★ وكنوز ومقام كريم ★ كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾.

وكذلك قوله: ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾.

فوصفت مصر بأربعة أوصاف:

«الأول» كونها جنات.

«الثاني» كونها كنوزًا.

«الثالث» كونها مقامًا كريمًا.

«الرابع» مقام الوراثة فيها الظاهري والباطني.

«الرابع والعشرون من فضائلها»: وكون التمكين لا يكون إلا بها وذاك قول الحق تعالى: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾. وكذلك قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا﴾. وقال تعالى: ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾. والتمكين هو التثبيت والاستقرار وهذا مداره أرض مصر. والتمكين صار صفة مصر في أيامنا هذه من استقرارها وقيام القلاقل والفتن في الأقطار التي هي دونها. ولما وصل المغول إلى أرض مصر لم يكسر شوكتهم ويردهم إلا أهل مصر بعد أن دمروا بغداد وبلاد الشام وبلاد ما وراء النهرين. وكان ذلك بقيادة الملك المظفر سيف الدين قطز سنة ثمان وخمسين وستمائة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان في موقعة عين جالوت. وكان ذلك النصر أول نصر عرف بأرض على التتر منذ خرجوا من البلاد.

«الخامس والعشرون من فضائلها»: ما وصفت به في (القرآن) أنها «الأرض المباركة».

وذاك قوله تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾.

وقال تعالى: ﴿فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة﴾.

« السادس والعشرون من فضائلها » : اطلاق لفظ « الأرض » عليها بلا تقييد في (القرآن). وذاك قوله تعالى: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾. فجعل الحق تعالى مصر الأرض كلها. لذلك قال الحق تعالى في حق موسى وهارون وقومهما: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ الآية. ثم قال: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض﴾ الآية. فكان وصف فرعون بأنه علا في الأرض وهي أرض مصر.

وكان وصف المستضعفين بأنهم في الأرض والأرض هي مصر.

« السابع والعشرون من فضائلها » : إطلاق لفظ « التقديس » على أرض مصر (في القرآن). لقوله تعالى: ﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾.

« الثامن والعشرون من فضائلها » : ما وصفت به في (القرآن) من أنها « مشارق الأرض ومغاربها ». وذاك قول الحق تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾.

لذا صدق إطلاق العامة على أرض مصر من أنها « أم الدنيا ».

« التاسع والعشرون من فضائلها » : وصفها في (القرآن) بأنها ﴿مبوأ صدق﴾. قال تعالى: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات﴾ وبوأك الله مبوأ صدق: أي أنزلك فيه.

ومن ذلك قول الحق تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا﴾.

أي أنزلا قومكما مصر سكنًا لهم.

والتبوؤ وصفت به الجنة في القرآن كما وصفت به أرض مصر. قال تعالى: ﴿لنبوئنهم من الجنة غرفا﴾. والنكتة الظريفة أن الحق تعالى لم يصف أرضًا بأنها مبوأ صدق سوى أرض مصر.

« الثلاثون من فضائلها » : وصفها بأنها « الملك » في (القرآن). قال

تعالى: ﴿لكم الملك اليوم ظاهرين في الأَرض﴾. لذا قال المؤرخون قديمًا من ملك مصر فكأنه ملك الدنيا كلها والملك بأسره.

«الحادي والثلاثون من فضائلها»: تشبيهها في (القرآن) «بمقام الخلافة» والاستخلاف في الأرض. وذاك قوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأَرض﴾.

وهذا قاله موسى لقومه مخبرًا لهم بهلاك فرعون وقومه واستخلافهم بأرض مصر.

«الثاني والثلاثون من فضائلها»: اطلاق لفظ «الإمامة والإرث» على ملوكها المتسحقين لها في (القرآن). وذاك قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأَرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾.

وهذا سره عجيب. إذ اقتضت الحكمة الإلهية وقوع القوة على سلاطين مصر لكونهم أئمة الوجود وحكامه الذين يرد بهم الحق تعالى الدسائس عن العرب وأرض الإسلام. فهم ملوك العالمين والأئمة القائمون بحقوق الرب والعباد في الأَرض.

ألا وهم الوارثون بحق ما أقاموا حدود الله وحقوق العباد.

لذلك وجبت عليهم المنة من بعد ضعف وذل. ولذلك قال الحق تعالى فيهم: ﴿لكم الملك اليوم ظاهرين﴾. أي ملك الحاكم المصري ظاهر على غيره بتأييد الحق تعالى ونصرته. وهذا نص القرآن في هذا الباب.

«الثالث والثلاثون من فضائلها»: وصف حاكمها في (القرآن) بأنه «الملِك» وذاك قول الحق تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾. وهذا لتميز الحاكم المصري على غيره في الفضل والعدل.

«الرابع والثلاثون من فضائلها»: في (القرآن) وصف حاكمها بأنه «العزيز» وهذا لم يوصف به حاكم بلد سوى حاكم مصري. وذلك لعزة نفسه.

قال تعالى: ﴿قالت امرأة العزيز﴾ وقال تعالى: ﴿قالوا يأيها العزيز﴾ .

« الخامس والثلاثون من فضائلها » : أنْ كانَ الفخرُ لأهل مصر أن اشترى عزيز مصر يوسف عليه السلام وآواه إلى كنفه بعد أن رماه إخوته في الجب وتآمروا عليه ثم أُسِرَ بضاعة. قال تعالى: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾ .

« السادس والثلاثون من فضائلها » : وصف ملكها بأنَّ له « عرشًا وسجودًا » وهذا قيل في حق يوسف الصديق في (القرآن). وذاك قول الحق تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا﴾ .

« السابع والثلاثون من فضائلها » : وصفها بصفة « الجنة » في (القرآن). وذاك قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾ . فشبه فرعونُ أنَّ الأنهارَ تجري من تحته بأرض مصر كما تجري الأنهار من تحت أهل الجنة.

« الثامن والثلاثون من فضائلها » : أنَّ إتمام النعم يكون بها. وذلك لقوله تعالى على لسان يعقوب: ﴿ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم﴾ .

« التاسع والثلاثون من فضائلها » : أن أهلها أصدق الناس قولًا وحديثًا. حتى أن امرأة العزيز اعترفت على نفسها بأنها راودت يوسف عليه السلام. فقالت: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ .

ومن عجائب امرأة العزيز أنها لم تبرىء نفسها وهذا نادر في جنس النساء. بل بينت الحق في نفسها. وإنما راودته واتهمت نفسها بالخيانة.

« الأربعون من فضائلها » : أنَّ أهلها أرحم الناس بالغريب وأرأفهم

بالمسكين. حتى قال عزيز مصر لامرأته: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا﴾. فما بالك في قول ملك في مسكين رقيق كيوسف الصديق عليه السلام. فما أعظم عطف مصر وأهلها على غريب وحيد.

ومن جملة رحمتهم وعطفهم قول الملأ من قوم فرعون في حق موسى وأخيه: ﴿أرجه وأخاه﴾.

«الحادي والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أرق الناس قلوبًا وأرأفهم فؤادًا.

قال تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنا﴾.

وقال تعالى على لسان امرأة فرعون: ﴿قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وهم لا يشعرون﴾.

ومن جملة العجائب أنَّ آلَ فرعون آووا موسى في كنفهم فما أعظم رقة آل مصر. ومن ذلك أنَّ الحقَ تعالى وصف أم موسى فقال: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى في حق أم موسى: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن﴾.

«الثاني والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أصدق الناس نصحًا لمستنصح. قال تعالى: ﴿وجاء رجل من أهل المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾. ومن ذلك نصح يوسف للعزيز بأن يتخذه على خزائن الأرض ويجعله فكان هذا النصح في محله.

ومن ذلك تأويل منامات الرجلين الذين كانا مع يوسف فنصحها وأول ذلك بقوله: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.

فصدق نصحه.

ومن ذلك نصح يوسف للملك لما رأى المنام فصدق النصح فاتخذه الملك خليلًا له.

«الثالث والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أعظم الناس اعترافًا بالحق وقولًا له.

فمن ذلك اعتراف السحرة على أنفسهم بأنهم على ضلال وأن موسى على الحق فآمنوا بموسى.

قال تعالى: ﴿فألقي السحرة سجدًا قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾.
ثم قالوا: ﴿لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقضِ ما أنتَ قاضٍ أنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾.

«الرابع والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أعظم الناس صبرًا وتحملًا للبلاء.

قال تعالى: ﴿إنَّ فرعونَ علا في الأرض وجعل أهلها شيعًا يستضعف طائفة يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾.

«الخامس والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها أكرم الناس وأجودهم يدًا. قال تعالى على لسان العزيز: ﴿أكرمي مثواه﴾ فكيف يكرم ملكٌ عبدًا رقيقًا؟ إلا إذا كانت له سجية كرم وجود.

«السادس والأربعون من فضائلها»: أنَّ أهلها اتصفوا بالقوة والأمانة. وذاك قوله تعالى في موسى على لسان ابنة شعيب: ﴿يا أبتِ استأجره إنَّ خير من استأجرت القوي الأمين﴾.

«السابع والأربعون من فضائلها»: اتصاف أهلها بفعل الخير دون أخذ مقابل. وهذه صفة موسى لما سقى لابنتي شعيب دون أخذ مقابل قال تعالى:

﴿فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ . وبلغنا أنَّ الصخرة كانت لا يطيق رفعها إلا عشرة رجال التي كانت على البئر التي سقى منها موسى. قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عبيدالله أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال: فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال فإذا هو بامرأتين تزودان قال: ما خطبكما ؟

فحدثتاه فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستقِ إلا ذنوبًا واحدًا حتى رويت الغنم. إسناده صحيح.

« الثامن والأربعون من فضائلها » : اتصاف أهلها بوفاء العهد. وكانت هذه من صفة موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارًا﴾ .

« التاسع والأربعون من فضائلها » : اتصاف أهلها بالحياء. وكانت هذه صفة موسى عليه السلام وهو من أهل مصر.

قال عمر رضي الله عنه: لما قالت ابنة شعيب: ﴿إنَّ خيرَ من استأجرت القويّ الأمين﴾ . قال لها أبوها: وما علمك بذلك؟ قالت له: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال وإني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي: كوني من ورائي فإذا اختلف عليَّ الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه.

« الخمسون من فضائلها » : اتصاف أهلها بقوة الأجسام. حتى أن موسى عليه السلام وكز رجلاً فقتله. وذاك قوله تعالى: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ .

« الحادي والخمسون من فضائلها » : فضائلها الموصوفة بها في الحديث النبوي. وأصح ما ورد في ذلك ما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

قال: رسول الله ﷺ «إنكم ستفتحون أرضًا يصح فيها القيراط». وفي رواية: «ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بما خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا». ولم يستوصِ النبي (ﷺ) بقبط سوى قبطها.

«الثاني والخمسون من فضائلها»: أنَّ بها خيرَ أجناد الأرض كما ورد بذلك الأثر. ولا يعرف الآن جنود في عددهم كجنود مصر فقد فاقت كثرتهم عدد أي جيشٍ في دولة إسلامية.

روى عبدالله به لهيعة من حديث عمرو بن المعافي رضي الله عنه أنه قال: حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم مصر بعدي فاتخذوا بها جندًا كثيفًا فذلك الجند خير أجناد الأرض».

فقال له أبو بكر: لِمَ يا رسول الله؟ فقال: «لأنهم هم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة».

والواقع في أيامنا هذه أنَّ جندَ مصر هم شوكة الإسلام الذي لولاه لما قامت بأرض الإسلام قائمة ولما سمع صوته. وهم أكثر جند الإسلام عددًا وأشدهم بأسًا. وكان دليل هذا في حرب رمضان في عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وتسعين من الهجرة فقد ظهر عظم أثر الجند المصري. لما سحقوا جنود اليهود. وقد جعلت الحكومة نصف ميزانية خزانتها للجيش. ومع مصر من الأسلحة المتنوعة ما لا يعد وبها مصانع أسلحة.

«الثالث والخمسون من فضائلها»: كونها معافاة من الفتن والبلاء وكيد المعتدين.

قال أبو رهم السماعي: لا تزال مصر معافاة من الفتن مدفوعًا عن أهلها الأذى ما لم يغلب عليها غيرهم فإذا كان ذلك لعبت بهم الفتن يمينًا وشمالًا.

وقال كعب الأحبار: لولا رغبتي في بيت المقدس ما سكنت إلا مصر فقيل له: ولِمَ؟

قال: لأنها معافاة من الفتن ومن أرادها بسوء كبَّه الله على وجهه وهو بلد مبارك أهله.

ومكتوب في التوراة: «مصر خزائن الأرض كلها فمن أرادها بسوء قصمه الله».

وقال أبو بصرة الغفاري: مصر خزائن الأرض كلها وسلطان مصر سلطان الأرض كلها. ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام ملك مصر: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾. ففعل. وهذه حقيقة، إذْ كلُ مَنْ قصدَ مصرَ صدَّه الحقُ تعالى عنها كالتتر والصليبيين وأخزاه وأهلكه.

«الرابع والخمسون من فضائلها»: اشتهار أهلها برسوخ الإيمان والعقائد وكتم العلم واليقين.

وذاك قول الحق تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله﴾. قال السدي: كان الرجل ابن عم فرعون وقال ابن عباس: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون وهو الذي قال: ﴿يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾. ولما سمع فرعون كلامه هذا كف عن قتل موسى.

«الخامس والخمسون من فضائلها»: أنَّ بها النخلة التي أمرت مريم بهزها وذاك قوله تعالى: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا﴾. وقيل: هذه النخلة ببيت المقدس.

«السادس والخمسون من فضائلها»: أنَّ بها النخلة التي أمرت مريم أن تضع عيسى تحتها فلم يثمر غيرها وهي بالجيزة.

«السابع والخمسون من فضائلها»: أنَّ بها الجميزة التي صلى تحتها موسى عليه السلام وهي بطرا.

«الثامن والخمسون من فضائلها»: أنَّ بها الربوة التي آوى إليها عيسى

وأمه عليها السلام. قال تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾.

قيل الربوة: هي البهنسة.

قال أبو حكيم بن مفضل البهنسي في كتابه (فضائل مصر): قال شيخي: والصحيح أن الربوة التي آوى إليها المسيح وأمه بمدينة البهنسا بموضع يعرف الآن بمسجد الديوان.

آوى به هو وأمه سبع سنين. اهـ.

ومن جملة فضائلها أن الحواريين أقاموا معه بمدينة البهنسا.

قال ابن ظهيرة: ودعوته لأهل البهنسا مشهورة.

«التاسع والخمسون من فضائلها»: وجود بئر البلسم التي بأرض المطرية التي دعا لها عيسى عليه السلام وكذلك وجود النخلة التي كانت تنضح لعيسى الزيت بمدينة أشمون.

«الستون من فضائلها»: ما يوجد بمصر من مساجد الأنبياء والصحابة والأولياء «فمن ذلك»: مسجد سليمان عليه السلام بالإسكندرية ومسجد يوسف عليه السلام بمنف وأربعة مساجد لموسى عليه السلام واحد بالإسكندرية ومسجد بمنف ومسجد بطرا ومسجد بوادي المقطم وللخضر عليه السلام مسجدان واحد بالإسكندرية وواحد بنتوهة في أسفل الأرض ومسجد ذي القرنين بالإسكندرية عند اللحات ومنها مسجد الأقوام وهم قوم أهل المعافر قتلوا على موالاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومسجد عقبة بن عامر الجهني بسوق وردان ومسجد مسلمة بن مخلد بسوق وردان ومسجد الزبير بسوق وردان ومسجد الزمام ومسجد حرس الحصن ومسجد درب الكندي في زقاق فيه قبر الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومسجد البئر والجميزة في طريق الجب بني على رأس إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أرسله أبو جعفر المنصور إلى الأمصار فأخذه

أهل مصر ودفنوه في هذا الموضع. اهـ.

قال ابن زولاق: وبمصر من مساجد الصحابة سوى ما ذكرناه بنوها حين الفتح عدتها نحو مائتي مسجد وثلاثة وثلاثين مسجداً وكانوا يبنونها بالآجر الأحمر ويبنون منازلهم باللبن وأكثرها باق إلى اليوم ومنها مسجد أهل الراية وهو الجامع العتيق بناه عمرو بن العاص سوى ما تجدد فيه بعده وكان في الأول موضعه جناناً فبني في سنة إحدى وعشرين من الهجرة.

ويقال: وقف على قبلته ثمانون صحابياً. انتهى.

أما المساجد العامرة التي في أيامنا هذه: فمسجد الحسين بن علي ومسجد السيدة زينب ومسجد الجامع الأزهر ومسجد عمرو ومسجد الظاهر بيبرس ومسجد الغوري ومسجد الرفاعي ومسجد السلطان حسن ومسجد محمد علي باشا ومسجد السيدة نفيسة ومسجد أحمد الزاهد ومسجد السيدة سكينة ومسجد عائشة النبوية ومسجد فاطمة النبوية ومسجد زين العابدين ومسجد أبي العلا ببولاق ومسجد صالح الجعفري بالدراسة ومسجد الشعراني ومسجد ابن الفارض ومسجد الشافعي ومسجد قايتباي ومسجد المؤيد ومسجد الليث ومسجد ابن طولون وهو من أعظم مساجد القاهرة ومسجد الزمالك ومسجد خالد بن الوليد بإمبابة ومسجد محمد أبي الذهب ومسجد العدوى بالدراسة ومسجد الإنبابي بإمبابة ومسجد سيدي أحمد البدوي بطنطا ومسجد الدسوقي بدسوق ومسجد المرسي بإسكندرية ومسجد سيدي جلال بأسيوط ومسجد الفولي بالمينا ومسجد سيدي عبد الرحيم بقنا ومسجد الإمام عبد الحليم محمود بالشرقية ومسجد الفرغل بأبي تيج ومسجد رابعة بمدينة نصر. وبالجملة فلا توجد مساجد في بلاد الدنيا في كثرتها ببلدة مثل التي بمصر. وقد اشتهرت مصر بكثرة مساجدها.

حتى أنَّ مساجدها أكثر من أهلها. وفي خطط مصر القديمة توجد ثمانية عشر مسجداً لتجيب وثمانية عشر مسجداً لمذحج ولسبأ مسجد واحد ولخولان ثلاثة وعشرون وللعيص واحد ولراشدة واحد. وليحصب ثلاثة عشر

ولمهرة ثمانية عشر ولدعين ثمانية عشر ولكلاع تسعة عشر ولمعافر خمسة وخمسون ولمعانق واحد وعشرون وللأزد واحد ولفهم ستة ولبني بحر واحد ولبني يبة واحد وليشكر اثنان ولهذيل خمسة ولبني سلامان اثنان وبالجيرة ثمانية عشر مسجدًا.

قال ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة»: وهذه مساجد الخطط التي بنتها الصحابة تعرف فيها الإجابة والبركة وبالقرافة ونواحيها مساجد منها مسجد الإجابة ومسجد الكرب وبها دار الأبرار. اهـ.

«الحادي والستون من فضائلها»: مقبرتها المقطم فلا يفضلها مقبرة فيما نعلم إلا البقيع وتماثلها أيضًا الشونيزية ببغداد. وذلك لعظم ما بمقبرة المقطم من فضائل لا تحصى ولعظم ما دفن بها من الأولياء والصلحاء والعلماء والمحدثين والفقهاء وأكابر الصوفية. فهي بعد البقيع في الفضل.

روى ابن لهيعة عن عياش بن عباس أنَّ كعب الأحبار سأل رجلًا يريد السفر إلى مصر فقال له: اهْدِ لي تربة من سفح مقطمها فأتاه منه بجراب فلما حضرت كعبًا الوفاة أمر به ففرش تحت لحده تحت جنبه.

قال كعب: كلم الله تعالى موسى من الطور إلى أطراف المقطم من القدس وقال تبيع بن عامر الكلاعي: منازل الفسطاس في القدس.

وروي أنَّ موسى عليه سجد بالمقطم فسجدت معه كل شجرة من المقطم إلى طوى.

وسُمِيَ المقطم لأنَّ المقطمَ بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام كان ينزله.

قال الحسن البصري: يحشر من المقطم الشهداء يوم يحشر الخلق إلى الجبار.

وقيل: جانب الطور الأيمن هو المقطم قال تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾.

قال ابن زولاق: ودفن بمصر من أمرائها اثنان وسبعون بالمقطم أولهم عمرو بن العاص وآخرهم كافور. اهـ. ويروى أنه مكتوب في «التوراة»: وإذا فُتِحَ مقدس جديد - يعني - وادي مسجد موسى عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة وأنَّ موسى عليه السلام كان يناجي ربه بذاك الوادي.

قال الكندي في كتابه «فضائل مصر»: والإجماع على أنه ليس في الدنيا مقبرة أعجب من المقطم ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها ولا أعجب تربة منها كأنها الكافور والزعفران مقدسة في جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها. اهـ.

والواقع اليوم أنَّ أهلَ مصر استعمروا المقابر وسكنوها وطغت فيها المدنية حتى عمروها بالعمائر الهائلة والمدن الفاخرة كمدينة المقطم حيث عبّدوا فيها الشوارع والحدائق وسكنوا الترب.

«**الثاني والستون من فضائلها**»: ما ورد في فضل نيلها في القرآن حيث لم يرد ذكر نهر في القرآن سواه على التعيين.

«**الثالث والستون من فضائلها**»: أنَّ الحق تعالى سمى نهر النيل يمًا في القرآن فقال: ﴿**فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليم**﴾. ولم يُسَمَّ نهرٌ بلفظ اليم في القرآن سوى النيل. واليم من أسماء البحر في اللغة. ومن فضائل نهر النيل أن الحق تعالى سماه بحرًا فقال تعالى: ﴿**أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم**﴾ ولم يُسَمَّ نهرٌ بحرًا في القرآن سوى النيل.

«**الرابع والستون من فضائلها**»: أنَّ الحقَّ تعالى شبَّه نهر النيل بأنهار الجنة فقال تعالى على لسان فرعون: ﴿**أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي**﴾. فشبه أن الأنهار تجري من تحته بمصر كما تجري الأنهار من تحت قصور أهل الجنة.

ونقل ابن زولاق في «تاريخ مصر» عن كعب الأحبار قال: أربعة أنهار

من الجنة وضعها الله في الدنيا فنهر مصر نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر وسيحان نهر الماء وجيحان نهر اللبن.

وبالجملة ففضائل النيل لا تحصى ولا تعد: وقد ذكر منها أشياء ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة» قال: «فمنها»: أنه لا يوجد ماء أعذب من مائه على وجه الأرض سوى زمزم. وهذا واضح في نكهة مائه الذي يطبخ به وتصنع المشاريب منه. حتى أن ماءه وهو كدر يكون كالعسل في الطبخ. ومنها»: أنه يجري على رمل لا على طين في غالبه. «ومنها»: أنه ليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال غيره ولا نهر يصب في بحر الروم والصين سواه.

«ومنها»: أن زيادته تخالف جميع زيادات الأنهر فكلما اشتد الحر زاد أعظم وهذا مخالف لجميع أنهار الدنيا. إذ المألوف أن الأنهار تزيد في الشتاء وهو يزيد في الصيف.

«ومنها»: أن زيادته تأتي في وقت ضيق فتوفر من الأموال ما لا يعلمه إلا الله وليست كمثل زيادات الأنهار الأخرى لا ينتفع بها الناس لكونها قد تأتي في زمن الشتاء حيث الأمطار والسيول الغزيرة.

«ومنها»: أنه منتظم الوقت في زيادته ونقصه. اهـ.

«الخامس والستون من فضائلها»: أنَّ من بدائع عجائبه ومناقبه أي النيل أن حلاوته تزداد كلما اتجهنا نحو الصعيد. قال ابن ظهيرة في «الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة»: ويوجد في مائه من العسيلة كأنه شيب بلعاب الشهد. وكان عيسى الهاشمي لما توجه إلى مصر لإمارتها يخلط له ماء النيل بالعسل في مراحل الطريق فلما بلغ فاقوس سقي ماء النيل فلما شربه قال: زدتم في عسيله؟ فقالوا: لا هو صرف بلا عسل فتعجب من ذلك.

ومن شواهد ذلك ما أنشده القاضي فخر الدين بن مسكين لما ولي قضاء قوص من الصعيد وكان قبل قاضيًا بإبيار يقول:

والله لولا العار ما اخترت غير إبيار
لكن الصعيد أعلى وماؤه لي أحلى

وقيل: لولا ما بمصر من الليمون والحموضات ما عاش أجدبها لشدة حلاوة ماء النيل. «ومن خواص النيل»: التمساح فإنه لا يوجد في غيره. وقلما توجد تماسيح في نهر من أنهار الدنيا إلا النادر.

وتوجد بالنيل التماسيح الضخمة حيث يكون الواحد منها كفحل الجاموس. وهو حيوان زاحف مفترس قد يخرج بأعالي الصعيد ويفترس الناس والبهائم.

«ومن عجائب نهر النيل»: شدة لذة طعوم أسماكه كالبلطي والبياض والقرموط. فإني ذقت أسماكًا كثيرة فلم أجد سمكًا ألذ من بلطي النيل. وكذلك كثرة الأسماك التي به بحيث لا يوجد نهر به أسماك كمثله.

«ومن عجائب نهر النيل»: السمكة المعروفة بالرعادة. وهي فيها نسبة كهرباء. ومن لمسها مسته الكهرباء فارتعد وأطلقها. ومن لمسها بحديدة يحدث له كذلك. اهـ.

«ومن عجائب النيل»: أن الحق تعالى أجرى فيه معجزة موسى الكبرى لما ضرب بعصاه فانفلق كل فرق كالطود العظيم.

«ومن عجائبه»: كونه أوسع نهر في الدنيا.

«ومن عجائبه»: كونه ألقي فيه موسى في التابوت فاحتمله وحفظه.

«ومن عجائبه»: كونه قليل الفيضان وحتى إن فاض فليس فيضانه مدمرًا أو متلفًا للبلاد وأرواح العباد. وقبل إنشاء السد العالي كان كثير الفيضان على القرى والكفور التي على جوانبه حتى كان يغرق القرى ويكون التنقل بالقوارب. وحدثتني والدتي أن الناس كانوا يجمعون السمك من الفيضان جمعًا هائلًا لا يعد ولا يحصى حتى يتعفن. فلما أنشأ السد توقف.

«ومن عجائبه»: أنه يخصب أرض مصر ويرفع قوة غرينها لما يحمله من

أعالي البلاد من كمية الطمي والغرين فتزداد نسبة خصوبة الأراضي لما يطرح الغرين بها. وليس أحلى من فاكهة وخضراوت تروى بماء النيل.

« ومن عجائبه »: كثرة الجزر التي بوسطه وسعة هذه الجزر. ومن أعظمها جزيرة الزمالك التي استحدثها الباشوات والملوك والحكام قديمًا وأنشأوا بها السرايات والقصور الفاخرة وذلك لطيب هوائها. حتى أصبحت من أفخر مساكن القاهرة وأغلاها ثمنًا. وكان من الجزر قديمًا شيء لا يحصى.

« ومن عجائبه »: ما قاله الكندي في « فضائل مصر »: ليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على نيل مصر ولا يجبى من خراجها. اهـ.

« ومن عجائبه »: كونه من أنهار الجنة وقد وردت بذاك آثار.

والصحيح أنه لم يرد حديث صحيح في فضل نيل مصر عن النبي ﷺ. وبالجملة ففضائل النيل لا تعد ولا تحصى.

« السادس والستون من فضائلها »: أنَّ أهلها أول من قاسوا الماء في الأنهار.

فأول من قاس النيل يوسف عليه السلام بنى مقياسًا بمنف وهو أول مقياس وضع.

قال ابن ظهيرة: وكانت القبط بمصر تقيس على مقياس منف إلى أن بطل ثم من بعده مقياس دلوكة العجوز في نواحي إخميم وكانت هناك ومقياس آخر بأرضنا وهو صغير الذرع والعمل عليه عندهم ثم عملت القبط مقياسًا آخر في قصر الشمع ثم عملت الروم مقياسًا آخر بالقصر خلف الباب الصغير يمنة الداخل ثم بنى عمرو بن العاص مقياسًا بأسوان ثم بنى في أيام معاوية مقياسًا بأنصنا فلم يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسًا بحلوان وكانت منزله وكان صغير الذرع ثم وضع أسامة بن زيد أساس المقياس القديم بأنف الجزيرة القبلي ثم عمل محمد بن عبدالله خازن الإخشيد مقياسًا بصاغة مصر وهو باق إلى اليوم ثم بنى المتوكل مقياسًا بالجزيرة أول

سنة سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبدالله التركي على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد والعمل عليه إلى يومنا هذا. وأمر المتوكل بعزل النصارى عن قياسه وورد كتابه إلى القاضي بكار بن قتيبة بأن لا يتولى ذلك الا مسلم يختاره فاختار أبا الرداد واسمه المعلم عبدالله بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي الرداد المؤدب العجمي أصله من البصرة وقدم مصر وحدّث بها. اهـ.

«السابع والستون من فضائلها»: اعلم أيدك الله أن خراج مصر عظيم منذ القدم وهي مشهورة بخراجها حتى كانت تسمى «بسلة الخبز».

ونقل ابن زولاق عن بعض علماء مصر أن فرعون الأول كان يستخرجها تسعين ألف ألف دينار.

يخرج من ذلك عشرة آلاف ألف دينار لمصالح الناس من أولاد الملوك وأهل التعفُّف وعشرة آلاف ألف للولاة والجند والكتاب. وعشرة آلاف ألف لمصالح فرعون. ثم يكنزون لفرعون خمسين ألف ألف دينار. اهـ.

وفي كتاب «المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار» للمقريزي: أنَّ الخراج كان في زمن ندارس بن صا وهو الذي حفر خليج سخا مئة ألف ألف وخمسين ألف دينار ثم كان في زمن الريان بن الوليد العمليقي فرعون يوسف عليه السلام الخراج سبعة وتسعين ألف ألف دينار فأحب أن يتمه مئة ألف ألف دينار فأمر بالعمارات وإصلاح الجسور والزيادة في استنباط الأرض حتى بلغ ذلك وزاد عليه وانتهى الخراج في زمن فرعون موسى عليه السلام إلى سبعة وتسعين ألف ألف دينار. انتهى.

وتتابع الظمأ في زمانه ثلاث سنين فترك فرعون لأهل مصر خراج ثلاث سنين. وأنفق من خزائنه على نفسه وعلى عسكره فلما كانت السنة الرابعة أضعف الخراج واستمر حتى اعتاض جميع ما أنفقه من خزائنه ولما فتحها عمرو بن العاص جباها أول دخوله ثمانية آلاف ألف فاستعجزه عمر بن

الخطاب رضي الله عنه. وقال: جباها الروم عشرين ألف ألف دينار وجبيتها ثمانية آلاف ألف فلما كانت السنة الثانية جباها اثني عشر ألف ألف فلما توفي عمر وولي عثمان صرف عمرًا عنها وولى عبدالله بن أبي السرح أخاه من الرضاع فجباها أربعة عشر ألف ألف دينار.

فنظر عثمان إلى عمرو بن العاص وكان عنده بالمدينة وقال له: قد علمت أن اللقحة درت بعدك. قال: نعم ولكن أجاعت أولادها وقد أضرت هذه السنة بما بعدها. فلما يجبها بنو أمية وبنو العباس إلا دون ثلاثة آلاف ألف دينار إلا في أيام هشام بن عبد الملك فإنه أوصى عبيد الله بن الجنحاب عامله على مصر بالعمارة فجباها أربعة آلاف ألف انتهى. وسئل بطريق من الروم عن خراج بلد الروم كله فذكره فإذا هو خراج كورة من كور مصر.

وذكر بعض العلماء أن خراج العراق لم يكن قط أوفر منه لأيام عمر بن عبد العزيز فإنه بلغ مائة ألف ألف درهم وسبعة عشر ألف ألف درهم ولم تكن مصر قط أقل خراجًا من أيام عمرو بن العاص فإنه بلغ عشرة آلاف ألف دينار.

وقال أبو حازم عبد العزيز قاضي العراق: سألت أحمد بن محمد بن المدبر بالشام عن مصر قال: كشفتها فوجدت عامرها أضعاف غامرها.

ولو اشتغل السلطان بعمارتها لوفت له بخراج الدنيا وكانت الخلفاء تسمّي مصر سلة الخبز. انتهى كلام ابن زولاق. وبالجملة فخراج مصر لا يعدله خراج قديمًا.

أما الآن فالعجز بائن في ميزانيتها. وهي مستدينة وتقدم لها المساعدات من الدول لعدم استغلالها كما ينبغي.

« الثامن والستون من فضائلها »: قال ابن ظهيرة في « الفضائل الباهرة » إنها تمير الحرمين الشريفين وسائر بلاد الدنيا ولولا مصر لم أمكن المقام بالحرمين وأعمالها.

ولما أمكن الحجاج الواردين الوصول إليهما من كل فج عميق. ولما وجب المقام بها يومًا واحدًا لنفاد أزوادهم وقلتها وغلائها. لولا ديار مصر.

وقد تكلف بعضهم وقال: لو أنَّ عابدًا ترك التصرف وأقبل على العبادة وآخر ليس بمتعبد قام له بمؤنته وكفايته لكان شريكًا له في الأجر فكذلك مصر منزلتها من الحرمين. انتهى ما قاله ابن ظهيرة.

أما اليوم فإن بلاد الحجاز أغنى بلاد الدنيا لظهور البترول والذهب بها وهذا لدعوة الأنبياء السابقين لها. فتأخرت هذه الدعوة. وكان من آثارها غنى أهل الحجاز وظهورهم على الخلق. فلم يكونوا في حاجة لأن يميرهم أحد. لتفشي أموال الدنيا فيهم فأصابتهم كل نعمة.

«**التاسع والستون من فضائلها**»: كونها تمير كل بلاد العالم والدنيا في العلم الديني وعلوم العرب والإسلام. قديمًا وحديثًا.

فلا يوجد أعلم من أهلها بقرآن الحق وسنة النبي ﷺ.

حتى أنَّ الدولَ العربية التي أغنيت ترى قصورها متفشيًا برغم مالهم فيحتاجون إلى علماء مصر فيرسل لهم العلماء بعد إلحاح شديد منهم. وكذا يرسل علماء الأزهر في بعثات إلى جميع دول العالم مثل دول الإفريق ودول الأمريك ودول الأورب. ومشايخ الأزهر مشهورون بهذا في تقدمهم على غيرهم في فنون العلم. فلا يسبقهم سابق في بلاد الدنيا حتى يرد إلى الأزهر الوراد للتعلم فيه ويسلم كثير من الكفار لما يسمعونه عن الأزهر وعلمائه في أقاصي بلاد الكفر.

«**السبعون من فضائلها**»: أنها تمير كثيرًا من الدول بعمالها لعظم الأيدي العاملة فيها وقلة بطالة أهلها.

ومشهور في دول الدنيا وأصقاعها أنه لا يوجد أصبر ولا أذكى من عامل مصر ولا أقوى منه.

« الحادي والسبعون من فضائلها » : أنها كانفة لكل دول الإسلام. إذْ لولا قوة جيشها لتشتت الإسلام والمسلمون قديمًا وحديثًا.

إذْ هي قلعة الإسلام وكنانة الله في أرضه وهي آخر صقع يهزم من أصقاع المسلمين وجيشها آخر جيش يهزم لقوة صموده.

وهذا ظهر في عين جالوت قديمًا وفي معركة السادس من أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين حديثًا فمصر هي أم المسلمين وأم العرب.

ومن جملة فضائلها أن الملائكة حاربت مع جيشها في حرب رمضان وقد شهد بذلك الأولياء.

« الثاني والسبعون من فضائلها » : عظم مدينة القاهرة وكثرة سكانها. ولا نعلم مدينة في مدن الإسلام وبلاد الشرق أعظم منها. ولا أوسع منها. وبها سكان في عدد سكانها. وبالجملة فمدينة القاهرة بها من المساجد والزوايا والمباني ما يفوق الوصف واتساع الشوارع وتنظيمها. قال ابن ظهيرة: ولقد تواترت الأخبار وأجمع المسافرون والسائحون في بلاد الله تعالى الشاسعة وأرضه الواسعة. أنه ليس في الدنيا تحت السماء من مشرقها إلى مغربها مدينة أعمر بأهلها منها لا يكاد ينقطع الزحام بشوارعها العظيمة وهي ضيقة لكثرة الناس والدواب حتى إلى الليل وبعد العشاء بكثير ولا تشق فيهم إلا بالكتف ومن لم يكن متيقظًا يداس بسرعة. وناهيك بمدينة ينفق فيها في كل ليلة ثمن زيوت وحدها توقد في الجوامع والحوانيت والبيوت ما ينيف على عشرة آلاف دينار وفي صبيحة كل يوم جمعة يلقى في الترب على المقابر بالقرافتين والصحراء من الريحان وسعف النخل والآس والبقل ما يتجاوز ثمن خراج إقليم. ثم يذهب به إلى المقابر ويحرق. اهـ.

وكيف لو رأى الرائي مدينة القاهرة اليوم إذْ هي كبغداد قديمًا.

ولا توجد بلدٌ في بلاد الدنيا بها مساجد في العدد كالتي توجد بها في سعتها وعظم نقوشها وزخرفتها وطول منائرها وتعددها إلى غير ذلك من

قصور وحدائق وجامعات وكباري ومنتزهات ومطاعم ومقاهٍ ومتاجر وملاهٍ وأضرحة.

« **الثالث والسبعون من فضائلها** » : ما يوجد بها من طرق صوفية فلا يوجد بلد في العالم به طرق في كثرتها كما يوجد بمصر حتى أنشأت لهم الدولة مشيخة.

« **الرابع والسبعون من فضائلها** » : ما يوجد بها من زوايا وخوانيق الصوفية. حيث لا تعد وتحصى. ولا توجد بلدة إلا وبها زاوية صوفية يقوم عليها قتيم. ولا توجد بلدة من بلادها ولا قرية ولا كفر إلا وبه شيخ صوفي وخلق متصوفون وزوايا أو زاوية صوفية على الأقل.

« **الخامس والسبعون من فضائلها** » : حب أهلها لمذهب الصوفية وعشقهم لهذا المسلك وهم في هذا خير من بلاد شتى كبلاد الحجاز التي انتشر بها المذهب الوهابي وعمان التي انتشر بها المذهب الإباضي وبلاد فارس والعراق حيث انتشر بها مذهب الرفض والشيعة.

« **السادس والسبعون من فضائلها** » : كثرة الموالد التي بديار مصر التي تقام فلا نعلم بلدًا بها موالد لمشايخ الصوفية كالتي توجد بمصر.

حتى تكون السنة كلها موالد متصلة ينتهي هذا ويبدأ هذا فإذا انتهى وصله غيره إلى أن يبدأ الأول وتتصل الدورة.

قال ابن ظهيرة في « الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة » : وقيل في خانقاه سعيد السعداء وحدها : إنَّ أهلها يعمرون مدينة وقد بلغ عدد الصوفية بها قديمًا سبع مائة نفر. انتهى.

« **السابع والسبعون من فضائلها** » : كثيرة الأضرحة أي أضرحة الأولياء التي بها. حتى أن هذه الأضرحة لا تخلو منها بلدة من البلدان فإن قلنا هي خمسة آلاف ضريح تقصد بالزيارة في أرجاء مصر قللنا من شأنها وأخفقنا وكفى بجبل المقطم ومدينة البهنسا وما بها من أضرحة وكذلك ما بالمقابر من

أضرحة. وما جُهِلَ ونُسِيَ من هذه الأضرحة أعظم مما ذكر وقصد بالزيارة.

« الثامن والسبعون من فضائلها » : ما بها من حمامات فاقت حمامات الدنيا في سعتها وكثرة رخامها وعظم زوارها وصفاء مائها.

وهذه الحمامات منها حمامات لشفاء المرضى كمثل حمامات حلوان التي اشتهرت في بلاد الدنيا بمياهها الكبريتية التي هي شفاء لبعض الأمراض المستعصية. وتوجد بديار سيناء حمامات شفاء كذلك مشهورة وبعض العيون ذات المياه الساخنة.

قال علي باشا مبارك في « الخطط التوفيقية » : ويظهر مما كتبه الفرنساوية في خططهم أن عدد الحمامات التي تكلموا عليها وكانت موجودة لوقتهم تزيد على المائة. والآن لم يكن بالقاهرة سوى خمسة وخمسين حمامًا وقد ذكر المسجد في « تاريخه » أن العزيز بالله نزار المعز بدين الله هو أول من بنى الحمامات بالقاهرة. وقال الشريف أسعد نقلًا عن القاضي القضاعي إنهُ كان في مصر ألف ومائة وسبعون حمامًا . انتهى.

« التاسع والسبعون من فضائلها » : شهرتها بفنادقها المريحة وكثرتها قديمًا وحديثًا ورخص الأسعار فيها. حتى يقيم فيها الفرد أيامًا طوالًا ولا يتكلف إلا التكلفة القليلة.

« الثمانون من فضائلها » : رخص الأسعار بديار مصر وذلك لكثرة الخير بها وهي مشهورة بهذا.

ووجود الخلق بها كثير من شتى بقاع العالم لرخص موادها وخيرها ومتوفر بها كل ما يتمناه المتمني.

« الحادي والثمانون » : سهولة عيش الغني والفقير بها.

فكل مستوى له مستوى الذي يناسبه. والطيور على أشكالها تقع.

قال ابن ظهيرة في « الفضائل الباهرة » : حتى ترى الفقير يعيش راضي

العيش بثلاثين جنيهًا بل بعشرة جنيهات في الشهر وترى الغني يعيش بألف جنيه وبخمسة آلاف جنيه في الشهر. وهو في درجة الفقير في رضاه بعيشه.

«الثاني والثمانون من فضائلها»: اشتهارها بقصورها ومبانيها وسراياتها الفخمة الضخمة قديمًا وحديثًا لا سيما على شاطئ نهر النيل.

وتميزت القاهرة بستّ مناطق وجدت في زمننا هذا بها القصور الفخمة هي: مصر الجديدة والزمالك وجاردن سيتي والمعادي وحدائق القبة ومنطقة الهرم مع مناطق أخرى استحدثت كمدينة نصر والمهندسين. وقد تميزت القاهرة بالبيوت والعمائر والسرايات على شاطئ النيل ببولاق قديمًا.

ابتدئ بالبناء في هذه القصور في أيام الملك المؤيد شيخ ثم أخذ الناس في البناء وتزايد إلى وقتنا هذا فصارت مدينة ضخمة ذات أسواق وحمامات وشوارع وأزقّة يتيه السالك فيها إن لم يكن معه دليل وسكنها خلق عظيم من سائر البلاد.

ومن أجمل تلك القصور قصر المعز الأشرف الجمالي ناظر الخواص تغمده الله برحمة والقصر البارزي والقصر الباسطي وهو الآن باسم المعز الأشرف الزيني بن مزهر كاتب السر والقصر المعروف بالبرانجية والمدرسة الجعانية وهي ظريفة لطيفة والقصر المعروف بالحجازية ثم القبطية وغير ذلك مما لا يعلم اليوم في مملكة من ممالك الإسلام نظيره.

وأما القصور التي بناها محمد علي باشا وبنوه وأحفاده فكثيرة جدًا من أعظمها قصر الجوهرة بالقلعة والقصر العالي وسراي الجيزة وسراي الجزيرة وبنى محمد علي باشا سراية القلعة وسراية بشبرا وقصر القبة وقصر عابدين وقصر المغارة وقصر رأس التين وقصر المنتزه وقصر الزعفران وقصر الطاهرة. ومثل قصر القبة لا يوجد مثله بديار الإسلام وقد بناه إبراهيم باشا وصرف عليه مبالغ طائلة قديمًا. وهناك أيضًا قصر البارون بمصر ومن رأى القصور

التي توجد بمصر الجديدة قال كفى بها لندرة منالها ومثلها قصور جاردن سيتي.

قال علي مبارك باشا في «الخطط التوفيقية»: وأول من أدخل المباني الرومية إلى الديار المصرية هو العزيز محمد علي فأحضر معلمين من الروم فبنوا له سراية القلعة وسراية شبرا وبنوا لبنة زينب هانم سراية الأزبكية ولبنته نازلي هانم سراية على ساحل النيل. وحذا حذوه في إنشاء العمائر بنوه وأمراؤه فبنى المرحوم سر عسكر إبراهيم باشا قصر القبة بعد العباسية وبنى في جزيرة الروضة والمقياش قصرًا عرف بقصر المغارة لأنه عمل فيه مغارة ورصّع حيطانها بأنواع الودع الملون على أشكال بديعة وبنى القصر العالي.

وفي زمن المرحوم عباس باشا بنيت له سراية الحلمية وسراية العباسية بولغ في تشييدهما وسعتهما وتحسينهما. وفي زمن الخديوي إسماعيل تنظمت خطة الإسماعيلية والفجالة وفتح شارع محمد علي وعمل كبري قصر النيل وتنظمت جهة الجزيرة والجيزة بعد بناء سرايتهما وهما من أعظم المباني الفخمة التي لم يبن مثلهما.

وكان الخديوي إسماعيل باشا مشغوفًا بحب البناء فبنى غير هذه السرايات سرايات أخرى مثل سراية عابدين وسراية الإسماعيلية الصغيرة. واستمر العمل في سراية الجيزة وسراية بولاق الدكرور وسراية فاطمة هانم والقصر العالي وسراية الزعفران بالعباسية للوالدة وسرايات أخرى بالاسكندرية والمنصورة والمنيا والروضة. انتهى ملخصًا من «الخطط التوفيقية».

«الثالث والثمانون من فضائلها»: اشتهارها بالعوامات الفخمة التي توجد على ضفاف النيل ولا يعرف هذا إلا بها للسكنى.

«الرابع والثمانون من فضائلها»: اشتهارها بأسواقها الزاخرة التي حوت ذخائر الدنيا ومواريثها بأسرها.

فتجد بأسواق مصر ما تمني الأنفس وتشتهي كخان الخليلي وأسواق بور

سعيد ومتاجر شارع فؤاد وشريف والمومكي والقبة والأزهر وشارع الجيش. وقد تسمت شوارع وأماكن باسم أصحاب الحرف مثل النحاسين والعطارين والعقادين والمغربلين والخيامة وسوق السلاح. وتميزت أسواق كاملة ببيع صنف بعينه من أصناف التجارة كالرويعي لأدوات المعمار وكأسواق الكهرباء بالموسكي وبه أسواق الأحذية وأسواق الملابس والأقمشة وأسواق الأدوات المنزلية وكأسواق الخشب بدرب سعادة وأسواق التحف بخان الخليلي وأسواق بيع الكتب بالصنادقية وأسواق روض الفرج للفواكه والخضراوات وسوق الحجر الفرعوني بالبساتين وأسواق الجمال بالبراجيل وأسواق الروبابكيا بجهات مختلفة مثل سوق الجيزة وسوق المطرية وسوق الإمام وسوق إمبابة وأسواق وكالة البلح ببولاق لبيع الملابس المستعملة والخردة وسوق السبت للغلال والطيور بإمبابة وسوق آلات الغناء والموسيقى بشارع محمد علي وسوق السباكة بالفجالة وسوق العدد والحدادة بالسبتية وتكثر بمصر العمال والصنايعية بالأحياء الشعبية مثل مصر القديمة والسيدة زينب وإمبابة وبولاق والوراق وبمصر المذابح العظيمة مثل مذبح بين العيون وهناك المجزر الآلي.

وانتشرت صناعة الموبيليا بدمياط وأسيوط.

وانتشرت بها صناعة الملوحة والفسيخ برشيد.

وانتشرت بها صناعة العسل بنجع حمادي.

وانتشرت بمصر صناعة السكر في الحرامدية وقنا وأسوان وكوم أمبو وقوص ودشنا وأرمنة والبلينا.

وانتشرت صناعة الزيوت النباتية بها في كفر الزيات والمنيا وطنطا والإسكندرية.

وانتشرت بها صناعة الأغذية المحفوظة كصناعة اللحوم المحفوظة في القاهرة والإسكندرية والأسماك المعلبة برشيد ودمياط وبور سعيد. والخضراوات المعلبة في القاهرة والإسكندرية. وتجفيف البصل في مغاغة.

والفاكهة المعلبة في القاهرة والإسكندرية وأم ختان وبرنشت.

وانتشرت بمصر صناعة الحديد والصلب في جنوب حلوان، وهي البلدة العربية الوحيدة التي بها هذه الصناعة.

وانتشرت بمصر صناعة تكرير البترول لا سيما في السويس وطنطا ومسطرد.

وانتشرت بمصر صناعة الغزل والنسيج في المحلة الكبرى وشبرا الخيمة كالصناعات القطنية.

أما الصناعات الصوفية فهي منتشرة في المحلة الكبرى وأسيوط والقاهرة. وتنتشر الصناعات التحريرية في حلوان ودمياط وإمبابة وأخميم.

وتنتشر بمصر صناعة تجميع السيارات. وبها الهيئة العربية للتصنيع لتصنيع وجمع الأسلحة وهي البلدة العربية الوحيدة التي اخترقت هذا الميدان.

وتنتشر بمصر مصانع الأسمنت في حلوان وفي الإسكندرية وبها مصنع تجميع الألمونيا.

وتنتشر بمصر صناعات الزجاج بكل أصنافه الفخمة في القاهرة والإسكندرية وهي تعتمد على تنقية الرمال من الشوائب. وبها مصانع الأسمدة في أسوان وأبي زعبل وطلخا وأبي قير وبها مصانع الورق في رشيد والإسكندرية بها سبعة مصانع. وبها صناعة الصابون في الإسكندرية وكفر الدوار.

وبها صناعة دبغ الجلود في القاهرة في المدابغ.

وبمصر يستخرج الحديد من الصحراء الشرقية في وادي كريم وفي شرق أسوان وله سكة حديد تربطه وتنقله إلى حلوان وبمصر يستخرج البترول من سيناء وتحت مياه خليج السويس وفي صحرائها الغربية ويستخرج من شرق خليج السويس من حقول مطارمة وأبو رديس وسدري وفيران وبلاعيم ويستخرج من جنوب العلمين وغرب السويس ويستخرج منها الفوسفات من

صحرائها الشرقية من سفاجة ويستخرج من منطقة الحمامة. ويستخرج منها المنجنيز من سيناء من أم بجمة ويستخرج من جبال البحر الأحمر. وتستخرج أملاح الصوديوم من ملاحات رشيد ودمياط ومرسي مطروح.

وتنتج مصر الإسفنج الحسن من البحر المالح وتزرع مصر القطن والقمح والشعير والذرة الرفيعة والأرز وفول الصويا والقصب السكري والتمر والموالح والزيتون والبنجر والكتان.

وبها في الصحاري النباتات الطبية الفريدة النوع كالشيح والبابونج وشاي الجبل وخصوصًا التي تنمو في جزيرة سيناء ومجموع الصحارى المصرية.

وتجد بديار مصر مصائد الأسماك الفاخرة كالتي في بحيرة ناصر وبحيرة قارون وتصاد الأسماك التي هي ألذ أسماك الدنيا من نهر النيل لا سيما البلطي. ويصاد السردين والجمبري من البحر المالح.

ويصاد سمك القرش والأسماك الملونة من البحر الأحمر ويستخرج من زيت كبد الحوت الذي ذكر النبي (ﷺ) أنه أول طعام أهل الجنة. وتصدر زعانفه لبلاد الصين ويدبغ جلده ويجفف لحمه فيكون علفًا للبهائم قيل يصاد حول جزيرة شدوان في البحر الأحمر.

وببلاد مصر الخضروات الفاخرة والفاكهة لا سيما في الجيزة والقليوبية والمنوفية وبني سويف والمنيا والفيوم. وبمصر مصانع لصناعة الطيارات والصواريخ والدبابات والمدافع والقنابل والرادار والذخيرة وقد وُجِدَ هذا كله في هيئة التصنيع العربية.

وتجد بديار مصر السكك الحديدية التي توصل البلاد كلها ببعضها من اسكندرية حتى أسوان وتسير على القضبان القطارات الفاخرة المكيفة بالهواء صيفًا وشتاءً وتتوفر بها المأكولات والمشارب.

ونهايات هذه السكك هي السويس وبور سعيد وأسوان والسلوم والإسكندرية وتعتبر القاهرة مركز تجمُّع هذه السكك. وقد عُبِدَت الطرق

الأسفلت من أسوان حتى الإسكندرية وهي الطرق البرية للسيارات.

وتجد بمصر المطارات الفخمة مثل مطار القاهرة. والإسكندرية ومرسي مطروح والإسماعيلية والأقصر وأسيوط وأسوان. بحيث يكون التنقل من مناطق البلاد الداخلية سهلًا وكذا التنقل إلى خارج البلاد.

والذي جعل الملاحة البحرية صالحة بنهر مصر الرياح الدائمة التجارية وهي الشمالية الشرقية تساعد السفن على السير من الشمال إلى الجنوب بينما التيار المائي يساعد السفن في النهر على السير من الجنوب إلى الشمال.

وكذا موقع مصر بين البحرين المالح (المتوسط) والأحمر وربط أهل مصر لهذين البحرين بقناة السويس جعل مصر تستفاد دخلًا وفرضًا من الضريبة على السفن العابرة من جهات العالم فتجد السفن العملاقة تمر من هذا الخليج التي هي بمثابة مدن كاملة عائمة.

وتوجد بديار مصر الكباري العملاقة والسدود والقناطر ومترو الأنفاق والسد العالي والقناطر الخيرية وكوبري أسيوط ومنها نفق الشهيد أحمد حمدي بطريق السويس ومنها مترو الأنفاق والترولِلي والأنفاق العظيمة ككوبري إمبابة وكوبري أبي العلا وكوبري الزمالك وكوبري الجامعة وكوبري قصر النيل ومن أعظم تلك الكبارى كوبري ٦ أكتوبر ولعمري هو كوبري عظيم أنشأه المهندس أحمد عثمان وأظنه أطول كوبري رأيناه ببلاد الشرق ولا توجد جهة في القاهرة إلا ولها فرع من هذا الكوبري العظيم الذي جمع شمل القاهرة ولولاه لاختنقت القاهرة من زحمة مواصلاتها.

أما كوبري إمبابة فهو أقوى كوبري لكونه يتكون من ثلاثة طوابق فتمر عليه السيارات والقطارات والناس وعربات الكارو.

وتتميز القاهرة بسعة شوارعها واتزان أرصفتها وعلو مبانيها وكثر فنادقها وتعدد مستشفياتها حتى ترى فندق رمسيس هيلتون يسع أهل مدينة بأكملها لعلو طوابقه وكبر مساحته.

وتميزت مصر بكثرة فنادقها العملاقة الهائلة مثل فندق شيراتون وفندق الهيلتون وفندق رمسيس هيلتون وفندق سميراميس وفندق شبرد. ومن مميزات القاهرة مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية وهي من أعظم مارستانات الدنيا.

« الخامس والثمانون من فضائلها »: ما يوجد بدار الكتب المصرية من مخطوطات وهي « الكتبخانة الخديوية » قديمًا ولا نعلم دارًا حوت كتبًا في بلاد الدنيا مثلها في فنون الإسلام وعلوم العرب القديمة والحديثة.

ولولا ما بدار الكتب من المخطوطات لضاع تراث المسلمين.

وتوجد بمصر من مكتبات المخطوطات إلى جوار دار الكتب المصرية المكتبة الأزهرية ومكتبة بلدية الإسكندرية ومكتبة بلدية سوهاج ومكتبة جامعة القاهرة والمتحف الإسلامي ومعهد المخطوطات العربية بجوار نادي الصيد بالقاهرة ومكتبة أحمد تيمور باشا وهي المكتبة التيمورية وبالجملة فدار الكتب المصرية جمعت ثروة الفكر الإسلامي كله وتراثه عددًا وندرة.

أما مكتبات العلم الطبيعي فأعظمها مكتبة المركز القومي للبحوث وهي أكبر مكتبة في الشرق في هذا المجال ومنها مكتبة جامعة القاهرة ومكتبة مركز البحوث الزراعية والمكتبة البريطانية.

« السادس والثمانون من فضائلها »: اشتهارها بالمتاحف العظيمة كمتحف محمد علي باشا والمتحف الزراعي ومتحف البريد والمتحف الإسلامي والمتحف القبطي ومتحف الشمع والمتحف الحربي ومتحف الآثار الفرعونية بالتحرير وهو أعظم متاحف الدنيا.

قال عزيز خانكي بك في كتابه « نفحات تاريخية »: في مصر أحد عشر متحفًا: هي المتحف المصري والمتحف العربي والمتحف القبطي والمتحف الحربي والمتحف الزراعي والمتحف الصحي والمتحف الجيولوجي والمتحف الجغرافي ومتحف الفن الحديث ومتحف السكة الحديدية ومتحف البريد. ١ هـ.

« السابع والثمانون من فضائلها » : اشتهارها بالمسارح العظيمة النادرة التي يندر أن يوجد أمثالها بدول الشرق وتحتوي على قصور الثقافة والمجالس المشهورة ومثال ذلك مسرح محمد عبد الوهاب ومسرح يوسف وهبي بك ومسرح نجيب الريحاني ودار الأوبرا التي أنشئت في عهد إسماعيل ومثلت عليها رواية عايدة باللغة الإيطالية ومسرح فريد الأطرش ومسرح أم كلثوم والمسرح القومي ومسرح البالون. ويوجد بها من قصور الثقافة قصر ثقافة الغوري ودار الأدباء بشارع القصر العيني ويوجد بها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بقصر النحاس بجاردن سيتي ويوجد بها المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب بالزمالك والثقافة الجماهيرية والمجلس الأعلى للرياضة والشباب والمجلس الأعلى للجامعات ويوجد بها اتحاد الكتاب هذا إلى جوار صالونات الأدباء ككرمة ابن هانئ ويوجد بها رابطة الأدب وتوجد بمصر حديقة حيوان كبيرة بالجيزة جمعت صنوف الوحوش والسباع والحيوانات البحرية والطيور والدواب والهوام والزواحف والثديات ويوجد بمصر من الحدائق العامرة المتسعة الفخمة ما يفوق الوصف كحديثة الأورمان وحديقة الأسماك بالزمالك وتوجد الحدائق الغناء الواسعة بالقناطر الخيرية وبمدينة نصر حديقة كبيرة متسعة تسمى الحديقة الدولية وهي أكبر حديقة على الإطلاق بالقاهرة ويوجد بديار مصر السيرك القومي ما لا يوجد في بلد عربي مثله.

ويوجد من الملاهي بمصر شيء لا يوصف كمدائن الملاهي للأطفال.

ويوجد بديار مصر المطاعم الفاخرة لجميع صنوف المأكولات كمطاعم الكبار ومطاعم الأسماك ومطاعم الكوارع ومطاعم الفول والطعمية وهي أكثر المطاعم انتشارًا بديار مصر. وبأرض مصر توجد محلات عصير القصب ما ليس موجودًا في ديار غيرها.

وتوجد بأرض مصر دكاكين الحلوى الفاخرة بجميع فنونها وصنوفها كالشطائر ولقمة القاضي والكنافة والبسبوسة والجاتوهات والملبسات وغيرها.

وبديار مصر الجمعيات العلمية والأدبية والدينية العظيمة وبها المجامع العملاقة الهائلة كجمعية العقاد الأدبية وجميعة أبُولُّو وجمعية الرابطة الإسلامية وجمعية الديوان قديمًا والجمعية التجانية ومشيخة الطرق الصوفية والجمعية الجغرافية والجمعية الطبية والجمعية الزراعية وجمعية الشبان المسلمين وجمعية الاقتصاد والإحصاء والتشريع والجمعية الشرعية وجمعية أنصار السنة وجمعية منع المسكرات والجمعية المصرية للحشرات وجمعية الهلال الأحمر والجمعية الرمدية. وبمصر المجمع اللغوي بالزمالك أنشأ سنة ألف وثلاثمائة وواحد وخمسين (١٩٣١م) وهو مجمع عظيم لا نعلم مثله في ديار الدنيا وقد أصدر كثيرًا من التحقيقات اللغوية والمعاجم ودواوين اللغة وكتب القدماء كديوان الأدب للفارابي وغيره ويوجد كذلك بها مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر وبها مجمع المحاكم ومجمع التحرير.

«الثامن والثمانون من فضائلها»: كان لها أي لمصر - الفضل في ظهور أول مطبعة بها في بلاد الإسلام وهي مطبعة بولاق الأميرية وقد أنشئت عام ١٨٢١م. وكان لظهور الطباعة بديار الإسلام الفضل في انتشار طباعة الكتب المخطوطة لكونها ضيقة النطاق قليلة النسخ قد لا يوجد من الكتاب إلا نسخة واحدة في الدنيا بأسرها ومن ثم انتشرت نسخ القرآن فأصبحت ألوفًا مؤلفة لا تعد ولا تحصى.

وانتشرت كتب السنة المطهرة كصحيح البخارى ومسلم وغيره من كتب الصحاح. وبذلك طبع معظم تراث الإسلام الضخم كالأغاني ونهاية الأرب والنجوم الزاهرة والعقد الفريد ما نشر من دواوين شعراء العرب. وكان لظهور دار الكتب فضل عظيم في نشر تراث العرب.

«التاسع والثمانون من فضائلها»: انتشار المكتبات العظيمة بها كمكتبة دار الكتب المصرية ودار المعارف ودار الشعب ودار التحرير ودار الهلال والحلبي والخانجي وصبيح والمكتبة التجارية الكبرى ومؤسسة الأهرام ومؤسسة الأخبار ومؤسسة روز اليوسف وقد نشرت هذه المكتبات كثيرًا من تراث

الإسلام مما لم تنشره بلد سوى مصر لهذا اشتهرت مصر بمكتباتها العظيمة التي حوت عددًا كبيرًا من المصنفات العربية المطبوعة.

ومما اشتهرت به مصر النقابات العملاقة مثل نقابة الأطباء ونقابة الصحفيين ونقابة المحامين ونقابة المهندسين ونقابة المعلمين. ومما اشتهرت به مصر حب أهلها لقراءة العلم ومطالعته.

حتى يشتري الرجل منهم الكتاب وهو جائع فقير.

«التسعون من فضائلها»: ظهور الجرائد والمجلات والصحافة.

وكانت أول صحيفة ظهرت بمصر سنة ١٨٢٨ م هي الوقائع المصرية وكانت باللغة التركية ثم جمعت بين التركية والعربية ثم اقتصرت على نشر الأخبار باللغة العربية وحررها رفاعة طهطاوي فوسعها.

ثم لحقت بها مجلة روضة المدارس لعلي مبارك باشا ثم أنشئت صحيفة الأهرام والمقطم ومجلة الهلال لجورجي زيدان والمؤيد للشيخ علي يوسف.

وبعدها ظهرت جريدة اللواء لمصطفى كامل والجريدة للطفي السيد وظهرت مجلات أدبية علمية جليلة كالمقتطف والرسالة للزيات ومجلة معهد المخطوطات وفي وقتي الآن ما لا يحصى من الجرائد والمجلات مثل أخبار اليوم والجمهورية والوفد ومجلة ٦ أكتوبر والمصور وصباح الخير وآخر ساعة.

وبمصر المجلات الدينية المتوسعة كمنبر الإسلام والإسلام قديمًا والأزهر ولواء الإسلام وطريق الحق أسسها شيخنا محمد الحافظ التجاني قدس سره.

«الحادي والتسعون من فضائلها»: كان الفضل لأهل مصر أنْ ظهر بهم أول من ترجم عن اللغات الأجنبية كرفاعة طهطاوي وهو رجل أزهري أصله من طهطا ببلاد الصعيد.

وكان من فضائل مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر أن أنشئت بها مدرسة الألسن ومن أشهر المترجمين القدماء لطفي السيد والمازني ومحمد

حسين هيكل والمنفلوطي وطه حسين.

وانشئت بديار مصر المجامع العلمية لتعريب المصطلحات الأجنبية وقديمًا ترجمت المؤلفات العلمية في عهد رفاعة في فن الحساب والطبيعة والكيمياء والنبات وغيره.

«الثاني والتسعون من فضائلها»: كان لمصر الفضل الأول في البعوث والرحلات العلمية إلى بلاد الإفرنج لاقتباس العلوم عنهم ومنهم وإرسال الطلبة المتفوقين لنقل نهضة الغرب إلى ديار الإسلام التي هم أساسها وأحق الناس بها فأجدادهم أول من وضع أسسها ومبادئها.

«الثالث والتسعون من فضائلها»: كان لعلمائها الفضل الأول من دفع شبه المستشرقين وكشف تعصُّبهم على الملة الإسلامية وإظهار ما خفي من خلطهم وكذب بعضهم على رسول الله (ﷺ).

«الرابع والتسعون من فضائلها»: تعدد إذاعاتها المرئية والمسموعة. وفضل إذاعتها مشهور.

ومن جملة الفضل تخصيص إذاعة للقرآن الكريم على حدة وتخصيص برامج رياضية ودينية وتعليمية وترفيهية بالإذاعة ومن ثم تبدأ الإذاعة بالقرآن الكريم وتختم به.

ـوعرفت مصر الإذاعة في عام ألف وثلاث مائة وثلاث وأربعين (١٩٢٣ م).

وعرفت التلفزيون في عام ألف وثلاثمائة وثمانين (١٩٦٠ م).

ومن فضائل الإذاعة المصرية أن كل الإذاعات العربية تقتبس منها في كل شيء. ولا توجد إذاعة ألطف ولا أظرف ولا مقبولة للروح مثل إذاعة مصر.

«الخامس والتسعون من فضائلها»: أنه في عام ألف وثلاثمائة وثلاثين (١٩١٠ م) كان ظهور أول رواية عربية بديار الإسلام مطبوعة وهي رواية

زينب لمحمد حسين هيكل باشا.

«**السادس والتسعون من فضائلها**»: اشتهارها بمستشفياتها العظيمة بحيث يقصدها المرضى من كل فج عميق كالقصر العيني وهو أكبر مستشفى في العالم الشرقي والمستشفى الإيطالي بالعباسية واليوناني ودار الشفاء ومستشفى أم المصريين ومستشفى عين شمس التخصصي ومستشفى أحمد ماهر ومستشفى بولاق الدكرور ومستشفى المطرية ومستشفى باب الشعرية ومعهد الشلل ومعهد الصدر ومستشفى الحميات كل هذه الثلاثة الأخيرة بإمبابة وتوجد مستشفى للحميات بالعباسية وهناك مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية والمستشفى الحسيني بالدرامية والمستشفى القبطي ومستشفى العجوزة ومستشفى جامعي بأسيوط وبالزقازيق.

وهناك معهد الأورام بفم الخليج ومعهد العيون بالجيزة. هذا دون المستشفيات الخاصة بالهيئات الأخرى كالسكك الحديدية والجيش والشرطة والأزهر ومجمل موظفي الدولة. وهناك مستشفيات خاصة لا تعد ولا تحصى.

ولا نعلم بأرجاء الإسلام الآن دولة بها مستشفيات ومصحات كالتي بديار مصر وهي أنواع منوعة.

«**السابع والتسعون من فضائلها**»: حسن أصوات أهلها رجالًا ونساءً بحيث خرج من جلتهم مطربون لن تنسى الدنيا بأسرها فضلهم كأم كلثوم وأسمهان ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش ومنيرة المهدية. وفي وقتنا هذا لا تجد إذاعة إلا وهي تذيع أغاني لمطربي مصر كل يوم بما في ذلك الإذاعات الأجنبية كلندن وصوت أمريكا.

ولولا مطربو مصر لكسدت بضاعة العرب في هذا الشأن.

«**الثامن والتسعون من فضائلها**»: اشتهار أهلها بحسن استعمالهم لأدوات الموسيقى وإنتاج الأنغام الرائقة البديعة والمقطوعات الساحرة. وقد أنجبت مصر في مطلع القرن الثالث عشر الهجري جملة من أعلام هذا الفن كسيد درويش

والسنباطي وزكريا أحمد وعبد الوهاب بحيث لن يخمد لهم نجم على مر الدهور.

«التاسع والتسعون من فضائلها»: خروج جملة من القراء للقرآن الكريم لن يعوضوا مع مطلع قرننا هذا مثل الشيخ محمد رفعت وعبد الباسط عبد الصمد والبنا والمنشاوي ومصطفى إسماعيل وعلوش والطبلاوي.

وتجويد أهل مصر للقرآن لا يتقنه سواهم وقد ظهر مع مطلع هذا القرن.

وبالجملة فأهل مصر نوابغ التجويد والترتيل.

وقد ظهرت منهم طائفة في التواشيح والابتهال الديني مثل النقشبندي ونصر الدين طوبار وطه الغشي لم يدرك فيه سواهم. وبمصر كانت طائفة من الباشوات أهل الخير مثل سعد زغلول باشا ومحمود سامي البارودي باشا ومصطفى كامل باشا وعبد الخالق ثروت باشا وأحمد عرابي باشا وطه حسين باشا ومصطفى النحاس باشا وعلي مبارك باشا وأحمد تيمور باشا ومحمد حسين هيكل باشا.

«المائة من فضائلها»: اشتهار مصر بجملة من جامعاتها التي هي أشهر جامعات المشرق على الإطلاق كجامعة القاهرة وجامعة الأزهر وجامعة عين شمس وجامعة أسيوط وجامعة حلوان وجامعة الإسكندرية.

ومن فضائل مصر العظيمة اشتهارها بأكاديمية البحث العلمي وهي أعظم أكاديمية في الشرق وما يتبعها من مراكز بحوث كالمركز القومي للبحوث.

هذا خلافًا لمعهد الطاقة الذرية ومعهد الصحراء ومركز البحوث الزراعية ومعهد العيون ومعهد أبحاث البترول وما بها من المدارس كالمدرسة الخديوية ومدرسة المتفوقين بعين شمس ومدرسة الأورمان والمدرسة السنية التي هي أول مدرسة للبنات بديار مصر والمدرسة السعيدية والمدرسة الإبراهيمية هذا خلافًا للمعاهد الأزهرية المنتشرة بنواحي البلاد.

« الحادي بعد المائة من فضائلها » : اشتهارها برقة طباع أهلها وشفافيتهم وسعة رحمتهم لا سيا نساء مصر فلا توجد بلد مثل مصر بها نساء في رقة ونعومة نسائها ولا أعلم بلدًا بها نساء أخف طبعًا ومزاجًا من نساء مصر. ولا أمرح ولا أفرح من حريمها.

حتى ترضى الواحدة أن تعيش مع زوجها ولو على لقمة بملح.

وهن أرضى نساء الأرض بعيشة متواضعة.

« الثاني بعد المائة من فضائلها » : كونها أقدم حضارة ظهرت على وجه الأرض ويشهد لها بذلك ما تبقى من الآثار السالفة كالأهرامات وأبي الهول والمعابد والتماثيل التي بالأقصر وأسوان ومن دخل متحف الآثار بالتحرير علم قوة الحضارة المصرية.

« الثالث بعد المائة من فضائلها » : اشتهارها بجامعها الأزهر الذي هو علامة الوجود الإسلامي البارزة وبالجملة لو عددنا فضائل الأزهر فإننا لا نطيق وصفها.

إذ هو أشهر مسجد في ديار الدنيا في أيامنا هذه.

لما جثم على صدره من أعباء الإسلام في ديار الدنيا كاستقباله للبعوث وتوفير السكن والأكل والكتب لهم ومسكنهم الحالي مدينة البعوث وكان قديمًا الأروقة.

ومن جملة فضائل هذا المسجد إرسال البعوث إلى بلاد الدنيا مسلمها وكافرها ونشر الدعوة في بلاد الكفار وتزويد المسلمين بالكتب وطبع المخطوطات وعقد الاجتماعات العلمية والدفاع عن الإسلام.

« الرابع بعد المائة من فضائلها » : عزة النفس عند أهلها فلا يخضع أحدهم لذل قط.

وتجد المصري في كل بلد أعز الناس نفسًا وأعظمهم تكبرًا على متكبر حتى

فقيرهم لا يخضع لذل قط.

وقد رأينا فقراء الحرم يأكلون الخبز والطعام.

ورأينا فقير مصر لا يأخذ الخبز والطعام ولا يأخذ قرشًا أو قرشين بل أقل ما يأخذه خمسة قروش وما رأينا فقيرًا يشترط سوى فقيرهم.

«**الخامس بعد المائة من فضائلها**»: تساوي مظاهر أهلها فكلهم سواء في الأكل والملبس والنفقة وهذا ظاهر على هيئاتهم.

وكلهم يأكل كما يأكل الآخر ويلبس كمثله ويركب كمثله.

والتكافؤ بائن بين طبقات الشعب المصري وقد وجدت زبالًا عنده تلفزيون ملون وثلاجة وفيديو وغسالة وبوتوجاز.

«**السادس بعد المائة من فضائلها**»: وجود الآثار النبوية الشريفة بها وهي مرود ومخضب وقطعة من الفضة وشعرات من شعره (ﷺ) وهي بالمسجد الحسيني وقبل ضُمَّ إليها أشياء من آثار الأولياء ومثل ذلك الحجر الذي عليه طبع قدمه (ﷺ) وهو بجامع سيدي أحمد البدوي بطنطا.

«**السابع بعد المائة من فضائلها**»: اختصاصهم بإقامة الخلفاء من بني العباس عندهم بعد خراب بغداد على يد التتار سنة ستمائة وستة وخمسين.

وقام الخلفاء بديار مصر من سنة تسع وخمسين وستمائة حتى آخر عهدهم.

«**الثامن بعد المائة من فضائلها**»: اختصاصها بخصوبة تربتها فلا يعلم ببلاد الدنيا تربة أخصب من تربة مصر وذلك لانشقاق النيل إلى شقين.

«**التاسع بعد المائة من فضائلها**»: اختصاصها بالسد العالي وهو منذ أنشيء أزاح عن مصر بلايا كبيرة ونفع أهل هذه البلاد منافع جمة كتوليده لمعظم كهرباء الديار المصرية.

«**العاشر بعد المائة من فضائلها**»: اختصاصها بقبور السادة الفضلاء من

الصحابة وهم: عمرو بن العاص وعقبة بـن عـامـر الجهني بمشهـده المعـروف بالقرافة إلى غير ذلك من المشاهد المختصة بهم.

«الحادي عشر بعد المائة من فضائلها»: اختصاصها قديمًا بتقديم كسوة الكعبة وكسوة مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وستر ضريح نبينا عليه السلام وكله من الحرير المذهب المنمق النفيس.

قال ابن ظهيرة: ثم يمرون بذلك من باب القاهرة إلى الرميلة تحت القصر بقلعة الجبل تجاه باب السلسلة لينظره السلطان وهو بالخرجة من القصر ومعه القضاة الأربعة ونوابهم وأعيان الدولة وسائر فرق الفقراء بأعلامهم وطبولهم. ا هـ.

«الثاني عشر بعد المائة»: اختصاصها بقلعة الجبل التي هي من أعظم قلاع الدنيا ولا تزال قائمة حتى الآن وقد عدل فيها في زمن حاكم مصر أنور السادات فرممت وجُمِّلَتْ كثيرًا وكذا اختصاصها بالكنيسة المعلقة وكثرة آثارها الفرعونية في شتى أنحاء البلاد وكذا اختصاصها ببرج الجزيرة الذي هو من أعظم أبراج بلاد العرب وكذا اختصاصها بالنوادي الفاخرة كنادي الجزيرة ونادي الزمالك والنادي الأهلي ونادي القرمانة ونادي الصيد ونادي السيارات ونادي السلاح ونادي الطيران ونادي التجديف ونادي الشمس خلافًا لنوادي الجيش والشرطة وباقي الهيئات الحكومية وبها من البحيرات بحيرة قارون وبحيرة ناصر وبمصر من المصايف ما لا يذكر.

لا سيا مصائف الإسكندرية ورأس البر ومرسي مطروح وجمصة والبحر الأحمر والإسماعيلية.

وفاقت مصر في اعتدال مناخها وتوجد بها المناخات المناسبة فالإسكندرية في الصيف وأسوان والأقصر في الشتاء.

وتباع بمصر أصناف التحف والمشغولات اليدوية من النحاس والخشب والفضة والذهب والمسبوكات ما يفوق الوصف وكل هذا بخان الخليلي وبها

المدبوغات الجلدية والأقمشة المزخرفة والحرائر ما لا يوجد إلا بها كالتحف الفرعونية والأحجار الكريمة والسبح.

وبديار مصر الأكلات الشعبية المفضلة مثل الفول والطعمية والمفتقة والملوحة والحواوشي والمحشي والمسقعة وتباع بها المشروبات الشعبية مثل البوظة وعرق السوس والتمر هندي وعصير القصب والبليلة وعصير المانجو وعصير الفراولة. واعلم أن أهل الديار المصرية أمرح الناس وأفكههم وأهلها أكثر الخلق تمسُّكًا بالضحك ومواطن الفكاهة.

واتسعت القاهرة بزمننا هذا حتى استعمر الناس الجبال كالمقطم ومدينة نصر والصحارى كصحراء سيناء والوادي الجديد والواحات. وزادت القاهرة زيادة عظيمة عما كانت عليه قديمًا لكثرة عدد نفوسها إذ أن عدد نفوس أهلها في زمننا هذا كعدد نفوس بلاد العراق كلها والتحمت القاهرة بمناطق كثيرة مجاورة لها كحلوان وأبي النمرس والوراق والمرج والقلج والقليوبية والحوامدية وهذا أعظم عدد سكانها وانفجرت مساحتها إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت حتى عمر الناس المقابر كترب الغفير وبنوا بها العمائر الهائلة وأصبحت الأرض بالمقابر ذات ثمن باهظ كما حدث بالمقطم والدويقة. وأنشئت المدن الجديدة كمدينة نصر ومدينة السلام ودار السلام والمعادي الجديدة وألماظة وحدائق حلوان والمرج والزهراء و٦ أكتوبر والعاشر من رمضان والمهندسين والمقطم.

خاتمة جامعة لفضائل الديار المصرية

اعلم أنَّ أهل مصر أصبر الناس على الظلم وأكرمهم سجيّة وأعظمهم حلمًا وأعطفهم على الغريب وأرأفهم بالمحتاج والمسكين وألينهم قلوبًا وأرقهم طبعًا

وألطفهم مزاجًا وأعذبهم حديثًا وأحلاهم شمائل، وأعلمهم بالكتاب والسنة وأصحهم عقيدة.

« ومن فضائلهم »: أن حاكمهم دومًا يرحمهم ويوافقهم وحتى إنْ ظلم فإن ظلمه يقلّ عن ظلم غيره ومصر مقبرة الغزاة تطرد الظالم من أرضها ولا تقبل إلا عادلًا.

ومصر شمعة الدنيا لولاها لأظلم الكون وكفى ما سقنا من فضائلها. والعرب بلا مصر كطائر بلا جناح.

« ومن فضائل مصر »: أنها هي أول من طرد اليهود من مقدسات العرب في حرب أكتوبر (رمضان) المباركة سنة ١٣٩٣ (١٩٧٣).

« ومن فضائلها »: أن شرطتها ومخابراتها أذكى شرطة ومخابرات في العالم في تقصي الحقائق الغامضة والنادرة ولهم حكايات مشهورة في هذا الشأن وتوجد بها كلية الشرطة وهي مشهورة على مستوى العالم وبها كلية الضباط المتخصصين المسماة أكاديمية الشرطة أما قواتها المسلحة فبها نخبة. حسنة من الكليات والمعاهد مثل الكلية الحربية والكلية البحرية والكلية الجوية وكلية الدفاع الجوي والكلية الفنية العسكرية والمعهد الفني العسكري.

« ومن فضائل مصر »: بنوكها الكثيرة الأمينة مثل البنك المركزي المصري وبنك مصر وبنك القاهرة وبنك الإسكندرية والبنك العقاري المصري وبنك فيصل الإسلامي والبنك الأهلي المصري.

« ومن فضائلها »: وجود الجامعة الأمريكية بها.

ويحفظ لمصر أنها هي التي طردت الاستعمار من أرضها ومن معظم الديار والممالك الإسلامية قديمًا وحديثًا.

فقديمًا طردت التتار والصليبيين وحديثًا طردت الإنجليز من أرضها

وطردت الاستعمار من أرض اليمن والجزائر وليبيا والعراق والسودان بقوة مساعدتها لهذه الممالك.

ومصر هي التي نقلت وأشاعت الجمهوريات وأحيتها وأماتت سنن الممالك والملكية ومصر هي التي أماتت الألقاب وقتلت التنابز بها وأحيت التساوي بين طبقات الأمة فلا باشا ولا بك. ومصر هي التي أممت القناة وأقامت قانون الإصلاح الزراعي.

ومصر هي التي أسقطت آخر الملوك وهو فاروق وقامت من بعده الجمهورية وهي المعبر عنها بالخلافة.

وقامت مصر بإعطاء الحقوق لأبناء أمتها من بعد زمن ضاعت فيه الحقوق وكان الفضل لحاكمها جمال عبد الناصر في كل الاصلاحات المستحدثة وأتى السادات من بعده فقام بحرب رمضان فأحيا العرب من بعد موت فأنار جبينهم وأعاد لهم العزة بعد افتقادها وكان لمصر الشرف الأول على كل دول الإسلام في هذه الحرب لا كما يزعم البعض.

ولا نعلم حكامًا في عدلهم كحكام مصر مهما اتهموا فكل هذا في حقهم كذب وهباء منثور.

«ومن فضائل السياسة المصرية»: إباحة المعارضة في الرأي حتى تكونت الأحزاب التي لها جرائد تعارض فيها من شاءت وتتهم من تتهمه، وهذا لا يوجد في صقع من أصقاع الديار الإسلامية إلا بها. ومن عدل الحكام المصريين حرية التفكير والنقد الديني حتى تكونت الجماعات الإسلامية على أصنافها وهذا لا يوجد بأرض سواها مثل الجمعية الشرعية ومشيخة الطرق الصوفية وجماعة الإخوان المسلمين والعشيرة المحمدية وجمعية أنصار السنة.

«ومن فضائل السياسة المصرية»: إباحة الحريات الشخصية والأفكار الجديدة والاختراعات الحديثة والمذاهب الفلسفية وطبع الكتب التي لا تطبع إلا بهذا البلد الآمن.

« ومن فضائل مصر »: أنَّ النصارى بها أفضل نصارى الأرض وهذا ورد بنص الحديث النبوي الصحيح: (ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بقبطها خيرًا) ولم يرد حديث نبوي في فضل نصارى سوى نصارى مصر.

« ومن فضائل أهل مصر »: عدم وجود فرق دينية تفصلهم عن بعضهم في ملة الإسلام نفسها كالشيعة بل كل أهل مصر في جميع نواحيها في أيامنا هذه على مذهب أهل السنة والحمد لله ولله المنة وهم على المذاهب الأربعة.

« وكذا من فضائلها »: قلة اختلاف أهلها سواء بين المسلمين فيما بينهم أو بين المسلمين والنصارى وهذه نعمة كبرى.

« ومن فضائل مسلمي مصر »: غيرتهم الشديدة على دينهم فترى في صلاة الجمعة والعيدين لا مكان تصلي به من عظم المصلين وقد سدوا الشوارع والطرقات.

« ومن فضائل مصر »: وجود ضريح الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بها وهذه كرامة كبيرة لأهل مصر.

« ومن فضائل أهل مصر »: توقير أهل الأديان لمشاعر بعضهم فالمسلم يهنئ النصراني يوم عيده والنصراني يهنئ المسلم يوم العيد وفي رمضان ويوم حجه ورأيت بعض النصارى يصومون رمضان بديار مصر.

« ومن فضائل أهل مصر »: أنَّ قطبَ الغوث غالبًا يكون منهم وكذا كبار أهل الولاية ولأهل مصر اعتقاد حسن في الولي ومقامه يفوقون فيه اعتقادات كل أهل البلاد.

« ومن فضائل مصر »: قلة وقوع الزلازل والفيضانات والحروب والغارات والكوارث بها لكونها محروسة وهي منَّة الله في أرضه ما أرادها أحد بكيد إلا رُدَّ خاسئًا وهو حسير.

وبديار مصر الكنائس العظيمة والعطارين ودكاكين الأعشاب ما يفوق

الوصف. وبديار مصر محلات لصناعة الطرابيش ما لا يوجد إلا بها. وبمصر القطن الجيد الذي لا يوجد ببلاد الدنيا إلا بها، وبها البرتقال الذي له سرة ولا يوجد إلا بها، وبها العسل الذي لا يصنع في بلاد الدنيا مثله. وبمصر الدجاج الفيري الذي لا نظير له وانتهت بمصر الكياسة والسياسة لوجود جملة من القواد بها لا تعوض في أمة الإسلام مثل عمرو بن العاص وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس وقطز والغوري ومحمد علي باشا وجمال عبد الناصر والسادات.

رسالة
فناء أوصاف العاشقين
في أوصاف خاتم المرسلين

الحمد لله أن أبرز من عما الاقتدار الصفة المحمدية. وبرأ من العماء المحض المحاسن القاسمية. وأنشأ من عيون المعاني الجمالات الأحمدية. وأكمل بكماله المطلق بديع الكمالات النبوية وأبدع ببديع القدرة حلقة الأخلاق المصطفوية. وحقق بالتعيينات الأمرية صورة الختم الرسولية.

وصلى الله على بديع الجمال ومتحقق الكمال. المكتمل الخصال روح الأرواح. ساقي الأشباح بفائض الأقداح هيكل الوجود. وعمود الشهود كرسي المملكة وعرش المشيخة. محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذه لعمري رسالة ماء الذهب أودعتها أوصاف رسول الله (ﷺ). وأرجو أن تحوز القبول. وتفي بالمأمول جمعت فيها ما بين منقول ومغفول. وعلى الله قصد السبيل. وهو يقول الحق ويهدي السبيل.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد في هيئة النبي (ﷺ): كان (ﷺ) يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويمشي في الأسواق ويتوسد يده ويلعق أصابعه ويقضي من نفسه ولا يأكل متكئاً ولم يُرَ قط ضاحكًا ملء فيه وكان يقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد ولو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدي إليَّ كراعٌ لقبلت. انتهى.

قال الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان في باب في صفته

(ﷺ) بسنده عن البراء وقال: كان رسول الله (ﷺ) أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير.

وقال بسنده عن أنس قال: كان رسول الله أسمر قلت: الظاهر أنه اشتبه على الراوي أزهر بأسمر. وقال بسنده عن عائشة أن النبي (ﷺ) لبس خميصة سوداء فقالت عائشة: ما أحسنها عليك يا رسول الله يشوب بياضها سوادك ويشوب سوادها بياضك فثار منها ريح فألقاها قالت: وكان تعجبه الريح الطيبة.

وقال بسنده عن علي بن أبي طالب أنه كان إذا وصف النبي (ﷺ) قال كان عظيم الهامة أبيض مشربًا بحمرة عظيم اللحية طويل المسربة شثن الكفين والقدمين إذا مشى كأنما يمشي في صبب لم أرَ مثله قبله ولا بعده (ﷺ) وقال بسنده عن أبي هريرة قال: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله (ﷺ) كأنما الشمس تجري في وجهه وما رأيت أسرع مشية من رسول الله (ﷺ) كأنما الأرض تطوي له إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.

وقال بسنده عن ابن عمر قال: رأيت شيب رسول الله (ﷺ) نحوًا من عشرين شعرة بيضاء في مقدمه. انتهى.

وروى ابن حبان في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: تنام عيني ولا ينام قلبي.

وروى مالك في الموطأ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول: كان رسول الله (ﷺ) ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء (ﷺ).

قال الدهلوي في شرحه على الموطأ المسمى المسرى: البائن هو المفرط طولاً لأنه بعد عن قدر الرجال الطوال الأمهق الذي لا يخالط بياضه حمرة الآدم

فوق الأسمر يعلوه سواد قليل القطط سديد الجهودة السبط هو المسترسل الذي ليس فيه تكسر وهذا الذي ذكر من كمية عمره قول لطائفة من الصحابة والتابعين وذهب آخرون إلى أنه أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين قال البخاري: وهذا أصح. انتهى.

قال اليعقوبي في تاريخه في صفة رسول الله (ﷺ): وكان رسول الله فخمًا مفخَّمًا. ظاهر الوضاءة. متبلج الوجه. حسن الخلق. أطول من المربوع. وأقصر من المُشذَّب. لم تعبه ثُجْلَة ولم تُزْرِ به صعلة. وسيمًا قسيمًا. لم يماشه أحد من الناس إلا طاله. وإن كان الماشي له طويلاً. عظيم الهامة. رجل الشعر إن تفرقت عقيقته انفرقت فرقًا. لا يجاوز شعره شحمة أذنه. أزهر اللون. مُشْرَبًا بحمرة. في عينه دَعَجٌ. وفي أشفاره وَطَفٌ. وفي صوته صحَلٌ. وفي لحيته كثافة وكان أكثر شيبه في لحيته حول الذقن وفي رأسه في فودي رأسه. سهل الخدين. ضليع الفم. حلو المنطق لا نزر ولا هذر. دقيق المَسْرُبة. معتدل الخلق. عريض الصدر والكتف. بعيد ما بين المنكبين. واسع الظهر غير ما تحت الإزرار من الفخذ والساق. وأنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط. عاري ما سوى ذلك من الشعر. أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر. طويل الزندين رحب الراحتين. شَثْن الكفين والقدمين شائل الأطراف. خمصان الأخمصين. ذريع المشية. إذا مشى كأنما يحط من صبب أو يتقلع من صخر. وإذا التفت التفت معًا خافض الطرف. نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء. جل نظره الملاحظة. يبدأ من لقيه بالسلام. وكان جل جلوسه القُرْفُصى. وكان يأكل على الأرض. وكان إذا دعاه رجل فقال: يا رسول الله قال: لبيك. وإذا قال: يا أبا القاسم. قال: يا أبا القاسم وإذا قال يا محمد قال: يا محمد. وإذا أخذ الرجل بيده لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها. وإذا نازعه رداءه لا يجاذبه حتى يخليه. وإذا سأله سائل حاجة لم يرده إلا بحاجته أو بميسور من القول. انتهى.

وقال اليعقوبي في تاريخه: في المشبهين برسول الله (ﷺ): وكان المشبهون

برسول الله جعفر بن أبي طالب. قال رسول الله: أشبهت خلقي وخلقي. والحسن بن علي. وكانت فاطمة تقول: بأبي شبيهٌ بأبي غير شبيه بعلي. ويقال: إن أبا بكر قال له: وقد لقيه في بعض طرق المدينة: بأبي شبيه بالنبي غير شبيه بعلي. وقثم بن العباس بن عبد المطلب. وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب. وأسهد بن العترة وهاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف. ومسلم بن معتب بن أبي لهب. انتهى.

قال البيهقي في المحاسن والمساوىء: وأما جماله وبهاؤه ومحاسن ولادته (ﷺ) فما روي عن عثمان بن أبي العاص قال: أخبرتني أمي أنها حضرت آمنة أم النبي (ﷺ) لما ضربها المخاض قال: جعلت أنظر إلى النجوم تتدلى حتى قلت لتقعنّ عليّ فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت والدار حتى صرت لا أرى إلا نورًا قال: وسمعت آمنة تقول: لقد رأيت وهو في بطني أنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ثم ولد (ﷺ) فخرج معتمدًا على يديه رافعًا رأسه إلى السماء كأنه يخطب أو يخاطب. انتهى.

ومن أعظم ما رأيته في وصف الواصفين وصف الإمام الوصابي المتوفى سنة ٧٨٢ في كتابه البركة في فضل السعي والحركة: (فصل) وهذه صفة المصطفى (ﷺ) بأسرها أتيت بها تبريكًا للكتاب بذكرها لأنه روي أنه من كان عنده صفة المصطفى في منزله أو في رحله أو بين أمتعته أو على عضده وكان ظاعنًا أو قاطنًا إلا أمن من الشرق والغرق والحرق وجور السلطان ولم يفارق منزله السرور أبدًا وجد ذلك في كتاب اللباب في فضائل المصطفى والأصحاب.

وهو أنه (ﷺ) كان أزهر اللون. أدعج أنجل أشكل أهدب الأشفار. أبلج أزج. أقنى. أفلج. أشيب. عظيم الهامة. معتدل القامة. مدور الوجه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر كأن ماء الذهب يجري في صفحة خده ورونق الجلال يطرد في أسرة جبينه. كأن الجدر تلاحك وجهه ويهب نوره عليها إذا مشى بجانبها واسع الجبين كث اللحية. تملأ صدره. سهل الخدين ضليع الفم.

أحسن الناس عنقًا. كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة. سواء البطن والصدر. واسع الصدر عظيم المنكبين. ضخم العظام. عبل العضدين والذراعين والأسافل. رحب الراحة. شثن الكفين والقدمين طـويـل الزنـديـن. سـائـل الأطراف. سبط العصب. أنور المتجرد. في ساقيه حموشة لو رأيته رأيت الشمس طالعة. موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط. عاري الثديين ما سوى ذلك. أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر. ربع القامة ليس بالطويل البائن. ولا بالقصير المتردد. ومع ذلك لم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله (ﷺ). إذا افترَّ ضاحكًا أفتر عن مثل سنا البرق. وعن مثل حب الغمام. بل ضحكة التبسم. وربما ضحك حتى تبدو نواجذه. إذا تكلم رأيت كالنور يخرج من بين ثناياه. جهير الصوت حسن النغمة في صوته صحل. كانت قراءته مفسرة حرفًا حرفًا. وربما رجع فيها. وفي كلامه ترتيل لا فضول فيه ولا تقصير. كان متماسكًا ضرب اللحم. ليس بمطهم ولا مكلثم. منهوس العقب. أخمص الأخمصين. مسيح القدمين. ينبو عنهما الماء رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرقها وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه. إذا هو وفره وربما ضفره إذا زال زال تقلعًا. ويخطو تكفؤا. ويمشي هونًا ذريع المشية. إذا مشى كأنما ينحط من صبب. وإذا التفت التفت جميعًا. خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء. جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام. خاتم النبوة عند مرجع كتفه اليسرى. مثل الجمع حولها خيلان. متواصل الأحزان. دائم الفكرة. ليست له راحة. طويل السكوت. إذا أشار أشار بكفه كلها. وإذ تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى. وإذا فرح غض طرفه. وإذا غضب أعرض وأشاح. وإذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر. وإذا اهتم أكثر مس لحيته. وربما نكت في الأرض بعود أو مخصرة في يده. بين حاجبيه عرق بدره الغضب كان يتختم تارة باليمنى. وتارة باليسار. وكان خاتمة فضة وفصه منه. ومرة فصه حبشيًا كان يجعل فصه مما يلي كفه. وكان نقش خاتمه محمد سطر ورسول

سطر والله سطر هكذا:

محمد

رسول

الله

في الأصح. وقبيعة سيفه من فضة. كان يلبس ما وجد مرة شملة ومرة جبة من صوف ومرة حبرة يمانية ومرة قباء ومرة بردًا أحمر ومرة بردين أنضرين ومرة جبة طيالسية مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج. ومرة بردًا نجرانيًا غليظ الحاشية ومرة جبة رومية ضيقة الكمين وتوشح مرة بثوب قطري وصلي وربما لبس في بيته مجولاً وكان (ﷺ) يصلي في مروط نسائه. وكان يأتزر إلى أنصاف ساقيه. وكان أحب الثياب إليه القميص والحبرة. وكان كمه إلى الرسغ. وكان له ثوب لجمعته خاصة. وإذا اعتم سدلها بين كتفيه. وخطب يومًا وعليه عمامة سوداء. وعصب رأسه مرة بخرقة حمراء ومرة بحاشية برد. وكان على رأسه في مرضه الذي مات فيه عصابة صفراء. وكان لنعله قبالان. وصلّى يومًا في نعلين مخصوفتين. وكان يحب التيمُّن ما استطاع في كل شيء من شأنه. وفي ترجله. وتنعله. وطهوره كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه. وأخذه وإعطائه. وكان يده اليسرى للاستنجاء ولما كان من أذى. وكان إذا جلس احتبى بيديه. واحتبى مرة بشملة. واستلقى مرة في المسجد واضعًا إحدى رجليه على الأخرى. وخرج يومًا يتوكأ على أسامة ومرة على الفضل. واضعًا كفه على منكبه. وربما اتكأ على وسادة على يساره. وكان (ﷺ) إذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته كل يوم مرة أو مرتين. ولا يفارقه المشط والمرود في حضر ولا سفر. وكان يترجل غبًا. ويكثر القناع. ولم يكن في رأسه شيب إلا شعرات في مفرق رأسه. إذا دهن واراهن الدهن. وكان شيبه أحمر. وربما أخذ من طول لحيته وعرضها. وكان يصبغ ثيابه بالصفرة. ويكره الخلوق للرجال. ويكره الحمرة من الألوان. وكانت له مكحلة يكتحل منها عند

النوم ثلاثًا في كل عين. وكان يحب من الشاة الذراع والكتف. ومن القدر الدباء ومن الشراب الحلو البارد. ومن الأزهار الفاغية. ومن الألوان الخضرة. ومن الصباغ الخل. ومن التمر العجوة. ومن الفواكه الرطبة البطيخ والقثاء والعنب. وربما أكل العنب حتى يسيل رؤاله على لحيته كاللؤلؤ وكان يأخذ عنقود العنب بيده اليسرى ويتناول منه حبة حبة بيده اليمنى. فيأكل وربما أكله خرطًا وكان يأكل القثاء بالرطب والملح. وأكثر طعامه التمر والماء. وكان يأكل البطيخ بالرطب ويجمع بين الخربز والرطب. وأُتي بجمار نخلة فأكل منها. وكان ينقع له الزبيب أول الليل فيشربه من الغد وبعد الغد إلى مساء الثالثة ثم يأمر به فيهراق. وكان يتجمع اللبن بالتمر ويسميها الأطيبين. وأطيب الطعام لديه اللحم. وكان يأكل الثريد باللحم والقرع. ويعجبه الفأل الصالح. والكلمة الحسنة. ويعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: يا راشد يا نجيح يا تمام ونحوه. وكان لا يتطير من شيء فإن كره شيئًا رؤي كراهته في وجهه. وكان يعجبه الزبد والتمر. والنقل. وهو ما بقي من الطعام. ويعجبه الثريد من الخبز. والثريد من الحيس. ويأكل الخبز بالسمن والفالوذج. وكان أكثر لباسه البياض. وكان يلبس القلانس تحت العمائم. وبغير عمامة. وربما نزع قلنسوته وجعلها سترة يصلي إليها. وكانت له عباءة تفرش له حيثما انتهى. وحيثما انتقل. تثنى تحته طاقين. وكانت له عنزة يخرج بها يوم العيد. وكان يحب العراجين. ودخل يومًا المسجد وبيده عرجون فحك به النخامة وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة. وكان فراشه الذي ينام عليه أو ما حشوه ليف. وكان ينام أحيانًا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه. وكان إذا عرس قبيل الصبح ينصب ذراعه ويضع رأسه على كفه. وروي أن سلمى طحنت شعيرًا ثم جعلته في قدر وصبت عليه زيتًا ودقت الفلفل والتوابل وقالت: هذا مما كان يعجب النبي (ﷺ) ويحسن أكله وكان (ﷺ) يأكل لحم الدجاج والحبارى. وقال عتيبة: رأيتني وأنا سابع سبعة مع النبي (ﷺ) ما لنا طعام ولا شراب إلا ورق الشجر. وقال ابن أبي أوفى غزونا مع النبي (ﷺ) ست غزوات نأكل الجراد ويأكله معنا. وكان

(ﷺ) يعقد التسبيح بيمينه. وربما خرج وفي يده الخيط المربوط ليتذكر به الشيء. وكان يشرب الحليب ممزوجًا بالماء على الريق ويتغدى بعد ذلك بخبز الشعير مع الملح ونحوه. وكان يحب الطيب ويكره العرف الرديء. وكان يتتبع الطيب في رباع النساء. وكان يكثر العرق وعرقه أطيب الطيب (ﷺ). ورائحته أطيب العنبر والمسك الأزفر جبلة وإن لم يمس طيبًا وكانت له سكة يتطيب منها وكان لا يرد الطيب. ويستجمر ثلاثًا بالعود وبكافور يطرحه معه. وكان يتطيب بالمسك حتى يوجد بريقه في رأسه ولحيته. وكان يغسل رأسه بالخطمي وربما لبده. وكان يقبل عائشة ويمص لسانها وهو صائم. ومضغ وترًا في رمضان. ورصف به وتر قوسه. وخرج يومًا وعليه مرط مرجل من شعر. واغتسل يومًا من حمام بالجحفة. وكان أحب الأشياء إليه بعد النساء الخيل. وكان يحتجم على هامته وبين كتفيه. واحتجم على وركه وعلى ظهر قدميه. وفي الكاهل والأخدعين. وهو سيد المرسلين وخاتم النبيين (ﷺ). ومات يوم الاثنين فسجّي وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف لا قميص فيها ولا عمامة. وقبر ليلة الأربعاء. وهو ابن ثلاث وستين سنة. ولم يخلف دينارًا ولا درهمًا. ولا شاة ولا بعيرًا. إلا سلاحه وبغلته وأرضًا جعلها صدقة وهي مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك. وما بقي من خمس خيبر. انتهى.

قال البلاذري في أنساب الأشراف: حدثني الزيادي حدثني أبو أحمد السكري حدثني عبد الملك بن وهب عن الحر الخثعمي أن النبي (ﷺ) خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة فنزل بامرأة من خزاعة يقال لها عاتكة بنت خالد بن خليف ويقال لزوجها أكثم بن الجون بن منقذ الخزاعي وهي أم معبد. فوصفته (ﷺ) فقالت: كان ظاهر الوضاءة. متبلج الوجه حسن الخُلق. لم تعبه ثُجلة ولم تُزْرِ به صعلة. وسيمًا قسيمًا. في عينه دُعج. وفي أشفاره وطَف. وفي صوته صُحل. وفي عنقه سَطع. وفي لحيته كثاثة. أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار. وإن تكلم سمَّى وعلاه البهاء. أجمل الناس وأبهاهم من بعيد. وأحسنهم وأجلاهم من قريب. منطقه فصل. لا نزر ولا

هذر. كأنه خرزات نظم يتحدرن. حلو المنطق. لا يُشنى من طول. ولا تقتحمه العين من قصر. غصن بين غصنين. فهو أنضر الثلاثة منظرًا أو أحسنهم قدرًا له رفقاء يحفون به. إذا قال أنصتوا وإذا أمر بادروا إلى أمره. محفود محشود. لا عابس ولا مفتد. (ﷺ).

تفسير غريب اللغات (الثجل): عظيم البطن. (والصعل): صغر الرأس. (والوسيم): الجميل. وكذلك القسيم. (والدعج): شدة سواد العين (والصحل): شبيه بالبحة. تقول إنه ليس بحاد الصوت. (والسطع): طول العنق. (والوطف): طول هدب العين. انتهى.

وروى البلاذري في أنساب الأشراف بسنده عن البراء قال: رأيت شعر رسول الله (ﷺ) يصيب منكبيه.

وروى بسنده في أنساب الأشراف عن البراء بن عازب قال: ما رأيت أجمل من النبي (ﷺ) مترجلاً في حلة حمراء. وروى بسنده عن أنس قال: كان رسول الله (ﷺ) أزهر اللون وكان عرقه اللؤلؤ ما شممت مسكة ولا عنبرة أطيب رائحة منه. ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كفه.

وروى بسنده عن أبي طفيل عامر بن واثلة كان يقول: رأيت رسول الله (ﷺ) يوم فتح مكة. فما أنسى شدة بياض وجهه. وشدة سواد شعره. وإنَّ من الرجال رجالاً حوله يمشون. فمنهم من هو أقصر منه. ومنهم من هو أطول منه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: رسول الله (ﷺ).

وروى بسنده عن أم هانيء قالت: ما رأيت أحدًا كان أحسن ثغرًا من رسول الله (ﷺ). وما رأيت بطن رسول الله (ﷺ) إلا ذكرت القراطيس المثنية بعضها فوق بعض تعني عُكنة. ورأيته يوم الفتح قد ضفر رأسه بضفائر أربع.

وروى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كان النبي (ﷺ) أشد حياء من جارية عذراء في خدرها وكان إذا كره شيئًا عرفت كراهته في وجهه.

وروى بسنده عن أنس قال: كان رسول الله (ﷺ) يسرح لحيته بالماء في كل يوم.

وروى بسنده عن ابن عمر قال: كان النبي (ﷺ) يصفّر لحيته.

وروى بسنده عن شيخ من كنانة قال: رأيت رسول الله (ﷺ) بسوق ذي المجاز بين بُردين أحمرين. مربوعًا كثير اللحم. حسن الوجه. شديد سواد الشعر سابغه. شديد البياض. وروى بسنده عن عائشة قالت: كنت إذا أردت أن أفرق رسول الله (ﷺ) صدعت الفرق بين يافوخه وأرسلت ناصيته بين عينيه. انتهى.

قال الحميدي في المسند: ثنا سفيان قال ثنا يونس بن أبي إسحاق يحدث عن العيزار بن حريث عن أم حصين قالت رأيت رسول الله (ﷺ) يخطب وهو متلفع ببردة وعضلته ترتج.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون رءوسهم وكان رسول الله (ﷺ) يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به فسدل ناصيته ثم فرق بعد.

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا النبي (ﷺ) فنام عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبي (ﷺ) فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟.قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب.

وروى الإمام أحمد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله (ﷺ) طويل الصمت قليل الضحك.

وروى الترمذي عن عبدالله بن الحارث رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله (ﷺ).

روى مسلم في المعراج عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) أتاه

جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه جبريل فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا: إن محمدًا قد قُتِلَ فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره (ﷺ).

روى مسلم عن أنس قال: لقد رأيت رسول الله (ﷺ) والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.

روى البخاري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي (ﷺ) فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وَجِعٌ فمسح رأسي ودعا لي بالبركة. ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمة بين كتفيه مثل زر الحجلة.

وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت خاتمًا في ظهر رسول الله (ﷺ) كأنه بيضة حمام. وعند الترمذي لفظه: كان خاتم رسول الله (ﷺ) الذي بين كتفيه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة.

قال الترمذي في الشمائل: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عاصم حدثنا عزرة بن ثابت حدثني علباء بن أحمر اليشكري قال حدثني أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال قال لي رسول الله (ﷺ) يا أبا زيد ادن مني فامسح ظهري فمسحت ظهره فوقعت أصابعي على الخاتم. قلت: وما الخاتم. قال: شعرات مجتمعات.

وقال في الشمائل المحمدية: حدثنا محمد بن بشار حدثنا بشر بن الوضاح أنبأ أبو عقيل الدورقي عن أبي نضرة العوفي قال سألت أبا سعيد الخدري عن خاتم رسول الله (ﷺ) فقال كان في ظهره بضعة ناشزة. انتهى.

قال القرطبي: لم يظهر لنا تمام حسنه (ﷺ) لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته (ﷺ). اهـ.

قال القسطلاني في المواهب اللدنية باختصار: (فأما وجهه الشريف) (ﷺ) أخرج البخاري عن كعب بن مالك قال كان رسول الله (ﷺ) إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه. وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني التفت إلينا رسول الله (ﷺ) بوجه مثل شقة القمر.

وروى البيهقي عن أبي إسحاق الهمداني عن امرأة من هَمْدَان قالت حججت مع النبي (ﷺ) فقلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده. وروى الدارمي عن أبي عبيدة قال قلت للربيع بنت مُعَوِّذ صفي لي رسول الله (ﷺ) قال لو رأيته قلت الشمس طالعة. وروى مسلم عن أبي الطفيل أنه قيل له صف لنا رسول الله (ﷺ) فقال كان أبيض مليح الوجه وكان عليه الصلاة والسلام إذ سُرَّ فكأن وجهه المرآة وكأن الجدر ترى في وجهه.

(وأما بصره الشريف) (ﷺ) فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾. وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه (ﷺ) قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى عليَّ ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم من وراء ظهري.

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾ قال كان رسول الله (ﷺ) يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه.

وذكر القاضي عياض في الشفاء أنه (ﷺ) كان يرى في الثريا أحد عشر نجمًا.

(وأما سمعه الشريف) (ﷺ): فقد قال (ﷺ) إني أرى ما لا ترون

وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى رواه الترمذي عن أبي ذر.

(وأما جبينه الكريم): فقد كان (ﷺ) واضح الجبين مقرون الحاجبين بهذا وصفه علي فقال مقرون الحاجبين صلت الجبين أي واضحه وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال رأيت رسول الله (ﷺ) فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين.

(وأما فمه الشريف) (ﷺ) فعن جابر أنه (ﷺ) كان ضليع الفم. وقال ابن أبي هالة يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه يعني نسعة فمه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم. ووصفه ابن أبي هالة فقال أشنب مفلج الأسنان والشنب رونق الأسنان وماؤها ومفلج الأسنان أي متفرقها.

(وأما ريقه الشريف) (ﷺ) ففي الصحيح عن سهل بن سعد أن رسول الله (ﷺ) قال يوم خيبر لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ﷺ) كلهم يرجو أن يعطاها قال أين علي بن أبي طالب قالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق رسول الله (ﷺ) في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. وحج (ﷺ) في بئر ففاح منها رائحة المسك. وبصق في بئر في دار أنس فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها. ومسح (ﷺ) بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه. وكان به شرف فما كان يشم أطيب رائحة منه. وأعطى الحسن لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روي.

(وأما صوته الشريف) (ﷺ) فعن أنس رضي الله عنه قال ما بعث الله نبيًا قط إلا بعثه حسن الوجه وحسن الصوت حتى بعث الله نبيكم (ﷺ) فبعثه حسن الوجه حسن الصوت.

وعن علي رضي الله عنه أنه (ﷺ) كان إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من

بين ثناياه. وقد كان صوته عليه السلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره فعن البراء قال خطبنا رسول الله (ﷺ) حتى أسمع العواتق في خدورهن. وعن أم هانىء قالت كنا نسمع قراءة رسول الله (ﷺ) في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي.

(وأما ضحكه) (ﷺ) ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله (ﷺ) مستجمعًا قط ضاحكًا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم. واللهوات جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم.

قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه (ﷺ) كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك. قال ابن بطال والذي ينبغي أن يقتدى به من أفعاله ما واظب عليه من ذلك.

(وأما يده الشريفة) (ﷺ) فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين أي غليظ أصابعهما وبأنه عبل الذراعين رحب الكفين وقد مسح (ﷺ) خد جابر بن سمرة قال فوجدت ليده بردًا وريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار رواه مسلم.

قال ابن بطال كانت يده (ﷺ) ممتلئة لحمًا غير أنها مع ضخامتها كانت لينة. وعن معاذ قال ردفني رسول الله (ﷺ) خلفه في سفر فما مسست شيئًا قط ألين من جلده (ﷺ).

وأصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي (ﷺ) الدم بيده عن وجهه ثم دعا له فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام إلى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم. ومسح (ﷺ) رأس مدلوك أبي سفيان فكان ما مرت عليه يده أسود وشاب ما سوى ذلك رواه البخاري في تاريخه وعن أبي زيد الأنصاري قال مسح عليه الصلاة والسلام بيده على رأسي ولحيتي ثم قال اللهم جمله قال الراوي عنه فبلغ بضعًا ومائة سنة وما في لحيته بياض ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض

وجهه حتى مات رواه البيهقي.

وقد جاء في عدة أحاديث من جماعة من الصحابة بياض إبطيه. قال الطبري ومن خصائصه (ﷺ) أن الإبط من جميع الناس متغير اللون. وعن رجل من بني حريش قال ضمّني رسول الله (ﷺ) فسال عليَّ من عرق إبطه مثل ريح المسك. رواه البزار وأخرج الإمام أحمد عن مُحَرِش الكعبي قال اعتمر النبي (ﷺ) من الجِعْرّانة ليلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة.

وأما قدمه الشريف) (ﷺ) فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن القدمين أي غليظ أصابعها.

وعن ميمونة بنت كرّدم قالت رأيت رسول الله (ﷺ) فما نسيت طول أصْبَع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه الإمام أحمد. وعن عبدالله بن بُرَيْدَة قال كان رسول الله (ﷺ) أحسن البشر قدمًا.

(وأما لونه) (ﷺ) فقد وصفه عليه الصلاة والسلام جمهور أصحابه بالبياض. وفي شعر أبي طالب:

وأبيض يُسْتَقَى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

انتهى ما ورد في المواهب اللدنية اللقسطلاني

روى الإمام أحمد عن عطاء بن يسار قالت: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفات رسول الله (ﷺ) في التوراة فقال أجد والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأدميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق. ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيموا الله العوجاء. بأن يقولوا لا إله إلا الله يفتح بها أعينًا عميًا. وآذانًا صمًا. وقلوبًا غلقًا).

قال ابن القيم في زاد المعاد: ومن تدبر أغذيته (ﷺ) وما كان يأكله

وحده لم يجمع قط بين لبن وسمك ولا بين لبن وحامض ولا بين غذائين حادين ولا باردين ولا لزجين ولا قابضين ولا مسهلين ولا غليظين ولا مرخيين ولا مستحليين إلى خلط واحد ولا بين مختلفين كقابض ومسهل وسريع الهضم وبطيئه ولا بين شوي وطبيخ. ولا بين طري وقديد ولا بين لبن وبيض ولا بين لحم ولبن ولم يكن يأكل طعامًا في وقت شدة حرارته والمالحة بائتًا يسخن له بالغد ولا شيئًا من الأطعمة العفنة والمالحة كالكوامخ والمخللات والملوحات وكل هذه الأنواع ضار مولد لأنواع من الخروج عن الصحة والاعتدال. انتهى.

روى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه رسول الله (ﷺ) ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه برسول الله (ﷺ) ما كان أسفل من ذلك.

قلت: ولئن كان يوسف عليه السلام أوتي شطر الحسن الظاهر فإن أبا القاسم عليه الصلاة والسلام لو أبدى لهم ذرة من جمال حسنه الباطن لصعقوا. وحتفوا. فإن جماله المرئي في الآخرة يفوق جميع الكائنات لكونه محجوبًا عنا في هذه الدار لعدم تحمل العقول لرؤيته فافهم يا ولي الله. ألا ترى أنه عبر عن هذا الذوق بقوله: من رآني فقد رآني حقًا فإن الشيطان لا يتمثل بي. وهذا يكشف أن مرائي الجمالات المحمدية بكر كلها. مهما تنوعت وتفرعت. هناك هناك يعلم العارف المحقق في الدار الآخرة شأن الجمال القاسمي. والحسن المحمدي عندما يرفع سحاب الحجاب. عن حبيب رب الأرباب. فهنيئًا لك أبا القاسم (ﷺ) وبارك.

تَمَّ

بعون الله تعالى

كتاب

إحياء علوم الصوفية

٢٦ محرم عام ١٤١١ هـ .

والصلاة والسلام على محمد صلّى الله عليه وسلّم .

إجازة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الإمام العالم العلامة ★ والحبر الفهامة ★ الحبر الموقر ★ والجهبذ المتصدر ★ على بساط الحقيقة ★ شيخ العقال وعلامة أسيوط في زمانه وإمامها ★ أستاذنا وشيخنا أبو جلال محمد بن سيد دلال العقالي السيوطي الحنفي رضي الله تعالى عنه :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبتوفيقه تنجز المهمات. والصلاة والسلام على خير المرسلين وسيد النبيين. وشفيع الخلق أجمعين. وبعد.

فإنني بحمد الله وتوفيقه اعتبر أول مرشد لتلميذي الشيخ محيي الدين الطُّعْمِي. وأول من سقاه لبن الشريعة وعرفه قوانينها. وأوقفه على دواوينها. وكان عمره آنذاك في السادسة عشرة ورأيته شابًا فاق الأقران. وسبق أعيان الزمان. عقله أكبر من سنه. ولبه أكبر من عمره. هو البحر الذي لا يسابق. والمحيط الذي كلما نضب ماؤه يتعامق.

ولذا فإنني استخرت الحق تعالى في أن أجيزه إجازة خالدة تالدة. عاملة شاملة. وتوكلت على الله. إرضاء للإله.

وقد أخذت الفقه الحنفي عن والدي عالم العقال وإمهامها الشيخ سيد بن أحمد دلال العقالي رضي الله عنه.

وأخذت طرفًا من الفقه المالكي عن الوالد أيضًا رضي الله عنه. وأخذت

الفقه المالكي والتفسير عن الشيخ محمود عنبر وأصله من طهطا وهو أخذ عن العلامة محمد بخيت المطيعي من طريق الصاوي عن الدردير. وأخذت النحو وعلوم اللغة العربية عن الشيخ عبد الحق أبي ناصر العلامة النحوي الشهير وأصله من بني سويف رضي الله عنه. وكذلك أخذت النحو عن العلامة المتبحر الشيخ أحمد هيكل الباقوري من باقور من أعمال أسيوط رضي الله عنه. وكذلك قرأت طرفًا من «تاج العروس» للزبيدي وقرأت «مختار الصحاح» على والدي علامة العقال الشيخ سيد دلال العقالي رضي الله عنه.

وقرأ والدي فقه المالكية على الإمام شيخ الإسلام سيدنا يوسف الدجوي رضي الله عنه ويقال عنه بلغ قطبانية وقته. وأخذ والدي فقه الشافعية وفقه الحنفية عن العلامة الإمام مفتي الديار المصرية محمد بخيت المطيعي رضي الله عنه.

وأخذ والدي الفقه المالكي وفتاوى المالكية عن العلامة الأزهري الشهير الشيخ عليش رضي الله عنه.

وأخذ والدي علوم التفسير وفقه المالكية عن أبي الوفاء الشرقاوي الأزهري علامة عصره وإمام قرنه رضي الله عنه وبلغ قطبانية الزمان رضي الله عنه. وحضر الوالد دروس الإمام محمد عبده في حلقات التفسير رضي الله عنه.

وأخذ والدي الحديث وعلومه عن العلامة مفتي الديار المصرية محمد بخيت المطيعي رضي الله عنه.

أما أنا فأخذت علوم التوحيد والكلام على الشيخ زكي الشهير بالدكتور.

وأخذت المنطق عن العلامة المنطقي الشهير الشيخ عبد الحكم الملوي الأزهري رضي الله عنه.

وتلقيت الحديث عن محدث الأزهر الشهير الشيخ الأودن رضي الله عنه وأصله من المنصورة.

وتلقيت علوم التفسير ومصطلحه عن الشيخ محمد أبو الروس رضي الله عنه عالم الأزهر الشهير الذي طبقت شهرته الآفاق.

ودرست المنطق على العلامة الغباشي رضي الله عنه. ودرست التاريخ وفنونه وأيامه على العلامة المتبحر الدكتور فياض رحمه الله ورضي عنه.

وكذلك تلقيت علوم الحديث ومصطلحه ورواياته ودراياته على محدث الديار المصرية العلامة محمد بن عبد اللطيف بن سالم التجاني بالمغربلين فلذلك أكون أنا وتلميذي الشيخ محيي الدين زميلين في التلمذة على الشيخ التجاني الكبير محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم رضي الله تعالى عنه وقدس سره.

وكذلك أخذت العلم وفنونه عن آل أبي العيون وهم ممن كان لهم الأثر الكبير فيَّ منهم الولي المحدث الشيخ محمد أبو العيون وكذا إخوته وأبناء عمومته كسيدي إبراهيم وعبد الحفيظ رضي الله عنهم.

وكذلك كنت أحضر وأستمع درس الجمعة بالأزهر على شيخنا ولي الله الشيخ صالح الجعفري رضي الله عنه الفقيه المالكي. دفين الدراسة.

وكذلك تتلمذت على يد العالم العلامة والحبر الفهامة إمام أسيوط في زمانه الشيخ عمران أحمد عمران رضي الله عنه وتلقيت عنه جملة صالحة من العلوم.

وكذلك تتلمذت للشيخ الإمام شيخ مصر وحبرها مولانا حسن البنا رضي الله عنه وأخذت عنه علوم الوعظ ودعوناه للحضور إلى بلدنا العقال فحضر ودرس وأفتى ووعظ وأعجب به أهل العقال وتتلمذوا كلهم على يديه وسمعوا خطبه الرنانة الطنانة وكان يصحبه آنذاك الشيخ أحمد الباقوري.

هذا وإنني لا أنكر فضل الشيخ العلامة محمد بن علي الطعمي رضي الله عنه على ابنه محيي الدين فإنه كان له الفضل الأكبر في تنشئته ورعايته علميًا وخلقيًا وتعريفه بآداب السلوك والطريق.

وقد كان الشيخ محيي الدين الطعمي أنبغ تلاميذي بالقراءة والمناقشة

والمدارسة حتى اطمأن له قلبي فسمحت له بالرواية ونصحته بالاطلاع ومصاحبة الأشياخ الصالحين وقد أجزته بهذه الإجازة الخالدة التالدة وبالرواية عني وعن شيوخي وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعله عبدًا تقيًا فإن التقوى أعظم العلم والله يوفقه، مع رجاء المداولة على الاطلاع وصحبة الأشياخ العارفين.

محمد سيد أحمد دلال العقالي

١٨/ رمضان/ ١٤٠٩

محتويات الجزء الثاني من
كتاب «إحياء علوم الصوفية»

